

الناشر
الوقف الإسلامي
للبحث العلمي

بذل الطاعون في فضل الطاعون

بتأليف
الدكتور الخافي سهراب الدين محمود بن علي بن محمد القسطلاني
١٨٧٣ - ١٩٤٤

تأليف
الدكتور محمد سعيد محمد خليفة

بَدَلُ الْمَسَاعُونَ

فِي فَضْلِ الطَّاعُونَ

لِلْحَافِظِ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ

ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ

(٧٧٣ - ٨٨٥٢ هـ)

حَقَّقَهُ وَخَرَجَ أَحَادِيثَهُ

أَبُو إِبرَاهِيمَ كَيْلَانِي مُحَمَّدُ خَلِيفَةُ

مَكْتَبَةُ التَّوَعُّفِ إِلَى سَلَامَةِ

كَارِزِ الْكُتُبِ الْأَثَرِيَّةِ

طَبَاعَةُ نَشْر. تَوَزِيْع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

كافة الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

أما بعد ،

فإن الله تعالى رحيم بعباده ، من عمل حسنة كتبها له عشرأ أو أزيد ، ومن عمل سيئة كتبها واحدة أو يفرها له ، يقبل من محسنهم ، ويغفر لمسيئهم إن رجع إليه واستغفره ، أما إذا تماروا في المعصية ، وقشت بينهم أنواع الذنوب والفواحش ، فإن الله تعالى عند ذلك قد يعمهم بعقاب ؛ ليذكروهم بأسه وقدرته عليهم ؛ ليرجعوا إليه ويستغفروه .

وأنواع هذه العقوبات كثيرة ؛ منها المجاعات والجوائح والأمراض والزلازل وغير ذلك ، وتختلف العقوبة تبعاً لاختلاف المعاصي المرتكبة كما شهدت بذلك الأحاديث .

وإذا عم الله الناس بعقاب اختلف حال الهالكين فيه ؛ فمنهم من يكون ذلك رفعة في درجاته ، وقد يكون مغفرة لذنوب بعضهم ، وقد يكون في حق آخرين نكالاً وعذاباً وانتقاماً ، وهذه سنة الله في العقوبات تقع عامة ، فتكون طهراً للمؤمنين وانتقاماً من الفاجرين .

﴿

وهذه العقوبات تتنوع على مر الأزمان ، وزماننا الحالي يشهد العديد من تلك العقوبات الإلهية ، فمن ذلك تلك المجاعات المنتشرة في إفريقيا ، ومنها تلك الأعاصير والعواصف والفيضانات المدمرة في أوربا وغيرها ، ومنها تلك الأمراض المنتشرة في جميع أنحاء العالم والتي ما عرف لها علاج مع ذلك التقدم المذهل في عالم الطب ، وما ذلك كله إلا عقوبة من الله عز وجل بسبب ابتعادهم عن دينه وانتهاك حرمانه ﴿ وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ . [الشورى : ٢٠] .

وكتابتنا الذي نقدم له يتناول نوعاً من هذه العقوبات ، أرسله الله على عباده في أزمان

متعددة ، خاصة في القرنين الثامن والتاسع من الهجرة ، وقد عاصرهما الحافظ ابن حجر .

وقد صنف الحافظ هذا الكتاب تلبية لرغبة بعض إخوانه إذ سألوه جمع الأخبار الواردة في الطاعون ، كما صرح بذلك في مقدمة الكتاب .

أضف إلى ذلك ما نراه سبباً آخر في تصنيف الكتاب ، وهو تأثيره بأمر الطاعون إذ وقع في حياته ثمانى مرات ، ومات بالطاعون ثلاث من بنات الحافظ هن : فاطمة ، وعالية ، وزين خاتون ، فاجتمع هذان السببان ليصنف لنا الحافظ هذا الكتاب الحافل بمختلف العلوم .

والحافظ إذ يتناول الطاعون بالدراسة ، لا يدع - كعادته - شيئاً يتصل به إلا أتى به ، فنراه تكلم :

— عن مبدأ الطاعون ، ومن أول مَنْ نُزِلَ بهم .

— ثم عن اشتقاقه ، وكونه أخص من الوباء ، وبيان كونه من وخز الجن ، وأن الجن يسلطون على الإنس بالطاعون وغيره ، والحكمة من ذلك ، وكيف يحمي الإنسان نفسه من كيد الجن .

— ثم بين أن الطاعون شهادة للمسلمين ، وساق الأحاديث الواردة في ذلك ، وأن درجات الشهداء متفاوتة .

— ثم بين حكم البلد الذى يقع فيه الطاعون ، وذكر الزجر عن الخروج من البلد الذى يقع فيه الطاعون فراراً منه ، وبيان الحكمة في ذلك .

— ثم بين ما يشرع فعله في الطاعون بعد وقوعه ، والآداب المتعلقة بمن أصابه الطاعون .

— ثم ختم الكتاب ببيان الطواعين الواقعة في الإسلام إلى عصره رحمه الله تعالى .

كل ذلك وغيره بأسلوب الحافظ المتميز ، من ذكر الأدلة ، والحكم على الأحاديث ، والجمع بين الأقوال أو الترجيح بينها ، والاستقصاء في كل ما يقول ، والحافظ في ذلك كله لا يحتاج إلى تعريف ، فيكفيه شرفاً أنه الحافظ ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

نسبة الكتاب للحافظ :

مما يثبت نسبة الكتاب للحافظ ما يلي :

١- ذكره الحافظ السخاوي ضمن مؤلفات الحافظ ابن حجر ، وذلك في كتابه « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » وهو لازال مخطوطا ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٧٦٨ تاريخ.

٢- عزا المصنف تفصيل بعض المسائل إلى فتح الباري :

أ - فقال ص ٦٧ : وقد تكلمت عليه في شرح البخارى .

ب - وقال ص ٨٠ : وقد استوعبت الكلام على ذلك في فتح الباري .

فثبت بذلك نسبة الكتاب إلى مؤلفه والله الحمد والمنة.

* * * * *

* * *

*

عملى فى تحقيق الكتاب

أولاً : مقابلة نسخ الكتاب :

وقد توفر لى من الكتاب ست نسخ مخطوطة ، وأحب أن أنبه إلى أمر وجدته أثناء المقابلة ، وهو ذلك الاختلاف فى ترتيب الباب الرابع من الكتاب ، فوجدت ثلاثة منها على ترتيب وقد اعتمدها لموافقته لسياق الكلام ، واثنين منها على ترتيب آخر ، بينما السادسة سقط منها هذا الجزء الذى فيه الاختلاف ، وقد نبهنا على هذا الإختلاف فى موضعه من الكتاب ص ١٥٥ .

ولعل هذا الاختلاف فى الترتيب نشأ عن تقديم وتأخير فى بعض أوراق نسخة من الكتاب تتابع عليه النساخ منها ، ومما أخذ عنها من النسخ ، ولا سيما أن السياق على هذا الترتيب غير محل بالمعنى وقد يعتبر السياق مقبولاً به .

وصف النسخ :

١- النسخة الأولى : نسخة مكتبة أيا صوفيا فى السلیمانیه بتركيا ، وهى محفوظة بها تحت رقم (٨٨٠) ، عدد أوراقها (١٥١) ، عدد أسطرها (١٥) سطرأ ، مكتوبة بخط نسخ جيد ، وهى نسخة تامة .

وقد كتبت هذه النسخة فى حياة الحافظ رحمه الله تعالى ، وقبل وفاته بثمانية أشهر ، فقد ذكر ناسخها أنه فرغ من تعليقها فى الثالث عشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثمانمائة ، فى حين أن الحافظ توفي فى شهر ذي الحجة من نفس السنة .

وهذه النسخة مع أنها كتبت فى حياة المصنف ، إلا أنها خلت من زيادات مهمة زادها الحافظ بعد فراغه من تصنيفه كما ذكر فى نهاية الكتاب ، كما أن بها سقطاً وتصحيقات وتحريفات ليست بقليلة .

ولعل هذه هى النسخة التى حدث بأوراقها تقديم وتأخير ، إذ هى أقدم النسختين اللتين لم نعتد ترتيبهما ، والأخرى هى نسخة الحرم .

٢- النسخة الثانية : نسخة خزانة تيمور بدار الكتب المصرية ، وهى محفوظة بها تحت رقم (١٩٨) حديث ، ميكروفيلم (٨١٤٩) ، عدد أوراقها (١٠٧) ورقة ، عدد السطور

(١٩) سطرأ ، مكتوبة بخط فارسي جميل ، وهي نسخة تامة ، مقابلة كما ذكر ناسخها مع نسخة بخط محمد بن محمد أمير حاج الحنفي تلميذ كمال الدين بن الهمام شارح الهداية.

وقد كتبت هذه النسخة بعد وفاة الحافظ بثمانين سنين ، فقد ذكر ناسخها أنه كتبها سنة ستين وثمانمائة .

٣- النسخة الثالثة : نسخة الخزانة العامة بالرباط ، وهي محفوظة بها تحت رقم (٣١٩) ، عدد صفحاتها (١٢٩) ، متوسط عدد أسطرها (٢١) سطرأ ، مكتوبة بخط كوفي صعب القراءة ، وهي نسخة تامة.

وهذه والتي قبلها بهما زيادات مهمة لم نجدها في بقية النسخ ، وذلك لأن الحافظ بعد أن فرغ من تصنيف الكتاب زاد فيه زيادات يسيرة.

٤- النسخة الرابعة : نسخة دار الكتب المصرية ، وهي محفوظة بها تحت رقم (٢٣٥٣) ، ميكروفيلم (١٩٣٩٢) ، عدد أوراقها (١٢٢) ورقة ، عدد أسطرها (١٩) سطرأ ، مكتوبة بخط ثلث جيد . وهي نسخة تامة ، وهي من النسخ التي اعتمدنا ترتيبها . وهذه النسخ الثلاث هي التي اعتمدنا ترتيبها .

٥- النسخة الخامسة : نسخة مكتبة الحرم النبوي الشريف ، وهي محفوظة بها ضمن كتب علم الطب ، وعدد أوراقها (١٥١) ورقة ، عدد أسطرها (١٧) سطرأ ، مكتوبة بخط نسخ ، وقد ضبط ناسخها كلمات كثيرة ، وهي نسخة جيدة ، إلا أن بها نقصاً في آخرها يقدر بثلاث ورقات ، وهي النسخة الثانية التي لم نعتمد ترتيبها .

٦- النسخة السادسة : نسخة مكتبة دار العلوم نواة العلماء بلكناو بالهند ، وقد حصلت عليها عن طريق المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وهي محفوظة بها تحت رقم (١٤٢٦) ميكروفيلم ، عدد أوراقها (٧١) ورقة ، عدد أسطرها (٢١) سطرأ ، مكتوبة بخط فارسي .

وهذه النسخة مع دقتها في بعض المواضع ، إلا أن بها سقط سطور في مواضع كثيرة ، كما أن بها جزءاً كبيراً ساقطاً يقدر بربع الكتاب.

واقدمت بمقابلة النسخ ، وتلافيت الخلاف بينها إذا كان هيناً ، وذلك لأنه سيتقل هوامش الكتاب بنون فائدة ، واعتمدت في الغالب ما اتفقت عليه أكثر النسخ ، إلا إذا انفردت نسخة أو أكثر بشئٍ صحيح اعتمدته ، ولم أثبت الخلاف إلا إذا كان محتملاً للوجهين ، أو كان فيه تنبيه على خطورة الاعتماد على نسخة واحدة في تحقيق المخطوطات.

وسأشير في الهامش إلى هذه النسخ بما يلي:

النسخة الأولى : نسخة تركيا .

النسخة الثانية : نسخة تيمور .

النسخة الثالثة : نسخة الرباط .

النسخة الرابعة : نسخة الدار .

النسخة الخامسة : نسخة الحرم .

النسخة السادسة : نسخة الهند .

تنبيه : حول اسم الكتاب :

وقع تضارب بين النسخ في تسمية الكتاب ، بل إن النسخة الواحدة يحدث فيها اختلاف في ذلك بين ما على غلافها والتسمية في كلام الحافظ . والحاصل أن خمسة من النسخ جاء على غلافها اسم الكتاب "بذل الماعون في فضل الطاعون" ، وجاءت التسمية هكذا في تسمية الحافظ في نسختين فقط ، وجاء اسم الكتاب في بقية المواضع « بذل الماعون في فوائد الطاعون » .

وقد اعتمدت التسمية الأولى بناء على تسمية الحافظ السخاوي للكتاب في كتابه « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » .

ومما هو جدير بالذكر أن للسيوطي اختصاراً لكتابنا هذا ، سماه "مراواه الواعون بأخبار الطاعون" ، ويوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط جاءت بعد كتاب بذل الماعون مباشرة ، وقد صرح فيه أيضاً بالتسمية التي اعتمدها .

ثانياً: تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب :

وقد قمت بتخريج أحاديث الكتاب بعزوها إلى أماكنها في كتب الحديث ، والتزمت بما أشار إليه الحافظ بون العزول لكتب أخرى قد تكون خرجت الحديث.

وقد عزّ عليّ عزو بعض الأحاديث إلى أماكنها وذلك في أحاديث معدودة.

وهذا التخريج له فائدة كبيرة وهي : توثيق تخريج صاحب الكتاب للحديث ، واستدراك ما عسى أن يكون وقع فيه من وهم أو سهو في ذلك ، كما وقع للحافظ في كتابنا هذا في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : قال في ص ٧٣ بعد ذكر حديث مسلم عن ابن مسعود في ثبلة الجن : « وأخرجه أبو داود كذلك ، لكن وقع في روايته : كل عظم لم يذكر اسم الله عليه . »

ولقد أعيانى البحث عنه في سنن أبي داود السجستاني فلم أجده ، ثم وجدته في مسند أبي داود الطيالسي ، فلعل لفظ «الطيالسي» سقط من النسخ ، وهذا بعيد لاتفاق جميع النسخ على ذلك ، أو يكون هذا سهواً أو سبق قلم من الحافظ رحمه الله تعالى.

الموضع الثاني : قال في ص ٧٩ بعد أن ذكر حديثاً عن أبي سعيد الخدري : « متفق عليه . »

وقد بحثت عنه كثيراً في مسلم فلم أجده ، وتيقنت أن الحديث لم يروه مسلم بعد أن طالعت كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي فوجدته ذكر الحديث ضمن أحاديث أفراد البخاري من مسند أبي سعيد الخدري .

الموضع الثالث : قال في ص ١٨٠ : « وفي سنن أبي داود . » ثم ساق حديثاً ، ولم أجد الحديث في سنن أبي داود مع نوام البحث عنه ، ولعله سبق قلم من الحافظ ؛ وذلك لأن الحافظ نفسه ذكر الحديث في الفتح (١٥٩/١٠) وقال: وقد أخرجه ابن ماجة وسنده ضعيف.

ولقد أشرت إلى هذه المواضع في أماكنها من الكتاب ، وهذا يرشدنا إلى أهمية تخريج أحاديث الكتب المحققة ، لأن السهو والوهم من سمات البشر.

ثالثاً : تسهيل الاستفادة من الفصل الأخير في كل باب :

قسم الحافظ الكتاب إلى أبواب ، كل باب يشتمل على فصول ، وقد خصص الحافظ الفصل الأخير من كل باب لذكر بيان مشكل ما في الباب.

فرايت أن وجود هذا الفصل في آخر كل باب بمغزل عن الكلمات المضبوطة أو المشروحة سيكون قليل الجدوى ولا يستفاد منه استفادة كاملة.

فعمدت إلى تلك الكلمة المضبوطة أو المشروحة في موضعها الأصلي من الكتاب فأعطيتها رقماً ، ثم أتى إلى الحاشية وأنقل كلام الحافظ حولها من الفصل الأخير مع التنبيه على أن ذلك من كلام الحافظ ، فأقول عقب كلامه: (منه رحمه الله تعالى) ، وأحياناً أنقل كلام الحافظ بتمامه ، وأحياناً أقتصر على بعضه ، منبهاً على ذلك عقب كلامه ، وسأثبت هذا الفصل الأخير في موضعه الطبيعي من كل باب ، محافظة على صورة الكتاب الأصلية.

رابعاً : وضع عناوين وشرح غريب.

وزيادة في حسن تقسيم الكتاب ، فقد قمت بوضع عناوين ، ولتمييزها عن غيرها فقد وضعتها بين معكوفتين ، وأغلب هذه العناوين - إن لم يكن كلها - أخذته من الفهرسة الموجودة في أول الكتاب.

وقد قمت بضبط وشرح بعض الكلمات الغريبة تيسيراً على القارئ الكريم.

والله أسأل أن يكون عملي في هذا الكتاب وغيره خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يكون علماً مما ينتفع به إلى يوم الدين ، وأسأله سبحانه أن يغفر لي وكل من ساعدني في إخراج الكتاب ، إنه سميع عليم قريب مجيب.

وكتب

أبو إبراهيم

كيلاني محمد خليفة

تحريراً في: ١٢/شعبان/١٤١٠

الموافق: ٩/مارس/١٩٩٠

ترجمة موجزة للمصنف (١)

١- اسمه ونسبه :

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكتاني العسقلاني الأصل ، ثم المصري المولد والمنشأ والدار والوفاء ، الشافعي ، الشهير بـ (ابن حجر) نسبة إلى أجداده ، الملقَّب بـ (الحافظ).

٢- ميلاده ونشأته :

وُلد في ثالث عشر (وقيل: ثاني عشر) شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ، تُوُفِيَ والده وهو طفل ثم يتجاوز الأربع سنين ، فنشأ يتيماً في كنف أحد أوصيائه ، وهو الزكي الخروبي ، وأدخِلَ الكُتَّاب وهو ابن خمس سنين ، وحفظ القرآن عند الصدر السفطي وهو ابن تسع سنين.

ثم حفظ عمدة الأحكام وألفية الحديث للعراقي ، والحاوي الصغير ، ومختصر ابن العاجب ، والتنبيه للشيرازي . وألفية ابن مالك ، وانصرف في أول أمره إلى العناية بالأدب والتاريخ ، فُلُوع بالنظم فقال شعراً كثيراً مليحاً ، ثم حَبَّبَ الله إليه طلب الحديث فأقبل عليه بالكُتَيْبَة ، وسمع الكثير بمصر وغيرها ، ورحل وانتهى وحصل.

٣- رحلاته :

رحل الحافظ رحلات كثيرة في طلب العلم ، فارتحل إلى الشام والحجاز واليمن وأقاصي مصر ، والتقى في هذه الرحلات بجماعة من كبار الشيوخ وسمع منهم كثيراً من الكتب والأجزاء الحديثية ، ولا يخفى أثر هذه الرحلات في تنمية معارفه ، وصقل موهبته العلمية.

٤- مشايخه :

تلمذ الحافظ على جماعة من كبار العلماء ، وأدرك من الشيوخ جماعة كل واحد منهم رأس في الفن الذي اشتهر به ، فالتنوخي في القراءات ، والعراقي في الحديث ،

(١) نقلا عن مقدمة كتاب « معرفة الخصال المكفرة » بتحقيق جاسم الفيهد الدوسري ، مع تصريف يسير ، طبعة دار البشائر الإسلامية .

والبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع ، وابن الملقن في كثرة التصانيف ، والمجد الفيروزآبادي صاحب القاموس في حفظ اللغة ، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة .

ومن مشايخه أيضاً : ابن أبي المجد والبرهان الشامي والحافظ نور الدين الهيثمي والفماري والجزري وغيرهم .

ومشايخه - كما قال ابن فهد - كثيرة جدا لا توصف ، ولا تدخل تحت الحصر ، وقد جمع أسماء شيوخه وما رواه عنهم في كتابه (المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس).

5- تلامذته :

ارتحل إليه الطلاب من كل مكان، وتلمذ على يده الكثيرون ، ويقدر عددهم بخمسمائة شخص ، ومن أشهرهم: البقاعي ، وابن تغري بردي ، وابن قاضي شهبه ، وابن فهد المكي وذكريا الأنصاري ، والسخاوي .

6- وظائفه ومناصبه :

تولى ابن حجر الكثير من المناصب الجليلة ، فقد تقلد القضاء عدة مرات ، وامتنع في كثير من الأحيان عن قبول ذلك ، لكنه كان يوافق بسبب إلحاح السلطان عليه ، وتبلغ مدة اشتغاله في القضاء إحدى وعشرين سنة ، وقد قام بحقوق القضاء حق القيام ، وشهد له معاصروه بالعفة والنزاهة إلا أنه - رحمه الله - ندم على توليه ، وصرح بأنه جنى على نفسه بذلك ، فاعتزل القضاء وزهد فيه زهداً كبيراً ؛ لكثرة ما توالى عليه من المحن والأنكاد بسببه ، وعندما اعتزله سنة (٨٥٢) صرح بأنه لم يبق في بدنه شعرة تقبل اسم القضاء .

وقد تولى الحافظ التدريس في مدارس كثيرة ، وكان التدريس آنذاك لا يتولاه إلا العلماء الأفاضل ، فدرس في الشبخونية وبالشريفية الفخرية والصالحية والنجمية والبيبرسية والحسنية وجامع ابن طولون وغيرها .

كما أقام مجالس الإملاء وذلك في سنة (٨٠٨) واستمرت هذه المجالس إلى وفاته ، وقيل : إنه قد أملى ما لا يقل عن ألف مجلس .

٧- أخلاقه وصفاته :

وصفه تلميذه ابن تغري بردي فقال : "وكان - رحمه الله - إماماً عالمياً حافظاً شاعراً أديباً مصنفاً ، مليح الشكل ، منور الشيبة ، حلو المحاضرة إلى الغاية والنهاية ، عذب المذاكرة ، مع وقار وأبهة ، وعقل وسكون ، وحلم وسياسة ، ودرية بالأحكام ، ومداراة للناس ، قلَّ أن يخاطب الرجل بما يكره ، بل يُحسن إلى من يُسئ إليه ، ويتجاوز عن قدر عليه ."

وقال ابن العماد : "وكان - رحمه الله - صبيح الوجه ، للقصر أقرب ، ذا لحية بيضاء ، وفي الهامة ، نحيف الجسم ، فصيح اللسان ، شجي الصوت ، جيد الذكاء ، عظيم الحدق ، رأوية للشعر وأيام من تقدّمه ومن عاصره ، هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء السلف الصالح ، وأوقاته مقسمة للطلبة مع كثرة المطالعة والتأليف ، والتصدي للإفتاء والتصنيف" اهـ .

وكان سريع الحفظ ، فقد ذكر عنه ابن فهد أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد ، وأنه كان يحفظ الصحيفة من الحاربي الصغير من مرتين ، الأولى تصحيحاً ، والثانية قراءة في نفسه ، ثم يعرضها حفظاً في الثالثة ، كما كان سريع القراءة ، وأغرب ما وقع له في ذلك أنه قرأ في رحلته الشامية المعجم الصغير للطبراني^(١) في مجلس واحد فيما بين صلاتي الظهر والعصر ، وقرأ في مدة إقامته بدمشق - وهي سبعون يوماً - قريباً من مائة مجلد مع ما يعلّقه ويقضيه من أشغاله .

وكان ذكياً سريع البديهة ، وإليك حادثة تشهد له بذلك :

حكى العلامة المناوي في فيض القدير (٥٤٦/٣) أن الحافظ لما كان شيخاً للقضاة مرّ يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار ، وأثوابه ملطخة بالزيت ، وهو في غاية الرثاثة والشناعة ، فقبض على لجام بقلته وقال : "يا شيخ الإسلام! تزعم أن نبيكم قال : "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" ، فأني سجن أنت فيه ، وأني جنة أنا فيها؟! فقال : "أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأنتي الآن في سجن ، وأنت بالنسبة لما أعد الله لك من العذاب الأليم كأنتك في جنة" . فأسلم اليهودي .

(١) عدد أحاديثه (١٢٠٠) تقريباً .

أولع الحافظ منذ صباه بالأدب وقرض الشعر ، وشعره جيد ، وهو من الشعراء
المبرزين في عصره ، وله ديوان شعر . ومن لطيف شعره قوله :

ثلاث من الدنيا إذا هي أقبلت لشخص فلا يخشى من الضر والضير
غنى عن بنيتها ، والسلامة منهم ، وصحة جسم ثم خاتمة الخير
وقوله :

خيلى ولئى العمر منأ ولم تنب وننوى فعال الصالحات ولكننا
فحتى متى نبني البيوت مُشيدة وأعمارنا منأ تُهد وما تُبنى

٩ - من ثناء أهل العلم عليه :

أثنى عليه جماعة من شيوخه ومعاصريه ، ولما حضرت شيخه العراقي الوفاة ، قيل
له : من تُخلف بعدك ؟ قال : « ابن حجر ثم ابني أبو زرعة ثم الهيثمي » .

وقال ابن فهد : « هو - متع الله بطول بقائه - إمام علامة ، حافظ محقق ، متين
الديانة ، حسن الاخلاق ، لطيف المحاضرة ، حسن التعبير ، عديم النظير ، لم تر العيون
مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه » .

وقال أيضا : « الإمام العلامة الحافظ ، فريد الوقت ، مفخرة الزمان ، بقية الحفاظ ،
علم الأئمة الاعلام ، عمدة المحققين ، خاتمة الحفاظ المبرزين والقضاة المشهورين » .

وقال السخاوي : "وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة ، والمعرفة التامة ،
والذهن الوقاد ، والذكاء المفرط ، وسعة العلم في فنون شتى ، وشهد له شيخه العراقي
بأنه أعلم أصحابه بالحديث ، وقال كل من التقى الفاسي والبرهان الحلبي : « ما رأينا
مثله » .

وقال رضى الدين الغزي : « وبالجملة : فهو إمام زمانه ، وحافظ وقته وأوانه ، وعنده
من الذكاء والفطنة وصفاء القرحة ما تحير فيه الأبصار » .

وقال السيوطي : « شيخ الإسلام ، وإمام الحفاظ في زمانه ، وحافظ الديار
المصرية ، بل حافظ الدنيا » .

وقال ابن العماد : « قال بعضهم : كان شاعراً طبعاً ، مُحدثاً صناعة ، فقيهاً تكلفاً ، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ، ومعرفة العالي والنازل ، وظل الحديث ، وغير ذلك ، وصار هو المَعْوَلُ عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار ، وقنوة الأمة ، وعلامة العلماء وحجة الأعلام ، ومُحيي السنة » .

وقال الشوكاني : « وشهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، حتى صار إطلاق لفظ (الحافظ) عليه كلمة إجماع » .

١ - مصنفاته :

صنف الحافظ كتباً كثيرة ، منها ما يقع في عدة مجلدات ، ومنها ما يقع في أوراق معدودة ، وقد رُزقت مصنفاته الشيوخ والانتشار ، فسارت بها الركبان ، وتهانتها الملوك والأمراء ، أما عددها : فقال رضى الدين الغزي : « بلغنى عن جماعة من أصحابه أنها تزيد على المائة » اهـ . قلت : بل على المائتين ، ومن أشهرها :

- ١ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى .
- قال ابن فهد : "هو أولها بالتعظيم ، وأولها في التقديم" .
- ٢ - تهذيب التهذيب .
- ٣ - تقريب التهذيب .
- ٤ - لسان الميزان .
- ٥ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .
- ٦ - الإصابة في تمييز الصحابة .
- ٧ - المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية .
- ٨ - القول المسدد في النبِّ عن المسند للإمام أحمد .
- ٩ - إتحاف المهرة بأطراف العشرة . (خ) .
- ١٠ - نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار .

ومما يحسن التنبية عليه أن الكتاب المتداول بين الناس بعنوان (الاستعداد ليوم المعاد) المنسوب تأليفه إلى الحافظ باطل النسبة إليه بلا شك ، ومن قرأه ورأى ما فيه من الأحاديث المكتوبة الموضوعة علم يقيناً أن الحافظ منه بريء !

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن فاخوري - حفظه الله - مقالا نشره في مجلة الجامعة السلفية بالهند (مج ١٠/عدد ٢ - ربيع الأول ١٣٩٨ هـ) بعنوان : (أما لهذه الأيدي من يقطعها!!!) بين فيه بياناً شافياً بطلان نسبة هذا الكتاب إلى الحافظ ، فراجع إن شئت الاستزادة .

١١- وفاته ،

في أثناء شهر ذي القعدة سنة (٨٥٢ هـ) أصاب الحافظ إسهال مع رمى دم (١) ، واستمر به هذا المرض إلى أن انتقل إلى جوار ربه بعيد صلاة العشاء من ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته .

وصُلِّيَ عليه قبيل صلاة الظهر بمصلى المؤمنين بالرميلة خارج القاهرة ، وحضر الصلاة عليه السلطان الظاهر جمقمق ، وشهد جنازته خلق عظيم ، وتنافس العلماء والأمراء على حمل نعشه ، وقيل : إن السماء أمطرت على نعشه مطراً خفيفاً ، ودُفن بالقرافة الصغرى ، وقد غلِقَ الباب بعده ، وخُتِمَ به هذا الشأن كما قال السيوطي .
ورثاه جماعة من الشعراء ، منهم تلميذه شهاب الدين الحجازي ، ومطلع مرثيته :

كَلَّ البَرِيَّةَ لِلْمَنِيَّةِ صَانِرَةً وَقَفُّوْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا سَانِرَةً

وفيها يقول :

ومعاد الإسماع إذ هي شاغرة	لهفي على الإملاء عطل بعده
قد كان معبوداً لكل مناظرة	لهفي عليه حافظ العصر الذي
حاري المقصود عند محاضرة	لهفي على الفقه المهذب والمحرر
كانت بها كل الأفاضل ماهرة	لهفي عليه خزانة العلم التي

(١) هو المرض المعروف الآن بـ "الدوستاريا" .

١٢- مصادر الترجمة :

- ١ - الضوء اللامع للسخاوي (٢/٣٦ - ٤٠) .
- ٢ - لحظ الألاحظ لابن فهد (ص ٣٢٦ - ٣٤٢) .
- ٣ - بهجة الناظرين لرضي الدين الغزالي (ق ٧٧/ب - ٧٩/أ)
- ٤ - نظم العقيان (ص ٤٥ - ٥٣) .
- ٥ - حُسن المحاضرة (ص ١/٣٦٣ - ٣٦٦) .
- ٦ - ذيل الطبقات (ص ٢٨٠ - ٢٨٢) (طبقات الحفاظ من ٥٤٧ - ٥٤٨) وكلها للسيوطي .
- ٧ - شذرات الذهب لابن العماد (٧/٢٧٠ - ٢٧٣) .
- ٨ - البدر الطالع للشوكاني (١/٨٧ - ٩٢) .
- ٩ - التاج المكلل لصديق حسن خان (ص ٣٦٢ - ٣٦٣) .
- ١٠ - الأعلام للزركلي (١/١٧٨ - ١٧٩) .
- ١١ - معجم المؤلفين لعمر كحالة (٢/٢٠ - ٢٢) .
- ١٢ - ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته - لشاكر عبد المنعم . وغيرها .

* * * * *

* * *

*

نماذج من صور المخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله على كل حال ونعمه بالذي جعلنا من أجل المار
 رسالة العترة العباسية في الدنيا والآخرة انه هو الموفق
 الفناء وتتميد ان لا الدلائل وحده لا شريك له سجد
 الارزاق والاعمال والاعمار والمنقول على المقصود
 في عبادته من يباد به بالنعم التي ليست بقصار وتتميد
 ان يحكم عبيده ورسوله المصطفى المختار ملاذ الهلاك
 في التوازل الحجاز والشافع المتعبر من اوسنة
 الحكيم بحلاصه من غنم المت الجبار صل الله عليه
 وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله وسلامه
 انا القليل والمراد المهار اتماما على تدوير
 السؤال من الارزاق مع الله بهم في جميع الاحبار
 الواردة في الطالعون مع شرح غريبها وتفسير معانيها
 على الاتهام وتفسيرها وتبيين احكامها وتفسير اسمائها
 واجبت وتعلم في ذلك والله اعلم بالانعام في جميع

الصورة الاولى من نسخة تركيا

صور المخطوطات

١٥

٨٨

صحة الخلاف من نسخة تركيا

اعمال الكتاب في المصنفه ادم الله اليه رجوعه
 وكان الفراغ منه في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٠
 وبالله التوفيق
 سيدنا محمد وآله وصحبه
 وسلم تسليمنا
 ابو الحسن
 الحسين

انما الفراغ من تصحيحها في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٠
 وبيعها في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٠
 باسم السيد الفقير الي الله تعالى السيد محمد
 ابن العباس بن احمد بن محمد بن الحسين بن الحسين
 المصنف السابق لعلمنا
 محمد بن الحسين

(الفلاف والصفحة الاولى والاخيرة من نسخة تركيا)



ذلك محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يحدت في تلبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من عادته في يوم الجمعة رداءه وصوته المنزه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من جئتكم فخرى وراءه فاحضروا به من البيضاة ما يحضرونه
وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما يحدت في تلبس النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اجزائه بلوا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من بعد الصبر من أمر الله تعالى
من بعده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعد الصبر من أمر الله تعالى
محمد بن عثمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب
محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أما في يوم الجمعة من بعد الصبر من أمر الله تعالى
محمد بن عثمان بن الحسين بن علي بن أبي طالب
محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

اشيخ
أحمد بن محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
محمد بن أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب



الصفحة الأولى من نسخة الرباط

صفحة التلخيص من نسخة الرباط

الحمد لله الذي جعل من جبرئيل عليه السلام روحا متوحدا
بما بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم من
عذراؤه من بعده من تلامذة وخير من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة
عنه صلى الله عليه وآله وسلم من بعده من تلامذة

التلخيص

هو

أما

الصفحة الأخيرة من نسخة الرباط

(الغلاف والصفحة الثالثة والأخيرة من نسخة الرباط)

مكتبة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

هذا كتاب من كتب
المكتبة العامة
بمدينة القاهرة
رقم الكتاب
١٨٠٠



إلى الطاهرين فيلينا من قبل الأمانة
ومقتضى خدمهم المبررين، لدر الأمانة وأبنا

١٨٠٠

تعالى ما نوسيت التفرقة بين الله تعالى
هو الله على من طاهر الحمد لله ربنا
الله جل جلاله

صحة الخلف من نسخة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

فقد تكرر سؤال الأحرار من أديهم في جميع الأقاليم
الواردة في الفاعون مع شرح عنهما وتبسيطها بما
على الأقسام ومترسبها ونسبها إحصاءها وتحسين
إتسافها ما حتمت جوبنتهم في ذلك وأتمت رسمها كما
في جميع المسالك ورزمتها على عهد الأمانة
في مدينة القاهرة في العيون
في بيان ذلك شأن في مخرج من البلد
الذي ينج بها والدخول إليها بما يسترع ذلك
بعد وقوعه وضمت كل بقعة يشتم على كنفها فيه
الصحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية

للإمانة

(الغلاف والصفحة الأولى من نسخة الدار)

بني اللان في فصل الطلاق ما كان في

فصل البرن الريم

البرن الريم في حال انفاردين لا يفسد ولا يفسد ولا يفسد ولا يفسد
وهو الذي يرب له بعد ذلك والعلل في الطلاق والطلاق في ما ذكره
بالسنة التي نسبت لبقا والسنه ان هو بعد من الصلح الفلاني ولا في الفلاني
الكله في الشفع او لبقه الفلاني بعد من قبل الكلب الفلاني في
أو المقتضين بعدا بملوه وسواها من الفلاني والفلاني الفلاني
في عدم في مع اذنا بمراده في الفلاني في الفلاني الفلاني
في الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
في بيان الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة الهند

منح الطلاق ويخرج اباس من كل فرع حتى اصل الفلاني
واقتضوا في الطلقات واقتضوا الفلاني والفلاني
والفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
والفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني الفلاني
الصفحة الأخيرة من نسخة الهند

الحاج محمد اسلمية بالبلد الفلاني

قيد تصوير المخطوطات

لنهائية

(الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من حال أهل النار ، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، إنه هو الغفور الغفار .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مقدر الأرزاق والأعمال والأعمار ، والمتطول على المقصرين في عبادته من عباده بالنعم التي ليست بقصار ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، ملاذ الخلائق في النوازل الكبار ، والشافع المشفع فيمن لوبيقته الكبائر بخلاصه من غضب الملك الجبار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله المنتقين الأبرار ، صلاة وسلاما دائمين أثناء الليل وأطراف النهار ، أما بعد :

فقد تكرر سؤال الإخوان - نفع الله بهم - في جمع الأخبار الواردة في الطاعون ، مع شرح غريبها ، وتيسير معانيها على الأفهام ، وتقريبها ، وتبيين أحكامها ، وتحسين أقسامها ، فأجبت رغبتهم في ذلك ، والله أسأل الإعانة في جميع المسالك .

ورتبته على خمسة أبواب :

الباب الأول : في مبدئه .

الباب الثاني : في التعريف به .

الباب الثالث : في بيان كونه شهادة .

الباب الرابع : في حكم الخروج من البلد الذي يقع بها والدخول إليها .

الباب الخامس : فيما يشرع فعله بعد وقوعه .

وختمت كل باب بفصل يشتمل على كشف ما فيه من مشكل لفظ أو اسم ، وسُقت الأحاديث (١) محنوفة الأسانيد غالباً ، لكن أنبه على من أخرجها من الأئمة وعلى حكمها من الصحة أو الحسن أو الضعف ، ملخصا لبيان علته تارة ، ومستوعباً أخرى .

وسميت « بذل الماعون في فضل الطاعون » . (والله أسأل : أن لا يجعل ما علمنا علينا وبالأ ، وأن يختم لنا بالحسنى بفضل وكرمه سبحانه وتعالى) (٢) .

(١) وفي نسخة الهند (الأخبار).

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الهند.

ذكر فهرسة فصول أبوابه (١)

الباب الأول : في صبدأ الطاعون . وفيه أربعة فصول :
الأول : في بيان كونه رجزاً .

الثاني : في بيان كونه رحمة وشهادة لامة محمد ﷺ .

الثالث : في بيان من نزل عليه الرجز المذكور من القدماء .

الرابع : في بيان ما يشكل منه .

الباب الثاني : في التعريف به ، وفيه تسعة فصول :
الأول : في ذكر اشتقاقه .

الثاني : في بيان أن الطاعون أخص من الوباء .

الثالث : في سياق الأحاديث الواردة فيه ، وبيان كونه من وخز الجن .

الرابع : في ذكر الجواب عن إشكال ورد عليه .

الخامس : في ذكر كيفية الجمع بين قوله : "إخوانكم" و "أعدائكم" .

السادس : في بيان أن الجن قد يُسلطون على الإنس بغير الوخز .

السابع : في ذكر الحكمة في تسليط الجن .

الثامن : في ذكر الآثار الواردة في الأذكار التي تحرس قائلها من كيد الجن ، فمنها

آثار في بيان آيات من القرآن ، ومنها آثار في بيان أدعية نبوية .

التاسع : في ذكر بيان ما يشكل في هذا الباب .

الباب الثالث : في بيان أن الطاعون شهادة للمسلمين ، وفيه عشرة فصول :

الأول : في سياق الأحاديث الواردة في ذلك .

الثاني : في ذكر الدليل على أن الشهادة قد تحصل بالنية .

الثالث : في ذكر معنى الشهيد .

الرابع : في ذكر جواب من استشكل الدعاء بالشهادة مع أن فيه تمكين الكافر من

قتل المسلم ، وتمني المعصية ممتنع .

الخامس : في ذكر الدليل على تفاوت الشهداء في الفضل .

(١) هذه الفهرسة غير موجودة في نسخة الرباط وتركيا.

السادس : في ذكر الدليل على أن شهيد المعركة أفضل من سائر الشهداء بغير القتل إلا الطاعون فإنه يساويه .

السابع : في ذكر الشروط التي تَلْحَقُ شهيد الطاعون بشهيد المعركة .

الثامن : في ذكر الجواب عن دعاء النبي ﷺ للمدينة أن لا يدخلها الطاعون مع كونه شهادة .

التاسع : في ذكر الجواب عن حديث ورد يُشكل على كون الطاعون شهادة ورحمة ، وفيه بيان السبب في كثرة وقوع الطاعون .

العاشر : في ذكر بيان ما أشكل من ألفاظ هذا الباب .

الباب السابع : في حكم البلد الذي يقع فيه الطاعون . وفيه أربعة فصول :

الأول : في ذكر الزجر عن الخروج من البلد الذي يقع فيه فراراً منه .

الثاني : في قصة عمر - رضي الله عنه - في رجوعه من طريق الشام لما بلغه أن

الطاعون وقع بالشام ، وخبر عبد الرحمن بن عوف في ذلك ، وسياق

الأخبار الشاهدة لصحة ذلك ما بين مرفوعة وموقوفة ، وبيان اختلاف

الصحابة في ذلك ومن بعدهم من العلماء ، وبيان حكم من خرج قاراً منه ،

وما اعتل به من أجاز الفرار وبيان الرد عليهم من أوجه : فيها بيان الجمع

بين حديث "لا عدوى" وحديث "فر من المجنوم فرارك من الأسد" .

الثالث : في ذكر بيان الحكمة في النهي عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون .

الرابع : في ذكر بيان ما أشكل من ألفاظ هذا الباب .

الباب الثامن : في معرفة ما يشرع فعله في الطاعون بعد وقوعه .

وفيه خمسة فصول :

الأول : هل يشرع الدعاء برفعه أو لا ؟ وعلى الأول : هل يشرع الاجتماع لذلك إذا

وقع عاماً أو لا ؟ وعلى الأول : هل يكتفى فيه بالقنوت كما في سائر

النوازل أو يقاس على النازلة الخاصة فيشرع الصوم قبله ثم الخروج إلى

الصحراء كما في الاستسقاء ؟

الثاني : هل الطاعون إذا وقع عاماً بالنسبة للشخص الواحد كالمرض المخوف إذا

حصل له أو لا ؟

الثالث : في بيان ما يحتز به أيام وقوع الطاعون وغيره من الأمراض العامة ،
واتصل بذلك الكلام على العلوى أيضاً .

الرابع : في الآداب المتعلقة بمن أصابه الطاعون وهي : التوجه إلى الله تعالى
بسؤال العافية ، والصبر على القضاء ، والرضى به ، وحسن الظن بالله ،
وبيان أدب العبادة وفضلها ، وصفة ما يدعو به العائد من الآثار القوية .

الخامس : في ذكر بيان ما يشكل من ألفاظ هذا الباب .

وفي آخر الكتاب خاتمة في بيان الطواعين الواقعة في الإسلام ، ونبذة مما قيل
فيها .

* * * * *

* * *

*

الباب الأول

في مبدأ الطاعون
[وفيه أربعة فصول]

الفصل الأول

[في بيان كونه وجزا]

أخبرني أبو المعالي الأزهري ، أخبرنا أبو العباس الطبري ، أخبرنا أبو الفرج بن الصيقل ، أخبرنا أبو محمد بن هاشم ، أخبرنا أبو القاسم الشيباني ، أخبرنا أبو علي التميمي ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : كنت بالمدينة فبلغني أن الطاعون بالكوفة ، فلقيت إبراهيم بن سعد - يعني ابن أبي وقاص - فسألته ، فقال : سمعت أسامة بن زيد يحدث سعداً أن رسول الله ﷺ قال : « إن هذا الوجع رجس وعذاب أو بقية عذاب - حبيب يشك - عذب به ناس من قبلكم ... » الحديث (١) .

وهكذا أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من حديث شعبة (٢) .

ورواه الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت فقال : عن إبراهيم بن سعد عن أسامة وسعد جميعاً . أخرجه مسلم أيضاً (٣) .

ورواه الثوري عن حبيب فقال : عن إبراهيم بن سعد عن أسامة وسعد وخزيمة بن ثابت وبه إلى الإمام أحمد (٤) قال : حدثنا وكيع .

ح وقرأت على إبراهيم بن أحمد التنوخي بالقاهرة ، وإبراهيم بن محمد المؤذن بمكة ، كلاهما عن أحمد بن أبي طالب سماعا ، أخبرنا أبو المنجأ بن اللثي (٥) ، أخبرنا أبو

(١) المسند (٢٠٩/٥) .

(٢) البخاري (١٧٨/١٠) - كتاب الطب ، ٢٠ - باب ما يذكر في الطاعون .

ومسلم (١٧٣٩/٤) - كتاب السلام ، ٢٢ - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .

(٣) مسلم في نفس الموضوع السابق .

(٤) المسند (١٨٢/١) .

(٥) أبو المنجأ بن اللثي : المنجأ : بفتح النون وتشديد الجيم . واللثي : بفتح اللام وتشديد المثناة فوق ، وقيل له ابن اللثي : لأن جده كان يؤتى باللبن والسمن فيلت أحدهما بالآخر ، أو يأمر من يلبته . قاله الإمام النووي في كتاب الترخيص في الإكرام بالقيام ص (٨٠) ط . دار البشائر الإسلامية ، بتحقيقنا .

الوقت ، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن أعين ، أخبرنا إبراهيم بن خزيم ، حدثنا عبد بن حميد ، حدثني أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع بن الجراح .

ح وقراته عالياً على أم الحسن التنوخية ، عن أبي الفضل بن قدامة ، أخبرنا محمود بن إبراهيم في كتابه ، أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر ، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني ، حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي ، حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي (١) ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد ، عن سعد بن مالك وأسامة بن زيد وخزيمة بن ثابت - رضى الله عنهم - قالوا : قال رسول الله ﷺ « إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذب به قوم ... » الحديث .

لفظ أبي بكر بن أبي شيبة أخرجه مسلم (٢) عن أبي بكر بن أبي شيبة على الموافقة ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى عن محمود بن غيلان عن وكيع ، فوقع لنا بدلاً عالياً جداً .

ودواه عامر بن سعد أيضاً عن أسامة .

أخبرني أبو الفرج بن العربي ، أخبرنا أبو الحسن بن قريش قراءة عليه وأنا أسمع بقراءة الحافظ أبي الفتح اليعمرى ، أخبرنا إسماعيل بن عبد القوي بن عزون قال : قرئ على فاطمة بنت سعد الخير وأنا أسمع ، أن فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الجوزدانية أخبرتهم بقراءة الحافظ بن محمد اليُونَارْتِي (٣) ، قالت : وأنا حاضرة أسمع ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن ريذة (٤) ، أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٥) ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديري ، أخبرنا عبد الرزاق (٦) ، أخبرنا

(١) المخرمي: بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المكسورة. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) مسلم (٤/١٧٣٩) - ٢٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها.

(٣) اليُونَارْتِي: بضم الياء التحتانية ، وسكون الواو ، ثم نون ، وفتح الراء ، بعدها مثناة. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) ريذة: بكسر الراء ، وسكون التحتانية ، بعدها ذال معجمة. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) المعجم الكبير (١/١٣١).

(٦) المصنف (١١/١٤٦).

معمر ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الوباء رجز أمك الله به بعض الأمم ، وقد بقي في الأرض منه شيء ، يجئ أحياناً ، ويذهب أحياناً ... » الحديث .

أخرجه أحمد (١) عن عبد الرزاق على الموافقة العالية .

وأخرجه مسلم (٢) عن أبي كامل الجعفي ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن معمر ، وخالفه مسدد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن معمر .

قرأت على فاطمة بنت محمد المقدسية بصالحية دمشق ، عن محمد بن عبد الحميد ، عن إسماعيل بن عبد القوي بن عزون سماعاً بهذا الإسناد إلى الطبراني (٣) قال : حدثنا معاذ بن المثني ، حدثنا مسدد ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ... فذكره غير أنه قال : « شيء عذب به الأمم قبلكم ... » الحديث .

وهذا الاختلاف لا اثر له بدليل رواية الأعمش والثوري الماضيتين قبل حديث جمعا فيها بين أسامة وسعد .

ويه إلى الطبراني (٤) ، حدثنا هارون بن كامل ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني الليث واللفظ له .

قال : وحدثنا إسماعيل بن الحسن ، حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب .

كلاهما عن يونس ، عن ابن شهاب نحو حديث عبد الرزاق ، ولفظه : « إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى » .

أخرجه ابن خزيمة من طريق ابن وهب ، وهكذا رواه عامة أصحاب الزهري عنه ، عن عامر بن سعد ، عن أسامة بن زيد وحده .

(١) المسند (٥/٢٠٧).

(٢) مسلم في نفس الموضوع السابق.

(٣) المعجم الكبير (١/١٣٢).

(٤) المعجم الكبير (١/١٣٢).

وقد رواه ابن أبي ذئب عن الزهري بسند آخر .

وبه إلى الطبراني (١) ، حدثنا عمرو بن حفص السنوسي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن سالم - هو ابن عبد الله بن عمر - عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة : أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في طريق الشام ، لما بلغه أن بها الطاعون ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن هذا الوجد أو السقم عذاب عذب به من كان قبلكم ... » الحديث .

ورواه محمد بن المنكر وسالم مولى أبي النضر وعمرو بن دينار كلهم عن عامر بن سعد عن أسامة .

أخرجه البخاري ومسلم (٢) من طريقه ، وفي بعض طرقه : « عذب به بعض بني إسرائيل » .

وفي رواية عمرو بن دينار ، عن عامر بن سعد : جاء رجل إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن الطاعون وعنده أسامة ، فقال أسامة : أنا أخبرك ... فذكر الحديث .

وهذا لا يدفع الرواية عن سعد لاحتمال موافقته أسامة ، بأن يكون تذكر الحديث لما حدث به أسامة .

وقد أقدم ابن عبد البر على تخطئة الرواية عن غير أسامة وتبعه عياض وليس بجيد ، والله تعالى أعلم .

وسيجي ما يتعلق ببقية هذا الحديث واستيفاء طرقه في الباب الرابع إن شاء الله تعالى .

(١) المعجم الكبير (١/١٢٠).

(٢) البخاري (٥١٣/٦) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ .

مسلم (١٧٣٧/٤) نفس الموضع السابق.

[الفصل الثاني]

ذكر البيان بأن الطاعون إنما كان مذهباً على الكفرة ممن مضى
لا على المسلمين منهم ، وأنه لمؤمني هذه الأمة رحمة وشهادة

قال الإمام أحمد (١) : حدثنا يزيد - هو ابن هارون - ، حدثنا مسلم بن عبيد قال :
سمعت أبا عسيب (٢) مولى رسول الله ﷺ يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أتانا
جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى
الشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ، ورجس (٣) على الكافرين » .

قراة عالية على أم يوسف المقدسية بصالحية دمشق ، عن إبراهيم بن صالح بن
العجمي : أن يوسف بن خليل الحافظ أخبرهم ، أخبرنا خليل بن بدر ، أخبرنا الحسن
ابن أحمد المقرئ ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا
الحارث بن محمد ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا مسلم بن عبيد أبو نصيرة قال :
سمعت أبا عسيب ... فذكر مثله سواء ، لكن قال في آخره : « على الكافرين » .

هذا حديث حسن .

وأبو عسيب المهملتين ، وآخره موحدة ، بوزن عظيم ، اسمه أحمر ، وهو بكنيته
أشهر ، وقد وقع لنا حديثه هذا بعلو في معجم الطبراني والمعرفة لابن منده ، وانقله في
الطبراني : « فأرسلت الحمى إلى قباء » ، وله حديث آخر أخرجه ابن منده ، ولا أعرف
له غيرهما .

والراوي عنه أبو نصيرة بنون ومهملة مصغر ، وأبوه عبيد بالتصغير أيضا ، وهو ثقة
عند أحمد وغيره .

(١) المسند (٨١/٥).

(٢) عسيب: بفتح العين ، وكسر السين المهملتين ، ثم تحتانية ساكنة ، ثم موحدة . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) رجس: هو بكسر الراء وسكون الجيم ، بعدها مهمل ، لا يغير قوله في الرواية الماضية رجس :

لأنهما بمعنى ، قال ابن السمعاني : الرجس والرجس واحد وهو العذاب . قلت : إطلاق الرجس على
الرجس من إبدال الزاي سيناً وهو كثير ، والرجس أيضا اللبذ والنجس وليس هو المراد هاهنا .
(منه رحمه الله تعالى باختصار).

ولحديثه شواهد منها : في البخاري (١) عن عائشة : « أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، فجعله رحمة للمؤمنين » . وسيأتي في الباب الثالث ، ويأتي فيه أخبار أخرى في كونه رحمة لامة محمد ﷺ .

وقريب من التفسير المذكور ما أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أنس بن مالك : أنه دخل على عائشة هو ورجل آخر ، فقال لها ذلك الرجل : يا أم المؤمنين ، حدثينا عن المنزلة . فقالت : إذا استباحوا الزنا ، وشربوا الخمر ، وشربوا بالمعازف ، غار الله في سماءه فقال للأرض : تزلزلي بهم ، فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمتها (٢) عليهم .

قال : يا أم المؤمنين أذاباً لهم؟ قالت : بل موعظة ورحمة للمؤمنين ، وعذاباً وسخطاً للكافرين . قال أنس : ما سمعت حديثاً بعد رسول الله ﷺ أنا أشد به فرحاً مني بهذا الحديث .

* * * * *

* * *

*

(١) البخاري (٥١٣/٦) - كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤ . و (١٩٢/١٠) - كتاب الطب ،

٣١ - باب أجر الصابر على الطاعون .

(٢) وفي نسخة الهند (هدياً) .

[الفصل الثالث]

ذكر بيان الرجز المذكور و من نزل به عليه

قرأت على فاطمة المقدسية ، عن عبد الرحيم بن عبد المحسن ، أن عبد الغني بن سليمان أخبرهم ، أخبرنا عَشِير (١) بن علي ، أخبرنا مرشد بن يحيى المديني ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن الحطاب (٢) ، قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن القهْستاني (٣) ، أخبرنا أبو الحسن علي بن حسان ، حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن سليمان ، حدثنا عثمان - هو ابن أبي شيبة - ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا سفيان .

وحدثنا عبد الله بن الحكم ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل .

قالا : حدثنا أبو إسحاق ، عن عمارة - هو ابن عبد الله السلولي - عن علي بن أبي طالب : أن نبياً من الأنبياء عصاه قومُه فقبل له : نقلتهم بالجوع . قال : لا . قال : نسلط عليهم عدواً من غيرهم . قال : لا ، ولكن موت دفيق . قال علي : فسلط الله عليهم الطاعون فجعل يقل العد ، ويحرق القلوب . لفظ سفيان ، ولفظ إسرائيل نحوه وزاد وهو بقية عذاب هُذَّب به من كان قبلكم .

هذا إسناد حسن أخرجه مُطَيَّنٌ في مسنده هكذا ، وكأنته جعل له حكم الرفع إذ لا مجال للرأى فيه .

ثم رأيت في المبتدأ لابن إسحاق في سبب تأسيس داود عليه السلام بيت المقدس : أن الله تعالى أوحى إلى داود أن بني إسرائيل قد كثر طغيانهم ، فخيرهم بين ثلاث : إما أن أبتليهم بالقط سنتين ، أو أسلط عليهم العدو شهرين ، أو أرسل عليهم الطاعون ثلاثة أيام . فخيرهم فقالوا : أنت نبينا فاختر لنا . فقال : أما الجوع فإنه بلاء فاضح لا صبر عليه ، وأما العدو فلا بقية معه ، فاختر لهم الطاعون ، فمات منهم إلى أن زالت الشمس سبعون ألفا ، ويقال مائة ألف ، فنضرو داود إلى الله تعالى لوفقه

(١) عَشِير: بمهمله، ثم بمعجمة، وزن عظيم. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) الحطاب: بحاء مهمله. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) القهْستاني: بضم القاف والهاء، وسكون المهملة بعدما مشاة. (منه رحمه الله تعالى).

عنهم ، فقال داود : إن الله قد رحمكم فأحدثوا له شكراً بقدر ما أبلاكم ، فشرع في تأسيس المسجد إلى أن كان إكماله على يد ولده سليمان عليهما السلام .

ووجدت أصل هذا الحديث عند أحمد (١) والنسائي في الكبرى بسند طلي شرط مسلم من طريق ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب مرفوعاً ، وصححه ابن حبان ، لكن لم يسم فيه داود ، وقال الموت بدل الطاعون ، وفي آخره أنه ﷺ كان يقول عقب صلاة العصر - وفي رواية الفجر - : « اللهم بك أقاتل ، وبك أحاول - وفي رواية : أصاول - ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وأخرج عبد بن حميد ، وأبو جعفر بن جرير الطبري (٢) واللفظ له ، وأبو محمد بن أبي حاتم ، في تفاسيرهم ، وإبراهيم الحربي في غريبه باختصار ، كلهم من طريق يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة قال : أمر موسى قومه من بني إسرائيل ، وذلك بعد ما جاء قوم فرعون الآيات الخمس ، الطوفان وما ذكر الله في الآية - يعني قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا طَافِقَهُمُ الْطُوفَانَ وَالجُرَادَ ... ﴾ [الأعراف : ١٣٣] - فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل ، فقال : ليذبح كل رجل منكم كبشاً ، ثم ليخضب كفه في دمه ، ثم ليضرب به على بابه ، فقال القبط لبني إسرائيل : لِمَ تجعلون هذا الدم على أبوابكم ؟ فقالوا : إن الله يرسل عليكم هذا يا يقتلكم وتهلكون . فقال القبط : فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات ! فقالوا : هكذا أمرنا نبينا ، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفاً ، فأمسوا وهم لا يتدافعون ، فقال فرعون عند ذلك لموسى عليه السلام : ﴿ ادْعُ نَا رَبِّكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرُّجْزَ ﴾ وهو الطاعون ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] فدعا ربه فكشفه عنهم .

هذا مرسل قوى الإسناد .

والقُمي : بضم القاف ، وتشديد الميم ، نسبة إلى قم ، بلد مشهور في العجم ، وهو أشعري النسب ، ويكنى أبا الحسن ، قواه النسائي ووثقه الطبراني ، وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(١) المسند (٤/٣٣٣) ، (١٦/١) .

(٢) جامع البيان (١/٤٠) .

وشيخه جعفر بن أبي المغيرة خزاعي النسب ، وهو قُمي أيضاً ، وهو تابعي صغير ،
 واسم أبي المغيرة دينار ، أفاده أبو نعيم في تاريخ أصبهان ، وقال ابن منده : ليس
 بالقرني ، ونقل ابن شاهين توثيقه عن أحمد ، وذكره ابن حبان في الطبقة الثالثة من
 الثقات ، وأخرج له البخاري في الألب المفرد وأبو داود والترمذي والنسائي . وقد ذكر
 أبو داود في كتاب الصلاة من السنن عن محمد بن حميد قال : سمعت يعقوب القمي
 يقول : كل شيء ، حدثكم عن جعفر ، عن سعيد ، عن النبي ﷺ فهو مسند عن ابن
 عباس . انتهى .

وقد أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن يعقوب بعض هذا الحديث موصولاً بذكر
 ابن عباس فيه ، وأخرجه الطبري^(١) كذلك لكن أدخل بين سعيد بن جبير وابن عباس
 رجلاً ، والأول أثبت .

وأخرج الطبري^(٢) وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيع ، عن مجاهد قال :
 (الطوفان - يعنى المذكور في الآية الماضية - هو الطاعون . وذكرنا فيه أقوالاً أخرى
 أرجحها أنه الماء .

ومن طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد قال : (٣) الرجز العذاب^(٤) . وهذا لا ينافي
 الحديث الماضي أنه الطاعون ، فقد ثبت وصفه بأنه عذاب ، وبهذا أجاب إبراهيم الحري
 في غريبه بعد أن أخرج أثر مجاهد هذا . ويستفاد منه : أن المراد بالذين أصابهم
 الرجز في حديث أسامة هم قوم فرعون .

قال عياض في قوله : ' رجز على بني إسرائيل ' : قيل : مات من بني إسرائيل
 في ساعة واحدة عشرون ألفاً ، وقيل : سبعون ألفاً . قلت : قد خرجت الثاني لكنهم
 كانوا من قوم فرعون لا من بني إسرائيل ، ثم وقفت على المستند^(٥) في ذلك وهو ما
 أخرجه الطبري^(٦) من طريق سليمان التيمي التابعي المشهور ، عن سيار أن رجلاً كان

(١) جامع البيان (٤١/٩).

(٢) جامع البيان (٣١/٩).

(٣) ما بين القوسين ساقط من نسخة الدار.

(٤) جامع البيان (٤١/٩).

(٥) وفي نسخة الهند (مستنده).

(٦) جامع البيان (١٢٤/٩).

يقال له بلعام (١) كان مجاب الدعوة ، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي فيها بلعام ، فرعبوا منه رعباً شديداً ، قال : فاتوا بلعام فقالوا : ادع الله عليهم . قال : حتى أوامر ربي (٢) . فوامر فقبل له : لا تدع عليهم فإنهم عبادي ، ونيبهم معهم . قال : فامدوا له هدية فقبلها ، ثم راجعوه فقال : حتى أوامر ربي . فوامر فلم يرجع إليه شيء ، فقالوا : لو كره ريك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى . قال : فأخذ يدعو عليهم فيجري على لسانه الدعاء على قومه ، وإذا أراد أن يدعو لقومه دعا أن يفتح لموسى وجيشه ، فلاموه ، فقال : ما يجري على لساني إلا هكذا ، ولكن سألوكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ، إن الله يفيض الزنا : وإنهم إن وقعوا في الزنا هلكوا ، فأخرجوا النساء لتستقبلهم ، فإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنوا فيهلكوا . ففعلوا ، وكان للملك بنت بها من الجمال ما الله أعلم به ، فقال لها أبوها : لا تمكثي من نفسك إلا موسى . قال : فوقعوا في الزنا ، فراودها رأس سبط من الأسباط على نفسها ، فقالت : ما أنا بممكنة من نفسي إلا موسى . قال : إن منزلتي من موسى كذا وكذا ... فأرسلت إلى أبيها فأنز لها فيه فأمكنته . قال : ويأتيهما رجل من بني هارون ومعه الرمح فيطعنهما . قال : وأيده الله بقوة فانتظهما جميعاً ورفعهما على رمحه فراهما الناس . قال : وسلط الله على بني إسرائيل الطاعون فمات منهم سبعون ألفاً . وهذا حديث مرسل جيد الإسناد ، وسيار شامي ، ذكره ابن حبان في ثقات التابعين .

وقد أخرج الطبري (٣) هذه القصة أيضاً : من طريق محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النضر : أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان (٤) ، أتى قوم بلعام إلى بلعام فقالوا : هذا موسى جاء في بني إسرائيل ليخرجنا من بلادك ... فذكر القصة نحوه وأبسط منه ، وقال فيه : ثم قال : لم يبق إلا المكر والحيلة ، جعلوا النساء وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر : فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم . ففعلوا ، فلما دخل

(١) بلعام : يفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مهملة ، ويقال له أيضاً بلعم بغير ألف كما في الرواية الثانية ، وهو : ابن عابورا ، بهملة ، وموحدة مضمومة ، وواو ساكنة ، وراء مفتوحة ، ويقال : أبر : بهمة بدل العين ، وموحدة مضمومة بغير إشباع ، ويلا ألف آخره . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) أوامر ربي : أشاور ربي .

(٣) جامع البيان (١٢٥/٨).

(٤) كنعان : يفتح الكاف ، وسكون النون ، بعدها مهملة ، وبعد الألف نون . (منه رحمه الله تعالى).

للنساء العسكر ، مروت امرأة من الكنعانيين اسمها كشتابنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل - وهو زِمْرِي (١) بن شَاوْم (٢) رأس سبط شمعون (٣) بن يعقوب - فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى فقال : إني أظنك ستقول هذا حرام عليك . قال : أجل ، هي حرام عليك لا تقرّ بها . قال : فوالله لا نطيعك في هذا . ودخل بها قبته فواقع عليها ؛ فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل ، وكان فنحاص (٤) بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان قد أعطى بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً فجاء والطاعون يجوس (٥) في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حرّيته ثم دخل القبة فانتظمهما بحرّيته وهما متضاجعان ، ثم خرج بهما وجمل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورفع الطاعون فحسب من هلك من الطاعون فيما بين أن أصاب زِمْرِي المرأة إلى أن قتله فنحاص سبعون ألفاً ، والمقتل يقول عشرون ألفاً .

وأخرج الطبري هذه القصة مختصرة من أوجه أخرى ، لكن ما فيها ذكر الطاعون إلا في هاتين الروایتين ، ورجالهما ثقاة ، وكل منهما تشد الأخرى .

وقد جاء في خبر آخر أنه أرسل على طائفة من بني إسرائيل وهم ﴿ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ [البقرة : ٢٤٢] كما سيأتي بيانه ، وقول من قال : إنهم خرجوا فراراً من الطاعون .

قال عياض : يحتمل الحديث وجهين ؛ أحدهما : أنه أول ما بدأ في الأرض وحدث بالناس حدثٌ بهم . والثاني : أنهم غضبوا به .

قلت : ولا منافاة بين الوجهين فيحمل على أنه أول عذاب حدث من جنسه بلؤلئك ، ولكن تظهر المغايرة بينهما بأن يكون سبق لغيرهم لا على سبيل التعذيب ، ثم حدث بهم على سبيل التعذيب ، فتكون الأولوية مقيدة فيهم بالتعذيب لا بمطلق الطاعون ، ولا يخفى بعده ؛ لأن الطاعون يعذب الجسد بلا شك سواء كان تتسبب عنه الرحمة أو لا .

(١) زِمْرِي: بزاي مكسورة ، ومعيم ساكنة ، ثم راء . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) شَاوْم: بشين معجمة ، وواو مضمومة . منه رحمه الله تعالى .

(٣) شمعون: بشين معجمة مفتوحة . منه رحمه الله تعالى .

(٤) فنحاص: بكسر الفاء ، وسكون النون ، بعدها هاء مهملة ، وآخره صاد مهملة . (منه رحمه الله تعالى).

(٥) يجوس: بجيم وسين مهملة ، أي: يتخلهم . (منه رحمه الله تعالى).

[الفصل الرابع]

ذكر كشف مشكل ما في هذا الباب الأول سوى ما وقع في أثناء الباب

قوله : الطاعون : سيأتي في الباب الثاني.

قوله : المُخْرَمِي : بضم الميم ، وفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء المكسورة.

قوله : اليُونَارَتِي : بضم الياء التحتانية ، وسكون الواو ، ثم نون ، وفتح الراء بعدها مثناة.

قوله : ريذة : بكسر الراء ، وسكون التحتانية ، بعدها ذال معجمة.

قوله : عَسِيب : بفتح العين ، وكسر السين المهملتين ، ثم تحتانية ساكنة ثم موحدة.

قوله : رِجْس : هو بكسر الراء ، وسكون الجيم ، بعدها مهملة ، لا يفاير قوله في الرواية الماضية رجز ؛ لأنها بمعنى واحد ، قال ابن السَّمِيدَع - بفتح المهملة ، والميم ، وسكون التحتانية ، وفتح الدال المهملة ، وبالعين المهملة - : الرجز والرجس واحد وهو العذاب.

قلت : إطلاق الرجس على الرجز من إبدال الزاى سينا وهو كثير ، والرجس أيضا المبعد والنجس ، وليس هو المراد هاهنا ، وسأذكر مزيدا لذلك في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

قوله : عَشِير : بمهمله ، ثم بمعجمة ، وزن عظيم.

والحطاب : بحاء مهملة.

والقَهْشُتَانِي : بضم القاف والهاء ، وسكون المهملة ، بعدها مثناة.

قوله : بَلْعَام : بفتح الموحدة ، وسكون اللام ، بعدها مهملة ، ويقال له أيضا بلعم بغير ألف كما في الرواية الثانية ، وهو : ابن عابورا بمهمله ، وموحدة مضمومة ، (وواو ساكنة ، وراء مفتوحة ، ويقال : أْبُر : بهمزة بدل العين ، وموحدة مضمومة) ^(١) بغير إشباع ، ويلا ألف آخره.

قوله : كَنْعَان : بفتح الكاف ، وسكون النون ، بعدها مهملة ، وبعد الألف نون.

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة الهند.

قوله : زِمْرِي : بزاي مكسورة ، وميم ساكنة ، ثم راء .

وشاؤم : بشين معجمة ، وواو مضمومة .

(شَمْعُون : بشين معجمة مفتوحة) (١) .

قوله : هِنْحَاص : بكسر الفاء ، وسكون النون بعدها هاء مهملة ، وآخره صاد مهملة .

قوله : يَجُوس : بجيم وسين مهملة : أي يتخللهم .

* * * * *

* * *

*

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة الهند .

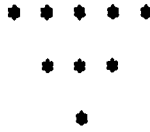
[الباب الثاني]

في التعريف به
[وفيه تسعة فصول]

[الفصل الأول]

[نفي ذكر اشتقاقه]

قال الجوهري : الطاعون وزنه فاعول من الطمن ، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالا على الموت العام كالوباء . ويقال : طُعن فهو مطعون وطعین ، إذا أصابه الطاعون ، وكذا إذا أصابه الطمن بالرمح .



[الفصل الثانی]

ذكر صفته وسبب حدوثه

قال إبراهيم العربي في غريب الحديث : الوباء هو الطاعون والمرض العام . قال : والطاعون معروف ، وهو قرحة يبلى الله بها من شاء ، يطول ذكر سببها .

وقال ابن العربي في شرح الترمذی : الطعنين الذي يُصيبه الطاعون ، وهو : الوجع الغالب الذي يطفئ الروح كالذبحة (١) ، وإنما سمي طاعوناً لعموم (٢) مصابه وسرعة قتله ، فدخل فيه مثله .

وقال أبو الوليد الباجي في شرح الموطأ : هو مرض يعم الكثير من الناس ، في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس ، ويكون مرضهم واحد بخلاف بقية الأوقات فتكون الأمراض مختلفة .

ونقل ابن التين عن الداودي قال : الطاعون حبة تخرج في الأرفاغ (٣) وفي كل طي من الجسد . والصحيح أنه الوباء . كذا قال (وكذا) (٤) قال الخليل بن أحمد في العين : الطاعون هو الوباء .

وقال ابن الأثير في النهاية في قوله **فَنَاءٌ** "فناء أمتي بالطعن والطاعون" . الطعن : القتل بالرمح ، والطاعون : المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء ، فتفسد به الأمزجة والأبدان . ومراد الحديث أن الغالب على فناء الأمة بالفتن التي تسفك فيها الدماء ، وبالوباء ، وقد تكرر ذكر الطاعون في الحديث .

(١) الذبحة : بفتح الذال المعجمة والموحدة ، وقد تسكن الباء ، وبالمهمل ، وجع يمرض في الحلق من الدم ، أو قرحة تظهر فيه من داخل فينسد معها ، وقد ينقطع معه النفس . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) وفي نسخة الرباط وتركيا (لمظلم).

(٣) الأرفاغ : بالفاء والغين ، جمع رفغ : بضم الراء وقد تفتح وسكون الفاء ، هي أصول المغابن كالآباط والحوابل ومطاري الأعضاء ، وهو مجتمع العرق والوسخ ، وقد يطلق الرفغ على الوسخ ، وليس مراداً هنا . (منه رحمه الله تعالى).

(٤) زيادة من نسخة الحرم والدار.

وقال القاضى عياض في شرح مسلم : قوله - يعنى في حديث أسامة في الطاعون - : « إن هذا الوجع أو السقم » العرب تسمى كل مرض وجعا . وقوله : « رجز » : الرجز العذاب . وقد قال في الرواية الأخرى رجس (١) حنب به بعض الأمم .

قال : وقال ابن عبد البر بعد أن ذكر الحديث : إن الطاعون غُدة (٢) كغدة البعير تخرج في المراق (٣) والأباط . قال غير واحد من أهل العلم : وقد تخرج في الأيدي والأصابع ، وحيث شاء الله من البدن .

قال عياض : أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد ، والوباء عموم الأمراض ، فسميت طاعونا لشبهها بالهلاك بذلك ، وإلا فكل طاعون وباء ، وليس كل وباء طاعونا ، ويبدل على ذلك حديث أبى موسى : « الطاعون وَخَزٌ (٤) أعدائكم من الجن » ، وإن وباء الشام الذى وقع في الأحاديث إنما كان طاعونا ، وهو طاعون عمواس وكان قروها .

وقد لخص الشيخ محيى الدين النووى في شرح مسلم كلام عياض ، وقال في تهذيب الأسماء واللغات (٥) : الطاعون مرض معروف ، وهو بَكْرٌ (٦) وورم مؤلم جدا ، يخرج مع لهيب ويسود ما حوالية أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ، ويحصل معه خفتان القلب والقسى ، ويخرج في المراق والأباط غالبا ، وفي الأيدي والأصابع وسائر الجسد .

(١) وفي الرباط والهند (رجز).

(٢) غُدة: بضم الغين المعجمة وتشديد الدال. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) المَرَأَقُ: بفتح الميم ، وتخفيف الراء ، وتشديد القاف ، هو ما رق من أسفل البطن ولان ، ولا واحد له من لفظه ، ومعناه زائدة ، قاله الجوهري . وقال أبو عبيد الهوى في الغريب: وأحدها مرق ، وهو ما أسفل من البطن من المواضع التى ترق جلودها . (منه رحمه الله تعالى).

(٤) وَخَزٌ: بفتح الواو ، وسكون الغاء المعجمة ، بعدما زامى ، وهو طعن غير نافذ ، هذا أصل الوخز ، وإنما قيل لطنع الجن: إنه غير نافذ ؛ لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر ، فيؤثر في الباطن أولا ، ثم قد ينفذ إلى الظاهر وقد لا ينفذ ، بخلاف طعن الإنس ، فإنه يؤثر لولا في الظاهر ، ثم قد ينفذ إلى الباطن وقد لا ينفذ . (منه رحمه الله تعالى وله بقية).

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١٨٧/٣).

(٦) بَكْرٌ: بضم الموحدة ، وفتح المثناة ، جمع بَكْرٌ: بفتح الموحدة والمثناة وقد يسكن ، وهو كالدمل الصغير . (منه رحمه الله تعالى).

وقال في الروضة (١) : فسر بعضهم الطاعون بانصباب الدم إلى عضو ، وقال أكثرهم : إنه هيجان الدم (في جميع البدن) (٢) وانتفاخه . قال المتولى : وهو قريب من الجذام ، من أصابه تاكلت أعضاؤه ، وتساقط لحمه . انتهى .

وأصل كلام المتولى مستمد من كلام القاضي حسين في تعليقه المشهورة ، فإنه قال : الطاعون داء يصيب الإنسان وهو قريب من الجذام ، والعضو الذي يصيبه ذلك يتاكل ويرم (٣) . وقال في تعليقه الأخرى التي علقها عنه البغوي : الطاعون يشبه الجذام يُنْجَرَحُ بِهِ عضو الإنسان ويرم .

وقال الغزالي في البسيط : الطاعون انتفاخ جميع البدن من الدم مع الحمى ، أو انصباب الدم إلى بعض الأطراف فينتفخ ذلك الموضع ويحمر ، وقد يذهب العضو إن لم يتدارك أمره في الحال . انتهى .

وقال البندنجي : الطاعون أن يسودَّ موضع من البدن .

وقال أبو على ابن سينا وغيره من حدّاق الأطباء : الطاعون مادة سُمِّيَة تحدث وربما قَتَلًا يَحْدُثُ فِي الْمَوَاضِعِ الرَّخْوَةِ وَالْمَغَابِنِ (٤) مِنَ الْبَدَنِ ، وَأَغْلَبَ مَا يَكُونُ تَحْتَ الْإِبْطِ ، أَوْ خَلْفَ الْأَنْزِ ، أَوْ عِنْدَ الْأَرْنَبَةِ (٥) ، قَالَ : وَسَبَبُهُ دَمٌ رَدِيءٌ مَائِلٌ إِلَى الْعَفْوَةِ وَالْفَسَادِ ، يَسْتَحِيلُ إِلَى جَوْهَرٍ سُمِّيَ يَفْسِدُ الْعَضْوُ وَيَغْيِرُ مَا يَلِيهِ ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْقَلْبِ كَيْفِيَّةَ رَدِيئَةٍ فِيحْدُثُ الْقِيءَ وَالغَثْيَانَ وَالغَشْيَ وَالخَفْقَانَ ، وَهُوَ لَوْدَاعَتُهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْضَاءِ إِلَّا مَا كَانَ أضعف بالطبع ، وأردأه ما يقع في الأعضاء الرئيسية ، والأسود منه قلٌّ مَنْ يَسَلِّمُ مِنْهُ ، وَأَسْلَمَهُ الْأَحْمَرُ ثُمَّ الْأَصْفَرُ .

(١) الروضة (١٢٦/٨).

(٢) ما بين القوسين غير موجود بجميع النسخ وزدناه من الروضة.

(٣) ويرم: بفتح التحتانية ، وكسر الراء ، وتخفيف الميم ، من الورم . (منه رحمه الله تعالى).

(٤) المغابن: جمع مغبن ، هي بواطن الأباط والآنخاذا وشبهها ، ويقال أيضا لمعاطف الجلد . (منه رحمه الله تعالى).

(٥) الأرنبه: أى قسبة الأنف ، وهى مما يقل وقوم الطاعون به حتى أنكره بعضهم ، لكن قد وجد مصداق ذلك فى الفناء الكبير بالديار المصرية والشامية سنة تسع وأربعين ، واستفربوه جدا حتى ذكر ذلك الصفدى فى رسالة له متعجبا منه . (منه رحمه الله تعالى).

قال ابن سينا : والطوامين تكثر عند الوباء ، وفي البلاد الويطة ، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس . قال : وأما الوباء : فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده ، ولذلك لا تمكن حياة الإنسان بل جميع الحيوان بدون استنشاقه ، بل متى عدم الحيوان استنشاق الهواء مات .

فاحصل ما اجتمع لنا من كلام من تقدم كلامه أن الطاعون أنواع :

أشهرها : ما يخرج في البدن من الورم خصوصا في المغابن ، وأنه قد يقع في اليد والأصابع وجميع الأعضاء لكنه نادر بالنسبة لما يقع في المغابن .

الثاني : يقع في أى عضو كان من البدن أيضا مثل القرحة والبثرة ، لكن لا اختصاص له بالمغابن دون غيرها .

الثالث : ما يطفئ الروح كالذبحة ، وليست الذبحة طاعونا ، وإنما في أنواع الطاعون ما يضاهيها ، ولذلك يختلف حال من وقعت به في زمن الطاعون وفي غير زمنه ، وإنما قلت ذلك لأنه ثبت في الحديث الصحيح - كما سيأتى في موضعه - أن الطاعون لا يدخل المدينة ، وثبت فيه أيضا أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الذبحة ، وكذلك البراء بن معمر ، وكلاهما كان بالمدينة ، لكن يحتمل أن يقال : إن ذلك كان قبل دعاء النبي ﷺ بأن الطاعون لا يدخلها .

الرابع : ما يقع في عضو ما فيتاكل منه كالجدام ، كما تقدم في كلام القاضى الحسين ، ورأيت له في ذلك سلفا .

فأخرج عمر بن شبة في أخبار البصرة من طريق ضمرة ، عن عبد الله بن شوذب قال : كتب زياد إلى معاوية فنذكر قصة فيها : فخرجت على أصابعه طاعونة فما أتت عليه جمعة حتى مات . وفيه : أن أصابعه تاكلت فأشاروا عليه بقطعها لأن لا تنتقل الأكلة ثم لم يفعل ذلك ومات .

تكملة

ذكر علاء الدين بن النفيس في كتاب الموجز في الطب : أن الوباء ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب سماوية أو أرضية ، فمن الأرضية الماء الآسن والجيف الكثيرة كما يقع في مواضع المعركة إذا لم تدفن القتلى ، والترية الكثيرة النز والكثيرة التمعن ، وكثرة الحشرات والضفادع . ومن السماوية كثرة الشهب والرجوم في آخر الصيف وفي آخر الخريف ، وكثرة الجنوب والسيافي^(١) الكانونين ، وإذا كثرت علامات المطر في الشتاء ولم تمطر . انتهى .

ومستند ذلك كله التجارب ، وقد ذكر الجاحظ أن العَقَّق^(٢) إذا أحس بتلك الريح هرب من تلك الأرض . قال : وكذلك الفأر يهرب تحت الأرض .

(١) الجنوب: قال ابن منظور: ربح تخالف الشمال تأتي من يمين القبلة. أ.هـ
والسيافي: جمع الصيف ، قال الفيروزآبادي: الصيف كسيد ويخفف: المطر الذي يجيء في الصيف أو بعد الربيع. أ.هـ.

(٢) العَقَّق: قال ابن الأثير في النهاية (٢/٢٧٦): في حديث النخعي: 'يقتل المحرم العقق'. هو طائر معروف نولونين: أبيض وأسود ، طويل الذنب ، ويقال له: القعقع أيضا ، وإنما جاز قتله ؛ لأنه نوع من الغربان.

ذكر البيان الدال على أن الطاعون غير مرادف للوباء

وإن إطلاقه عليه إنما هو بطريق المجاز لكونه أخص منه

ثبت في الصحيحين والموطأ^(١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وأخرج البخارى^(٢) من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة يأتيها
الدجال فيجد الملائكة فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى » .

وقد أخرج البخارى ومسلم^(٣) في كتاب العج جميعا من طريق أبي أسامة ، عن
هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدمنا المدينة وهى لوبأ أرض الله ...
الحديث . وفيه قول بلال : اللهم ألن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ،
كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء .

فلو كان الطاعون هو الوباء لتعارض الحديثان ، لكن لا تعارض بينهما ؛ لأن
الطاعون أخص من الوباء ، وتولها : لوبأ : أفعال تفضيل من الوباء ، وهو يمد ويقصر
. قال أهل اللغة : هو المرض العام . يقال : أوبأت الأرض فهى وبيئة ، ووبئت فهى
وبئة ، ووبئت بالضم فهى موبوءة .

وأرادت عائشة في وصفها المدينة بالوباء كثرة ما كان فيها من الحمى ، وقد دل
حديث أبي عسيب الماضى^(٤) أنه ﷺ اختارها على الطاعون وأقرها بالمدينة ، ثم دعا
الله فنقلها إلى الجفة ، كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أيضا^(٥) ، وبقيت

(١) البخارى (٩٥/٤) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، ٩ - باب لا يدخل الدجال المدينة.

مسلم (١٠٠٥/٢) ١٥ - كتاب العج ، ٨٧ - باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها .

الموطأ (٨٩٢/٢) ٤٥ - كتاب الجامع ، ٤ - باب ما جاء فى وباء المدينة.

(٢) البخارى : نفس الموضع السابق.

(٣) البخارى (٩٩/٤) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة ، باب ١٢ .

مسلم (١٠٠٢/٢) ١٥ - كتاب العج ، ٨٦ - باب الترغيب فى سكنى المدينة ، والصبر على لأوائها .

(٤) تقدم ذكره وتخريجه ص ٣٣ .

(٥) يعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « وأنقل حمأها إلى الجفة » . وهو قطعة من الحديث السابق عن
عائشة رضى الله عنها .

منها بقايا في المدينة ، ففي قصة العرنين في الصحيحين (١) من حديث أنس أنهم استوخموا المدينة ، وفي لفظ أنهم قالوا : إن هذه أرض ويئة . وفي رواية : أن أبدانهم سقمت ، وأن ألوانهم اصفرت . والجمع بين الحديثين أن الحمى كانت تصيب بالمدينة من أقام بها من أهلها ، ومن ورد عليها من غير أهلها ، فلما دعا لها النبي ﷺ بأن تنتقل الحمى عنها إلى الجحفة ، ارتفع ذلك عن أهلها ، إلا من نذر . وبقي من لم يآلف هواها يصيبه من ذلك ، وقد وقع فيها الوباء بالموت الكثير في زمن عمر رضى الله عنه .

ففي صحيح البخارى (٢) من طريق أبى الأسود الدؤلى قال : أتيت المدينة وقد وقع بها مرض ، والناس يموتون موتا نريعا ، فجلست إلى عمر ... فذكر حديثا . والذريع بالذال المعجمة ، بوزن عظيم ، الكثير السريع . ولا يعارض هذا الدعاء برفع الوباء عنها ؛ لأنه إنما وقع بها نادرا ، وأما الطاعون فلم ينتقل قط أنه وقع بها من الزمان النبوى إلى زماننا هذا والله الحمد ، وسأذكر الحكمة في كون المدينة لا يدخلها الطاعون مع ثبوت كونه شهادة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

وقد ظهر بما أوردته أن الطاعون أخص من الوباء ، وأن الأخبار الواردة في تسمية الطاعون وباء لا يلزم منه أن كل وباء طاعون ، بل يدل على عكسه وهو أن كل طاعون وباء ، ولكن لما كان الوباء ينشأ عن كثرة الموت وكان الطاعون أيضا كذلك ، أطلق عليه اسمه ، ويفارق الطاعون الوباء بخصوص سببه الذى لم يرد في شيء من الأوباء نظيره ، وهو كونه من طعن الجن ، وهو عندى لا يخالف قول الأطباء فيما تقدم من كونه ينشأ عن مادة سمية ، أو هيجان الدم ، أو انصبابه إلى عضو أو غير ذلك ؛ لأنه لا مانع أن ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة فيحدث (عنها) (٣) المادة السمية ، أو يهيج بسببها الدم أو ينصب ، فللأطباء إذ لم يتعرضوا لكونه من طعن الجن معنرة ؛ لأن ذلك أمر لا يدرك

(١) البخارى (١/٢٢٥) ٤ - كتاب الوضوء ، ٦٦ - باب أبوال إبل والدواب والغنم ومرابضها .

وقد نكره البخارى في مواضع كثيرة من الصحيح فانظر أطرافها في هذا الموضع .

ومسلم (٣/١٢٩٦) ٢٨ - كتاب القسامة ، ٢ - باب المحارين والمرتدين .

(٢) البخارى (٥/٢٥٢) ٥٢ - كتاب الشهادات ، ٦٠ - باب تعديل كم يجوز؟

(٣) وفي نسخة الحرم والدار (منها) .

بالمقل ولا بالتجربة ، وإنما تلقيناه من خبر الشارع ، فنكلموا على ما ينشأ من ذلك الطعن (يقدر) ^(١) ما اقتضته قواعد علمهم والله أعلم .

نعم يرِدُ على من زعم منهم أو من فهرهم أنه من فساد الهواء إشكال ، وقد تكلم عليه ابن القيم في الهدى وأبطله من أوجه :

منها : وقوعه في أعدل الفصول ، وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء ، ويأته لو كان من الهواء لعم الناس والحيوانات ، ونحن نجد الكثير من الناس والحيوان يصيبه الطاعون وبجانبه من جنسه ومن يشابهه مزاجه من لم يصبه ، وشوهد يأخذ أهل بيت من بلد بأجمعهم ، ولا يدخل بيتا بجوارهم أصلا ، أو يدخل بيتا فلا يصاب منه إلا البعض ، وشوهد عند فساد الهواء ربما كان أقل مما يكون عند اعتداله ، وبأن فساد الهواء يقتضى تغير الأخلط وكثرة الأمراض والأسقام ، وهذا يقتل بلا مرض أو بمرض يسير ، ويأته لو كان من فساد الهواء لعم جميع البدن بمدائمة الاستنشاق ، والطاعون إنما يحدث في جزء خاص من البدن لا يتعداه لغيره ، فيقتل صاحبه غالبا ، ويأته لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض ، لأن الهواء يصح تارة ، ويفسد تارة ، والطاعون يأتي على غير قياس ولا تجربة ولا انتظام ، فربما جاء سنة على سنة ، وربما أبطأ عدة سنين ، وبأن كل داء بسبب من الأسباب الطبيعية له نواء من الأدوية الطبيعية على ما صح في الحديث : " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاءً ، علمه من علمه ، وجهله من جهله " أخرجه ابن ماجه ^(٢) من حديث ابن مسعود بسند حسن ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وله شواهد بعضها في صحيح مسلم . وهذا الطاعون أعيا الأطباء نوازه ، حتى سلّم حذاقهم أنه لا نواء له ولا دافع له إلا الذى خلقه وقدره . والله أعلم .

وقال الكلاباذي في معانى الأخبار بعد أن ساق قول عمرو بن العاص الآتى في الباب الرابع "إن هذا الوجع" ، وحديث عبد الرحمن بن عوف "إذا سمعتم اللوواء ببلد

(١) وفي نسخة الرباط (بحسب).

(٢) سنن ابن ماجه: (١١٢٨/٢) ٢١ - كتاب الطب ١ - باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء . لكن بدون ذكر زيادة "علمه من علمه وجهله من جهله" ، وعزو الحافظ هذه الزيادة لابن ماجه في هذا الموضع . وفي الفتح (١٢٥/١٠) ، يرجع أن الحافظ قد يكون اطلع عليها في بعض نسخ ابن ماجه . وقد أخرج أحمد الحديث بتلك الزيادة في المسند (٤٤٣/١) من رواية ابن مسعود ، وفي (٢٧٨/٤) من رواية أسامة بن شريك .

فلا تقدموا عليه^١ : الوجع والوباء مرض كسائر الأمراض التي تصيب الناس من الطبائع وغلبة بعض الأمشاج ، وإن لم يكن طعن إنسان ولا وخز جن^٢ ، فيجوز أن يكون الطاعون على ضربين :

ضرب منه : داء ووجع ووباء يقع من غلبة بعض الأمشاج الذي هو الدم ، أو الصفراء إذا احترقت أو غير ذلك ، من غير سبب يكون من الجن .

وضرب منه : من وخز الجن ، وهذا كما يكون القرخ داء ووجعا يصيب الإنسان من احتراق الدم وغلبة الأمشاج ، فيحرق له الجلد ، ويشرح له اللحم ، وإن لم يكن هناك طعن ومنه ما يكون من طعن الإنس ، قال الله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرخ فقد مس القوم قرخ مثله ﴾^(١) وقد قرئ بفتح القاف وضمها ، فبالفتح : الجراح ، وبالضم : الخراج ، فكما سمي الطعن والخراج قرحا ، كذلك سمي النبي ﷺ وأصحابه الطاعون وجعا وداء . وقال الله تعالى ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴾^(٢) والأكم الوجع ، والوجع مرض داء ، فكما لم تناف إحدى القرايتين الأخرى في الجراح والخراج ، كذلك لا ينافي أحد الحديثين الآخر في الوخز والوباء ، فكما يجوز أن يكون القرخ جراحا وخراجا ، كذلك يجوز أن يكون الطاعون وخزا وداء . انتهى .

ومحصل كلامه أن تسمية الطاعون ووباء أو وجعا أو داء محمول على معنى غير المعنى في كونه وخزا من الجن ، والذي يظهر أن الذي ذكره غير لازم ؛ فإن الوباء يطلق على كثرة الموت - كما تقدم - وأنه أعم من الطاعون ، وأما الداء والوجع فيطلق كل منهما على كل مرض طاعونا كان أو غيره ، وأما كون بعض الأوجاع في الطاعون قد تكون من غلبة الطبائع لا ينافي كونه من طعن الجن ؛ لاحتمال أن يحصل ذلك التغير عند وجود الطعنة فينزعج (بذلك)^(٣) المطعون فيفور به الدم ، وتحصل له الكيفية الربينة يُشخصها الأطباء بحسب ما اقتضته قواعدهم ، ولا ينافي ذلك أصل سببه الأول . والله أعلم .

(١) سورة آل عمران: ١٤٠.

(٢) سورة النساء: ١٠٤.

(٣) وفي نسخة الحرم (بدن).

[الفصل الثالث]

ذكر الأحاديث الواردة في أن الطاعون وخز الجن والكلام عليها

قال الإمام أحمد (١) : حدثنا عبد الرحمن - هو ابن مهدي - ثنا سفيان - هو الثوري - عن زياد بن علاقة (٢) ، عن رجل ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : "فناء أمتي بالطعن والطاعون" . فقيل : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : « وخز أعدائكم من الجن ، وفي كل شهادة » .

رواه عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري ، ومن طريقه أخرجه الطبراني (٣) . ورواه وكيع عن سفيان ، فقال : عن جرير بدل أبي موسى ، كذا نقلته من مسند أبي بكر بن أبي شيبة ، وما أظنه إلا وهما .

وهذا الإسناد إلى زياد بن علاقة على شرط الصحيح ، ولولا الراوي المجهول لكان المتن محكوماً بصحته ، لكن قد سماه بعض الرواة عن زياد بن علاقة ، وقد كان شعبية يرويه عن زياد بن علاقة ، ويقول : إنه كان يحفظ اسم المجهول .

قال أحمد (٤) أيضاً : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبية ، عن زياد بن علاقة ، حدثني رجل ، - قال شعبية : قد كنت أحفظ اسمه - قال : كنا على باب عثمان ننتظر الإذن ، فسمعت أبا موسى يقول : قال رسول الله ﷺ : "فناء أمتي بالطعن والطاعون" . قال : فقلنا : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : "طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة" . قال زياد : فلم أرض بقوله فسألت سيد الحى وكان معهم ، فقال : صدق .

وقد أخرجه الطبراني من طريق الحكم بن عتيبة ، عن زياد بن علاقة ، (فوافق شعبية على وصف المجهول بأنه من قوم زياد بن علاقة) (٥)

(١) المسند (٤/٣٩٥).

(٢) علاقة: بكسر الميملة ، وتخفيف اللام ، بعدها قاف. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) مسند أبي موسى ضمن الأجزاء المفقودة من المعجم الكبير ، وقد أورد الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد (٢/٣١١) وقال: رواه أحمد بإسناد ، ورجال بعضها رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى والبخاري والطبراني في الثلاث.

(٤) المسند (٤/٤١٧).

(٥) ما بين القوسين ساقط من نسخة الدار.

وأخرجه أيضا من طريق إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق ، عن زياد بن علاقة ، عن رجل من الحى ، عن أبي موسى ، فذكر الحديث مثل شعبة ، لكن قال فيه : 'طعن عدوكم' بلفظ الأفراد على إرادة الجنس . وقد وقع لنا هذا الراوى مسمى من وجه آخر عن الثورى وخيره ، قال أبو الحسن الخلى (١) فى فوائده : أخبرنا الخصيب (٢) بن محمد بن عبد الله الخصيبى القاضى ، أنبا أبي ، أنبا الحسن بن طوية (٣) القطان .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن الحسن بن طوية المذكور ، ثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، أنبا إسماعيل بن زكريا ، عن مسعر (٤) وسفيان الثورى كلاهما عن زياد ابن علاقة ، عن يزيد بن الحارث ، عن أبي موسى الأشعري فذكر الحديث مثل سياق عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان .

قال الطبرانى : لم يروه عن مسعر إلا إسماعيل ، تفرد به إسماعيل . قلت : وهما ثقتان ، ولعل إسماعيل بن زكريا حمل رواية الثورى على رواية مسعر .

وزيد بن الحارث هو الثعلبى (٥) ، وقد أثبت البخارى فى تاريخه سماعه من عبد الله ابن مسعود وهو أقدم وفاة من أبي موسى ، فلا يستبعد سماعه من أبي موسى ، وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين ؛ فالحديث حسن .

وقد تابع مسعراً على تسميته يزيد بن الحارث سعاد بن سليمان ، أخرجه البزار (٦) والطبرانى فى الأوسط من طريق أبي عتاب سهل بن حماد الدلال عنه ، وصرح فى روايته بالتحديث فى جميع إسناده إلى يزيد بن الحارث ، وساق المتن مثل رواية عبد الرحمن عن سفيان ، إلا أنه قال فيه : قال : فقلنا يارسول الله .

(١) الخلى: بكسر المعجمة ، وفتح اللام ، اسمه على بن الحسن . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) الخصيب: بفتح المعجمة ، وكسر المهلة ، بعدها تحتانية ساكنة ، ثم موحدة ، والخصيبى نسبة إلى هذا الاسم . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) طوية: بفتح العين المهلة ، وتشديد اللام المضمومة ، وسكون الواو ، بعدها تحتانية مفتوحة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) مسعر: بكسر الميم ، وسكون المهلة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) الثعلبى: بمثناة مفتوحة ، ومهملة ساكنة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٦) البزار "كشف الأستار" (٣/٣٩٦) .

وسعاد بفتح السين المهملة ، وتشديد العين المهملة ، ذكره ابن حبان فى الثقات ،
وقال أبو حاتم الرازى : ليس بقوى . انتهى .

ومثل هذا يصلح أن يعتبر به ، وأن يكتب حديثه فى المتابعات ، وقد تابعهما (١) أبو
مريم عبد الغفار بن القاسم الأنصارى ، عن زياد بن علاقة عن يزيد بن الحارث ، عن
أبي موسى ، أخرجه الطبرانى أيضا ، وأبو مريم ضعيف جدا .
وقد خالف الجميع أبو بكر النهشلى (٢) فى تسميته .

قال أحمد (٣) : حدثنا يحيى بن أبي بكير ، ثنا أبو بكر النهشلى ، ثنا زياد بن علاقة ،
عن أسامة بن شريك قال : خرجنا فى بضع عشرة نفسا من بنى ثعلبة ، فإذا نحن
بأبي موسى ، وإذا هو يحدث عن رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث مختصرا .

هكذا سماه أبو بكر النهشلى ، وهو ثقة أخرج له مسلم ، وقد اختلف فى اسمه ، لكنه
مشهور بكنيته . قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والعجلي : ثقة . وقال أبو حاتم :
شيخ صالح يكتب حديثه .

قلت : ولا معارضة بينه وبين رواية من سماه يزيد بن الحارث ؛ لما تقدم فى رواية
شعبة أن زياد بن علاقة سمعه من سيد الحى بعد أن سمعه من الأول ، فيحتمل أن يكون
الأول هو يزيد بن الحارث ، وسيد الحى هو أسامة بن شريك ، وهو صحابى معروف
أخرج له أصحاب السنن الأربعة .

وقد أخرج الحديث المذكور البزار (٤) عن الفضل بن سهل ، عن يحيى بن أبي بكير به
فقال فى روايته : عن ثعلبة بن مالك بدل أسامة بن شريك ، وما أظنه إلا وهما من البزار
أو من شيخه ؛ فإن أحمد بن حنبل أحفظ من الفضل بن سهل وأتقن ، وقد تابعه العباس
بن محمد النورى ، عن يحيى بن أبي بكير ، أخرجه البيهقى فى الدلائل (٥) ، ويحتمل أن
يكون عند زياد بن علاقة عن جماعة ، وقطبة المذكور صحابى أيضا ، وهو عم زياد
الراوى عنه .

(١) يعنى : مسعرا ، وسعاد بن سليمان .

(٢) النهشلى : بفتح النون ، وسكون الهاء ، بعدها معجمة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) المسند (٤١٧/٤) .

(٤) البزار كشف الاستار (٣/٢٩٥) .

(٥) : دلائل النبوة (٦/٣٨٤) .

وقد أخرج الطبراني الحديث المذكور من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني (١) وأبي بلال الأشعري قالوا : ثنا أبو بكر النهشلي ، ثنا زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : "فناء أمتي بالطعن والطاعون" قالوا : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : "وخز أعدائكم من الجن ، وفي كل شهادة" .

وهكذا رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الطواعين عن يحيى بن عبد الحميد وهو المحفوظ ، وقد خالف الجميع حجاج بن أرطاة فقال: عن زياد بن علاقة ، عن كُرْتُوس (٢) الثعلبي ، عن أبي موسى .

قال ابن خزيمة في كتاب التوكل : روى حجاج بن أرطاة فذكره وقال في روايته : "وفي كل شهادة" . ثم قال : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن حجاج .

وهكذا أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الأعلى ، وأخرجه أيضا من طريق أبي غسان مالك بن عبد الواحد المسمعي ، والبخاري من طريق يحيى بن حبيب بن عربي ، كلاهما عن معتمر بن سليمان التيمي ، فإن كان الحجاج حفظه احتمال أن يكون عند زياد بن علاقة عن جماعة ، كما تقدم في بعض طرقه : أنهم كانوا بضع عشرة نفساً من بني ثعلبة ، لكن وقع لي من طريق زياد بن علاقة عن كرتوس ، عن أبي موسى حديث غير هذا وهو في الطاعون أيضا ، وسأذكره في الباب الرابع ، فلعل حجاج بن أرطاة دخل له حديث في حديث .

وفي الجملة هذه الطريق الضعيفة لا تقدم في صحة الطريق القوية ، فإن أمثل طرق: التي سُمِّيَ فيها المبهمة رواية أبي بكر النهشلي ، وأسامة بن شريك صحابي مشهور ، وسائر الروايات شاهدة لصحتها إلا ما شذ به الفضل بن سهل وخط فيه حجاج بن أرطاة والله أعلم .

(١) الحماني: بكسر المهمله ، وتشديد الميم ، وبعد الألف نون. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) كُرْتُوس: بضم الكاف ، وسكون الراء ، وضم المهمله ، وسكون الواو ، وأخره مهمله. (منه رحمه الله تعالى).

(١) ثم وجدت الدارقطني ذكر طته في العلل ، وجزم بأن الاضطراب فيه من زياد بن علاقة ، فقال : واختلف فيه على زياد ، ورواه الثوري عنه واختلف فيه عليه ، فقال أبو أحمد الزبيدي : عنه ، عن زياد ، عن كروبس ، عن المغيرة . وكذا قيل عن وكيع ، وقال حجاج بن أرطاة : عن زياد ، عن كروبس ، عن أبي موسى . وقال سائر أصحاب الثوري : عنه ، عن زياد ، عن رجل ، عن أبي موسى .

قلت : وهذا نص عن وكيع ، عن الثوري ، عن زياد ، عن رجل ، عن جرير . وقال أبو بكر النهشلي : عن زياد ، عن أسامة بن شريك ، عن أبي موسى . وقال أبو حنيفة : عن زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي موسى . وقال سعيد بن سليمان : عن زياد عن يزيد بن الحارث ، عن أبي موسى . وقال إسماعيل بن زكريا : عن مسعر والثوري معا ، عن زياد . وقال أبو شيبة : عن زياد ، عن اثني عشر رجلا من بني ثعلبة ، عن أبي موسى . وقال أبو مريم : عن زياد ، حدثني البراء عن أبي موسى . وقال الحكم وشعبة وإسرائيل : عن زياد ، عن رجل من قومي ، عن أبي موسى .

قلت : وقد بينت غالب هذه الطرق وأحوال روايتها ، ولا يتأتى الحكم عليه بالاضطراب مع إمكان ترجيح بعض الطرق كما قدمته ، ورواية أبي مريم بذكر البراء لم يقع لي بعد وهو ضعيف . والله أعلم . (٢)

والحديث مع ذلك عن أبي موسى طريق قوية ليس فيها اضطراب .

قال ابن خزيمة في كتاب التوكل من صحيحه : ثنا بشر بن أنم، ثنا جَدِّي لأمي أزهر بن سعد - هو السمان - ثنا حاتم بن أبي صغيرة (٣) ، عن أبي بلج ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، قال : ذكرنا الطاعون عند أبي موسى فقال : سألت عنه رسول الله ﷺ فقال : "هو وخز أعدائكم من الجن ، وهو لكم شهادة" .

وأخرجه أيضا عن إسحاق بن منصور ، عن أزهر بن سعد .

(٢.١) ما بين هامش ٢.١ ساقط من نسخة تركيا .

(٣) ابن أبي صغيرة: بفتح المهملة وكسر المعجمة. (منه رحمه الله تعالى).

وأخرجه أحمد (١) والطبرانى من طريق أبي عوانة عن أبي بلّج (٢) ولفظه : أن النبى ﷺ ذكر الطاعون فقال : "وخز أعدانكم من الجن ، وهو شهادة للمسلم" . وفى لفظ للطبرانى : "وهو شهادة لكل مسلم" . وصححه الحاكم ، فأخرجه فى كتاب الإيمان من المستدرک (٣) من رواية أزهر بن سعد به عالياً ، ومن رواية أبي عوانة أيضاً ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وتعقبه شيخنا فى أماليه على المستدرک فقال : لم يحتج مسلم بأبي بلّج ، وإنما روى له أصحاب السنن ، ولكن للحديث طرق يرتفع بها إلى درجة الصحة . فنكر رواية سفيان الثورى عن زياد بن علاقة عن رجل عن أبي موسى كما قدمتها . ثم قال : والرجل الذى لم يُسم هو أسامة بن شريك . ثم ساقه من مسند أحمد ثم قال : هذا إسناد صحيح .

قلت : ورجال هذا الطريق رجال الشيخين إلا أبا بلّج ، وهو بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها جيم تابعى صغير كوفى ، نزل واسط ، واسمه : يحيى ، واختلف فى اسم أبيه ، وقد وثقه يحيى بن معين والنسائى ومحمد بن سعد والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى ويعقوب بن سفيان : لا بأس به . وقال البخارى : فيه نظر . وهذه عبارته فيمن يكون وسطاً .

ونقل ابن الجوزى عن ابن معين أنه ضعفه ، فإن ثبت ذلك فقد يكون سُئل عنه وعن مَنْ هو فوقه فضعفه بالنسبة إليه ، وهذه قاعدة جليّة يُمن اختلف النقل عن ابن معين فيه ، نبه عليها أبو الوليد الباجى فى كتابه رجال البخارى ، ويحتمل أن يكون ابن معين ضعفه من قبَل رأيه ؛ فإنه منسوب إلى التشيع ، ولأجل هذا بالغ أبو إسحاق الجوزجاني (٤) فيه كعادته فى الحط على الشيعة ، وتبعه أبو الفتح الأزدى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : يخطئ . ويكنى فى تلوّيته توثيق النسائى وأبي حاتم مع تشدهما ، ولم يبين ابن حبان ما أخطأ فيه ليرجع إليه فى ذلك .

(١) المسند (٤/٤١٣).

(٢) أبو بلّج: بفتح الموحدة ، وسكون اللام ، بعدها جيم . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) المستدرک (١/٥٠) بلفظ (وخز إخوانكم أو قال أعدانكم) ، فمن العجيب أن يقول الحافظ فى ص ٧٢ : وأما الرواية بلفظ 'إخوانكم' فما عرفت موضعها من كتب الحديث !!! إلا إن كانت نسخة الحافظ من المستدرک جاء فيها بلفظ (أعدانكم) بدون شك .

(٤) الجوزجاني: بضم الجيم ، وسكون الواو ، وفتح الزاى وتخفيف الجيم . (منه رحمه الله تعالى).

وقد ذكر ابن عدى له ترجمة وأورد فيها قول البخارى والهجرجانى ، ثم ساق له حديثه عن محمد بن حاطب : « فصل ما بين الحلال والحرام ضرب الدف » . وثلاثة أحاديث من روايته عن عمرو بن ميمون ؛ اثنان منهما عن أبي هريرة ، وآخر عن ابن عباس ، ثم قال : « وله غير ما ذكرت ، وقد روى عنه أجلة الناس مثل شعبة وهشيم وأبي حوارة ، ولا بأس بحديثه » . فهذا ابن عدى مع شدة تفصيئه (١) وتتبعه لما أخطأ الثقات فيه لم يذكر فى أفراد أبي بلج حديث أبي موسى فهو مما (أثبته) (٢) عنده ، ولا سيما وقد وجدنا له متابعا فى الرواية المبدأ بذكرها عن أبي موسى ، فالمتن بهذه الطرق صحيح بلا ريب والله أعلم .

ثم وجدت للحديث طريقا ثالثة عن أبي موسى أخرجها الطبرانى عن على بن عبد العزيز البغوى قال : ثنا معلى بن أسد ، ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله بن المختار ، قال : حدثنى كريب بن الحارث بن أبي موسى الأشعري ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إن فناء أمتى بالطعن والطاعون » . قالوا : يارسول الله ، هذا الطعن قد فهمناه ، فما الطاعون؟ قال : « وخز أعدائكم من الجن وفى كل شهادة » . ورجاله رجال الصحيح إلا كريبا وأباه ، وعبد الله بن المختار وعبد العزيز بن المختار ثقتان وليسا أخوين .

وقد رواه حماد بن زيد عن عبد الله بن المختار فقال : حدثنى رجل من ولد أبي موسى الأشعري عن أبي موسى . أخرج الطبرانى أيضا من طريقه ، وعن حماد بن زيد أيضا عن عبد الملك بن عمير عن رجل من ولد أبي موسى عن أبي موسى كذلك . ولهذا الحديث عن أبي موسى شاهد من حديث عائشة ومن حديث ابن عمر أيضا .

أما حديث عائشة فأخرجه أبو يعلى (٣) ، قال : حدثنا عبد الأعلى - هو حماد - ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت الليث - هو ابن أبي سليم - يحدث عن صاحب له ، عن عطاء قال : قالت عائشة : ذكر الطاعون فذكرت أن النبى ﷺ قال : « وخز يصيب أمتى من أعدائهم من الجن ، من أقام عليه كان مرابطا ... » الحديث .

(١) تفصيئه: بقاء وصاد مهملة ثقيلة ، أى: كثير التفنيش. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) وفى نسخة الحرم (أثبته).

(٣) مسند أبي يعلى (٨/١٢٥).

وهذا سند ضعيف ؛ لضعف ليث وإبها م شيخه ، وله طريق أخرى ضعيفة أيضا عن عائشة يأتي ذكرها ، وغفل الحافظ المنذرى في الترغيب فقال : إن سند أبي يعلى هذا حسن . وليس كما قال ، فلا يفتر به .

أما حديث ابن عمر فأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط والصفير من طريق عبدالله بن عصمة ، عن بشر بن حكيم ، عن إبراهيم بن أبي حرة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، فنكر مثل حديث أبي موسى الماضي في أول طريقه سواء ، قال الطبراني : لم يروه عن إبراهيم إلا بشر ، ولا عنه إلا عبد الله بن عصمة .

قلت : وعبد الله بن عصمة مختلف فيه ، قال ابن عدى : له مناكير . وذكره ابن حبان في الثقات ، وأصل هذا الباب حديث أبي موسى والله أعلم .

ذكر معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "فناء أمتي بالطعن والطاعون"

الذى يظهر والله أعلم أن معناه الطلب : فإن في بعض طريقه عن أبي موسى التصريح بذلك ، وهو في رواية أبي بكر النهشلى عند أحمد (١) والفظه : « اللهم اجعل فناء أمتي في الطاعون » .

وقرى على خديجة بنت إبراهيم البعلبكية بدمشق وأنا أسمع ، عن القاسم بن المظفر إجازة إن لم يكن سمعا . وعن أبي نصر بن الشيرازى كتابة قالوا : أنبا أبو الوفاء بن منده في كتابه ، أنبا أبو الخير الباغيان (٢) ، أنبا أبو عمر بن أبي عبد الله بن منده ، أنبا أبي ، أنبا محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، ثنا جعفر بن محمد بن شاکر ، ثنا عفان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا عاصم الأحول ، عن كريب بن الحارث ، عن أبي بردة بن قيس أخى أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون » .

قال ابن منده : رواه جماعة عن عبد الواحد منهم عارم . انتهى .

(١) المسند (٤٣٧/٣).

(٢) الباغيان : بموحدة ، ثم غين معجمة مفتوحة ، بعدها موحدة خفيفة . (منه رحمه الله تعالى).

وأخرجه أحمد في مسنده (١) وإبراهيم العربي في غريب الحديث له ، كلاهما عن عفان ، فوافقتاهما بعلو ، وقال في روايته : هن كريب بن الحارث بن أبي موسى الأشعري ، وأخرجه أبو نعيم في الصحابة من رواية إسماعيل سمويه عن عفان كذلك ، ومن رواية هبة بن خالد ويحيى الحماني كلاهما عن عبد الواحد ، وأخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد (٢) من طريق عبد الواحد . وصححه الحاكم فأخرجه في كتاب الجهاد من صحيحه (٣) من رواية مسدد عن عبد الواحد بن زياد بهذا الإسناد وقال : صحيح الإسناد . وقال لنا شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين فيما أملاه على المستترك : هذا حديث رجاله ثقات ، وكريب بن الحارث ذكره ابن حبان في الثقات وروى له هذا الحديث إلا أنه جعله عن أبي بردة عن أبي موسى ، وظن أنه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري وإنما هو أخوه ، ولذلك ذكره في الطبقة الثالثة من الثقات فوهم ، والصواب ما وقع في المسند ، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ، وأبو أحمد الحاكم في الكنى ، وابن منده في معرفة الصحابة .

قلت : قول شيخنا أن ابن حبان روى له هذا الحديث عنى به في كتاب الثقات لا في صحيحه ، فإننى لم أراه في صحيحه بعد تتبعه .

وأشدد شيخنا في أماليه في معنى الحديث المذكور :

أكرم بخير أمة قد أخرجت	للناس في الدنيا وفي عقبها
بالطعن والطاعون هم يستشهدون	ذاك وخز الجن من أعداها

وعكس ذلك بعض من أدركناه ، فقال : المحفوظ « فناء أمتي بالطعن والطاعون » على الخبر لا على الدعاء .

قال ابن الأثير في النهاية : أراد أن الغالب على فناء الأمة الفتن التي تسفك فيها الدماء أو بالوفاة . انتهى .

ودعواه أنه بلفظ الدعاء غير محفوظ مردودة بما قدمته من الطريق الصحيح ، ويشهد له دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه بذلك كما سأنذكره .

(١) المسند (٢٣٨/٤).

(٢) كتاب الجهاد (٥٠١/٢).

(٣) المستترك (٩٢/٢). وصححه روافقه الذهبي.

[الفصل الرابع]

ذكر الجواب عن إشكال أورده بعضهم على هذا الحديث

يريد القدرح فيه مستندا إلى أن أكثر الأمة إنما يموتون بغير الطمن والطاعون ، ولو ثبت الحديث لما تواتر كلهم بأحد الأمرين ، وقد قال صاحب النهاية في حديث "فناء أمتي بالطمن والطاعون" : أراد ﷺ أن الغالب على فناء الأمة الفتن التي تسفك فيها الدماء أو الوباء . ولم يعمد على الحديث الوارد بلفظ الدعاء ، وقد قدمت أن الأول محمول عليه وإن كان لفظه لفظ الخبر .

ويحتمل أن يكون ﷺ دعا لأمته بطريق التعميم فاستجاب الله دعاءه في بعضهم فيكون من العام المخصوص .

ويحتمل أن يكون أراد ﷺ بلفظ "أمتي" طائفة مخصوصة كأصحابه مثلاً ، أو صفة مخصوصة كالخيار مثلاً ، فيكون من العام الذي أريد به الخصوص ، والأول قد يوجه بأن الصحابة لم يموتوا كلهم بالأمرين ولا بأحدهما فقط ، وكذلك الخيار فإن الكثير منهم يموتون بغيرهما .

وقريب (من الأول) (١) دعائه ﷺ للمؤمنين بالمغفرة مع أنه ثبت بالأدلة القطعية عند أهل السنة أن طائفة منهم يُعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة .

وفي عكس ذلك دعائه ﷺ أن لا يهلك أمته بسنة عامة ، وأن لا يهلكهم بالفرق ، وأن لا يلبسهم شيعا ... الحديث ، فأعطى الثنتين الأواتين ومُنِع ماعداهما ، أخرجه مسلم (٢) بمعناه من حديث سعد بن أبي وقاص ، وأخرج أيضاً من حديث ثوبان مرفوعاً (٣) في أثناء حديث : « وإنى سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم ، وأن لا يلبسهم شيعا وينيق بعضهم بأس بعض . فقال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط

(١) في الهند (منه).

(٢) مسلم (٢٢١٦/٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، ٥ - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

(٣) مسلم (٢٢١٥/٤) نفس الموضوع السابق.

عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح (١) بيضتهم (٢) حتى يكون بعضهم يهلك بعضا .

وأخرج ابن مردويه في تفسير سورة الأنعام في هذه الآية من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : "دعوت الله أن يرفع عن أمتي أربعا ، فرفع عنهم اثنتين ، وأبى أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الخسف والرجم ، وأبى أن يرفع عنهم الأخرتين" .

وقد أخرج البخارى (٣) هذا الحديث عن جابر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ قال رسول الله ﷺ : « أعوذ بوجهك » . ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : « أعوذ بوجهك » . ﴿ أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض ﴾ [الأنعام : ٦٥] قال رسول الله ﷺ : « هاتان أهون - أو أيسر - » .

وحديث ابن عباس الذي ذكرته يفسر حديث جابر هذا ، ويشهد له ما أخرجه عبد الرزاق من حديث أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿ عذابا من فوقكم ﴾ قال : الرجم . ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : الفرق . انتهى .

وقد وقع الرجم والخسف والفرق وتسليط العدو الكافر على بعض الأمة وعلى بعض البلاد ، فدل على أن المراد بنفى ذلك عن الأمة نفيه عن جميعهم ، وأن وقوع ذلك لبعضهم لا يقدح في صحة الحديث لصلاحية اللفظ لإرادة الكل والبعض .

وكذا يقال في حديث الباب : اللفظ صالح لإرادة الكل والبعض ، فدل الواقع على أن المراد البعض ، كما دل الواقع في ذلك على أن المراد الكل ، وليس المراد بالكل جميع الأمة من أولها إلى آخرها ، وإنما المراد به جميع من يكون موجودا في عصر من الأعصار في جميع البلاد من الأمة المحمدية بحيث تنقرض أمة الإجابة ، ولا يبقى مثلا

٦

(١) فيستبيح: من الإباحة. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) بيّضتهم: يفتح الموحدة، أى مجتمعهم وموضع سلطانهم، وبيضة الدار وسطها ومعظمها، أراد عدوا يستأصلهم. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) البخارى (٢٩١/٨) ٦٥ - كتاب التفسير ٦ - سورة الأنعام ٢٠ - باب ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ - الآية.

من الناس إلا أمة الدعوة ، وهذا لا يقع إلا بعد وقوع الآيات وموت عيسى ابن مريم
وتقبض أرواح من يوجد إذ ذاك من أهل التوحيد ، فلا يبقى على وجه الأرض من يقول
لا إله إلا الله فولئك تقوم عليهم الساعة كما ثبت في الحديث الصحيح (١) ، وأما ما قبل
ذلك فللعلماء فيه اختلاف في مسألة : هل تخلو الأرض من قائم لله بالحجة؟ ليس هذا
موضع إيراده .

وزعم بعض من تأخر أن المراد بالحديث فناء الأمة في آخر الزمان وأن الطعن يُفسر
الهرج المذكور في الحديث الآخر ، فقد جاء فيه أنه القتل ، وأن المراد بالطاعون الريح
التي تقبض أرواح المؤمنين . قال : فقد جاء في بعض الطرق أنها تأخذهم في
أباطهم (٢) .

ولا يخفى تكلف هذا الحمل وتعمسه ، ولولا خشية الاغترار به ما عرجت عليه ، ومن
تأمل سياق الأحاديث التي ستذكر (٣) في الباب الثالث عرف فساد ما قال ، ويكفى في
رده إطباق أهل العلم على أن الموت بالطاعون فضيلة ، ومقتضى كلامه أنه لا فضيلة
فيه ، بل هو محض إخبار بما سيقع في آخر الزمان .

وممن نحا إلى أن المراد بالأمة في حديث الباب الصحابة : أبو العباس القرطبي في
كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم ، فقال بعد أن نقل قول أبي قلابة أن المراد في
حديث معاذ بأن الطاعون دعوة نبيكم : أنه عليه الصلاة والسلام دعا أن يجعل فناء أمته
بالطعن والطاعون : كذا جاءت الرواية عن أبي قلابة بالوار ، وقال بعض علمائنا :
الصحيح بالطعن أو الطاعون بلو التي هي لأحد الشيتين ، أي لا يجتمع ذلك عليهم .

(١) لعله يشير إلى ما رواه مسلم (١/١٢١) ١ - كتاب الإيمان ، ٦٦ - باب زهاب الإيمان آخر الزمان .
عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله ،
الله " .

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم (٤/٢٢٥٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ٢٠ - باب نكر النجال
وصفة ما معه ، في نهاية حديث طويل عن النجال :

عن النّوّاس بن سميان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... فبينما هم كذلك إذ بعث
الله ريحا طيبة ، فتأخذهم تحت أباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار
الناس ، يتهاجرون فيها تهاجر الحُمُر ، فعليهم تقوم الساعة" .

(٣) في نسخة الدار (سنذكرها).

قلت : العالم الذى أبهمه هو عياض ، وهذه عبارته فى شرح مسلم فقال : الصحيح من الرواية أنه أخبره جبريل أن فناء أمة بطعن لو طاعون . فقال : اللهم فناء بالطاعون . قال : وهذا الذى يوافق حديثه الآخر : أن لا يجعل بأسهم بينهم وأن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم . انتهى .

قال القرطبي : ويظهر لى أن الروایتين صحيحتا المعنى ، وبيانه أن مراد النبى ﷺ بأتمته المذكورة فى الحديث إنما هم أصحابه ؛ لأنه دعا لأتمته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأجيب إلى ذلك ، فلا يذهب جميعهم بموت عام ولا عدو ، وعلى مقتضى الدعاء فى حديث أبي قلابة يعنى جميعهم بالقتل والموت العام ، فتعین أن يُصْرَفَ إلى الصحابة ؛ لأنهم الذين اختار الله لمعظمهم الشهادة بالقتل فى سبيل الله وبالطاعون الذى وقع فى زمانهم فهلك به بقيتهم ، فعلى هذا فقد جمع الله لهم كلا الأمرين فتبقى الواو على أصلها من الجمع ، ويحتمل أن تكون الرواية بأوهمى تحتل التنويع ولا تعين للتخيير . انتهى كلامه .

وقد يُعترض عليه بأنه قد مات جمع كثير من الصحابة بغير الطعن والطاعون ، لكنه غير وارد ؛ لأنه إذا ساغ تخصيص عموم الأمة بالصحابة ساغ تخصيص الصحابة بطائفة منهم .

ومن التأويل المستبعد حمل أمتى على أمة الدعوة ، نكره الشيخ بدر الدين الزركشى فى جزء جمعه فى الطاعون فقال : يحتمل والله أعلم أن المراد بالأمة أمة الدعوة لا أمة الإجابة ، يشهد له ماورد أن سبب الطاعون ظهور الفواحش .

قلت : ولا يخفى بُعدُه أيضا ، بل يرد عليه ما ورد على الأول ؛ فإن معظم أمة الدعوة لم يموتوا بالقتل والطاعون ، بل يفسده أن ظهور الفواحش لا يختص بأمة الدعوة ، بل يشركها فيه بعض أمة الإجابة ، ويفسده أيضا قوله فى بعض طرق الحديث كما تقدم "قتلا فى سبيلك" ، فدل على أن المراد أمة الإجابة ، نعم لو قيل المراد بأمتى ما هو أعم من أمة الدعوة والإجابة لكان متجها ، وسيأتى ما يقويه إن شاء الله تعالى .

روى أبو بكر الرازى فى كتابه "أحكام القرآن" عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه :

أنه لما جهز الجيوش إلى الشام قال : اللهم أفنهم (١) بالطعن والطاعون .

ودى ابن أبي الدنيا (بسنده صحيح) (٢) عن كروبس الثعلبي قال : لما وقع الطاعون - يعنى بالكوفة - قال المفيرة بن شعبة : إن هذا العذاب قد وقع فأخرجوا عنه . قال : فذكرته لأبي موسى فقال : لكن العبد الصالح أبو بكر الصديق قال : اللهم طعننا وطاعونا في مرضاتك .

وهذا يؤيد ما تقدم أن المراد بالدعوة لهم الصحابة ، وقول أبي بكر في حديث أبي موسى هذا : اللهم طعننا وطاعونا في مرضاتك . دعا به للجيوش الذين جهزهم جمعا بين الخبرين ، وكأنه لما رآهم على حالة الاستقامة خشى عليهم الفتنة فأحب أن يكون موتهم على الحالة التي خرجوا عليها قبل أن يفتنوا بالدنيا . ذكره أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن ، وكان أبا بكر الصديق سمع الحديث المرفوع فتأسى به .

وقد استبعد الشيخ تقي الدين ابن تيمية - فيما نقله المنبجى في الجزء الذي جمعه في الطاعون - حمل قوله "اجعل فناء أمتي" على الصحابة فقط ، وقال : متى سلم ذلك تطرق إلى كل حديث أضيف إلى الأمة . انتهى .

والحق أن أصل الدعوة للصحابة ، ولا مانع من إلحاق غيرهم بهم في الفضل المذكور . والله أعلم .

قال ابن تيمية : ولا يعارض حمل الحديث على عموم الأمة حديث أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أجاركم من ثلاث : أن يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، وأن يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن تجتمعوا على ضلالة » أخرجه أبوداود (٣) .

قلت : وسنده حسن ؛ فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الشاميين وهي مقبولة ، وله شاهد من حديث أبي بصرة الغفاري أخرجه أحمد ورجاله ثقات إلا أن في سنده راويا لم يسم .

(١) في نسخة الحرم (أمتهم).

(٢) هكذا في نسخة الرباط ، وفي الحرم (بسنده له) ، وأما في بقية النسخ فغير موجودة.

(٣) أبوداود (٩٨/٤) كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها.

ولم يذكر وجه عدم المعارضة ومراده به ما تقدم من حمل قوله : "أمتي" على الخصوص وإن كان لفظه عاما ، أو يقال : دعاؤه ﷺ بأن يكون فناؤهم بالطعن ليس دعاء عليهم بالهلاك وإن كان من لازمه الهلاك ، وإنما المراد منه حصول الشهادة لهم بكل من الأمرين ، ولهذا إذا وقع الموت بأحد الأمرين لا يقع عاما لجميع المؤمنين في كل قطر ؛ إذ لو وقع ذلك لخلت الأرض من المؤمنين وإنما يقع بالتدرج كثيرا كان أو قليلا ، سواء طعن المعركة أو طعن الوفاء والله أعلم .

ومما يؤيد حمل قوله : « اللهم اجعل فناء أمتي » على الصحابة أيضا ما أخرجه أحمد (١) من طريق عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت النبي ﷺ فسلمت عليه ، فقال : "أَنْخُلْ" . قلت : كلى أو بعضي؟ قال : "بل كلك" . فقال : "اعدد يا عوف ستا بين يدي الساعة : أولهن موتي" فاستبكت حتى جعل يسكتني ، قال : قلت : إهدى "والثانية : فتح بيت المقدس" قلت اثنتين "والثالثة : موتان يكون في أمتي يأخذهم مثل قَمَاصِ الغنم (٢) ، والرابعة : فتنة تكون في أمتي فعتلمها ، والخامسة : يفيض المال فيكم حتى إن الرجل يعطى المائة دينار فيسخطها ، والسادسة : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون إليكم على ثمانين غاية" قلت : وما الغاية؟ قال : "الراية تحت كل راية اثني عشر ألفا ، فسقاط المسلمين يومئذٍ في أرض يقال لها الفوطلة ، في مدينة يقال لها دمشق" . ورجاله رجال الصحيح .

وأصله في صحيح البخارى (٣) من وجه آخر عن عوف بن مالك نحوه ولفظه : "موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، وموتان يأخذ فيكم كَقَمَاصِ الغنم ... الحديث ، وقد تكلمت عليه في شرح البخارى وذكرت فيه : أن الحاكم أخرج من وجه آخر عن عوف بن مالك أنه قال في طاعون عمواس : إن رسول الله ﷺ قال : « اعدد ستا بين يدي الساعة ... » قال : فقد وقع منهن ثلاث : يعنى موته ، وفتح بيت المقدس ، والطاعون . قال : وبقي ثلاث . فقال له معاذ : إن لها أمداً . انتهى .

(١) المسند (٢٥/٦).

(٢) قَمَاصِ الغنم : القماص بضم القاف ، وتخفيف المهملة ، وآخره مهملة ، داء يأخذ الغنم قتموت سريعا . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) البخارى (٢٧٧/٦) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة ، ١٥ - باب ما يحذر من الغدر.

وقد وقعت إفاضة المال في زمن عثمان ، والفتنة العظمى بقتله ، والسادسة لم تقع إلى الآن .

ويشهد لذلك حديث أبي مالك سعد بن طارق الأشجعي عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « بحسب أصحابي القتل » . أخرجه أحمد (١) عن يزيد بن هارون عنه ، وسنده على شرط مسلم ، فقد أخرج في كتاب الإيمان من صحيحه حديثا غير هذا بهذا الإسناد . وقوله : « حَسْبُ بِسْكَونِ السَّيْنِ أَيْ : كَافِي .

وكذا رويناه في الفيلايات بعلو من طريق يزيد بن هارون بلفظ : « كفى بأصحابي القتل » . وكأته ﷺ دعا لهم بذلك ليحصل لهم رفع الدرجات وتكفير الخطيئات .

ويستفاد منه مع ذلك ثبوت فضل من مات بالطاعون ، للعلم بأنه ﷺ لا يختار لأصحابه إلا ما يُرغَّب فيه ويُحصَلُ خَيْرُ الآخرة والله أعلم :

* * * * *

* * *

*

(١) المسند (٣/٤٧٢).

[الفصل الخامس]

ذكر بيان لفظة وقعت في هذا الحديث : حديث أبي موسى

على ما قيل يكثر السؤال عن معناها

جميع ما وقعت عليه من الروايات في حديث أبي موسى وفي حديث عائشة وفي حديث ابن عمر بلفظ : « وخز أعدائكم » ، لو بلفظ : « طعن أعدائكم » ، واشتهر على الألسنة أنه ورد أيضا بلفظ : « وخز إخوانكم » .

ورأيت في كراسة جمعها الشيخ بدر الدين الزركشى رحمه الله في مسألة الطاعون ما نصه : روى الإمام أحمد والطبراني في معجمه الكبير من حديث عبد الله بن الحارث عن أبي موسى الأشعري : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « فناء أمتي بالطعن والطاعون » قالوا : أما الطعن فقد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : « طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة » . هذا لفظ الطبراني ، وفي لفظ أحمد : « إخوانكم » . انتهى .

وما نسبه إلى أحمد غلط في السند وفي المتن ، أما السند فما أخرجه أحمد من رواية عبد الله بن الحارث أصلا ، وإنما أخرجه من ثلاثة طرق فقط :

أحدها : من رواية سفيان - وهو الثوري - عن زياد بن علاقة عن رجل عن أبي موسى . وهي في أوائل الجزء الأول من مسند أبي موسى من مسند أحمد ، وهو الجزء التاسع من مسند الكوفيين من أصل مسند أحمد (١) .

ثانيهما : من رواية شعبة عن زياد بن علاقة ، حدثني رجل من قومي - قال شعبة : كنت أحفظ اسمه - قال : كنا على باب عثمان فننتظر الإذن عليه فسمعت أبا موسى . وهي في الجزء الحادى عشر من مسند الكوفيين ، وهو الثالث من مسند أبي موسى (٢) .

الثالثا : من رواية أبي بكر النهشلى ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، قال : خرجنا في بضع عشرة من بنى ثعلبة ، فإذا نحن بأبي موسى . وهي عنده عقب رواية شعبة (٣) ، كأنه لما رأى قول شعبة : كنت أحفظ اسمه . أورده بعده ليبين الاسم المذكور .

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٢ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٥٢ .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٥٥ .

وأما المتن فليس في شيء من الطرق الثلاثة المذكورة بلفظ « إخوانكم » أصلا ، وإنما هو بلفظ « أعدائكم » ، ففي رواية سفيان « وخز أعدائكم من الجن » ، وفي رواية شعبة « طعن أعدائكم من الجن » ، ولم يسبق لفظ رواية النهشلي ، وقد ساقها البزار (١) بلفظ « أعدائكم » .

ثم استظهرت بنسخة أخرى من مسند أبي موسى من مسند أحمد فوافقت الرواية التي نقلت منها ، ثم راجعت ترتيب مسند أحمد الذي جمعه الحافظ أبو بكر بن المحب وحشاه الحافظ عماد الدين بن كثير ، فما وجدت إلا من الطرق الثلاثة من غير مزيد ، ليس هو من رواية عبد الله بن الحارث عن أبي موسى أصلا ، وكذا لفظ المتن كما وصفته بلفظ « أعدائكم لا بلفظ « إخوانكم » .

ثم راجعت المعجم الكبير للطبراني فوجدته أخرجه من طرق :

الأولى : رواية أبي بكر النهشلي ، عن زياد بن علاقة ، عن أسامة بن شريك ، عن أبي موسى ولفظه : « وخز أعدائكم من الجن » .

الثانية : رواية أبي بلّج ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، (عن أبيه . وقد تقدمت كذلك .

الثالثة : رواية عبد الرزاق ، عن الثوري قال فيها : عن زياد بن علاقة ، عن رجل منهم ، عن أبي موسى (٢) . وساقها مثل رواية أحمد سواء .

الرابعة : رواية إسماعيل بن زكريا ، عن الثوري ومسعر جميعا ، عن زياد بن علاقة ، عن يزيد بن الحارث ، عن أبي موسى . وقد تقدمت (٣) بلفظ « وخز أعدائكم » ، ومثله رواية أبي مريم عن زياد بن علاقة وقد تقدم سياقها (٤) .

الخامسة : رواية الحكم بن عتيبة ، عن زياد بن علاقة الثعلبي ، عن رجل من قومه عن أبي موسى . ولفظه : « طعن أعدائكم من الجن » .

السادسة : رواية إسرائيل ، عن زياد ، عن رجل من الحسى ، عن أبي موسى بلفظ « طعن عدوكم » وقد تقدم سياقها أيضا (٥) .

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الرباط .

(٣) تقدمت في ص ٥٤ .

(٤) في ص ٥٥ .

(٥) في ص ٥٤ .

هذا جميع ما في مسند أبي موسى من المعجم الكبير للطبراني ، لم يقع فيه من رواية عبد الله بن الحارث عن أبي موسى ولا بلفظ « إخوانكم » .

نعم ، ذكر الطبراني في المعجم الأوسط بعد أن ساقه من رواية الحكم عن زياد بن علاقة عن رجل عن أبي موسى ما نصه : رواه الثوري ومسعر وإسرائيل ، عن زياد بن علاقة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي موسى . كذا رأيتُ فيه ، والصواب من رواية هؤلاء عن زياد بن علاقة عن يزيد بن الحارث ، لا عن عبد الله بن الحارث ، وما أظن الوهم إلا من النسخة التي من الأوسط ؛ فإنها غير مقابلة . والله أعلم .

ثم وجدت الحديث في مسند أبي حنيفة للحارثي ، وفي كتاب معاني الأخبار للكلاباذي ، أخرجاه جميعا بإسناد واحد إلى أبي سليمان الجوزجاني ، ثنا محمد بن الحسن ، ثنا أبو حنيفة ، ثنا زياد بن علاقة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « فناء أمتي بالطعن والطاعون » . قيل : يارسول الله ، الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال : « وخز أعدائكم من الجن ، وفي كل شهيد » .

فهذا من رواية عبد الله بن الحارث مع شذوذه ولكن بلفظ « أعدائكم » أيضا ، والله أعلم .

(ثم وجدته في مسند أبي حنيفة جمع أبي بكر بن المقرئ (أخرجه) (١) : حدثنا مفضل بن محمد الجندی ، ثنا يوسف بن يعقوب ، ثنا المقرئ - هو عبد الله بن يزيد - ثنا أبو حنيفة ، فذكر مثله سواء إلا أنه قال في آخره : « وفي كل شهادة » .

قال ابن المقرئ : وحدثنا أبو عمرو الحارثي وأخوه أبو معشر قالا : حدثنا عمرو بن أبي عمرو ، ثنا محمد بن الحسن ، أنبا أبو حنيفة ، فذكر مثله سواء) (٢) .

وذكر صاحب كتاب آكام المرجان في أحكام الجان - وهو الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي وهو من تلامذة المزي والذهبي في الحديث - في الباب الخامس والخمسين من كتابه المنكور في بيان أن الطاعون من وخز الجن ما نصه : روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال

(١) غير موجودة بالحرم والدار.

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة الهند.

رسول الله ﷺ : « فناء أمتي بالطعن والطاعون » . قالوا : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال : « وخز إخوانكم من الجن ، وفي كل شهادة » . ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الطواعين وقال فيه : « وخز أعدائكم من الجن » . انتهى ما نقلته من كتابه .

وما أدري من أين وجده في مسند أحمد كذلك ، والموجود فيه ما ذكرته ، وأظن الزركشي اعتمده ، لكن تعيينه الرواي عن أبي موسى وهو عبد الله بن الحارث قَدْرُ زائد على كلام الشبلي .

ثم رأيت في الجزء الذي جمعه المنبجى بعد أن حكى كلام الشبلي : كذا قال . (قال) (١) : وقد كشفت عنها في المسند من نسخ كثيرة موثوق بها فما رأيتها في المسند في حديث أبي موسى إلا بلفظ « أعدائكم » . قال : ولم أره في كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ، والظاهر أن الشبلي وهم في ذلك .

قال : وقد عزاه بعضهم لأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ، والله أعلم .

قلت : قد ذكر المتن بلفظ « إخوانكم » قديماً أبو عبيد الله الهروي في كتاب « الغريبين » له فقال في مادة وخز ما نصه : في الحديث « وخز إخوانكم » وهو طعن غير نافذ . قال : وقد ورد في بعض طرقه بلفظ « طعن أعدائكم » وهو محمول على ذلك . انتهى كلامه .

وتبعه أبو السعادات المبارك بن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٢) فقال ما نصه : فيه « وخز إخوانكم من الجن » ، الوخز : طعن ليس نافذاً .

قولهما : إن الوخز طعن غير نافذ صحيح ، ولما الرواية بلفظ « إخوانكم » فما عرفت موضعها من كتب الحديث (٣) ، وقد راجعت كتاب أبي عبيد في غريب الحديث ، ثم كتاب أبي محمد بن قتيبة في ذلك وهو كالذيل على كتاب أبي عبيد ، ثم كتاب أبي سليمان الخطابي في ذلك وهو كالذيل على كتاب ابن قتيبة ، (ثم كتاب قاسم بن ثابت

(١) غير موجودة بالرباط والدار .

(٢) النهاية (١٦٣/٥) .

(٣) سبق في ص ٥٨ أن الحاكم قد رواه على الشك بهذا اللفظ فارجع إليه .

السرقسطى في ذلك وهو كالذليل على كتاب ابن قتيبة^(١) أيضا ، فلم أره فيها أصلا ، ولا في الفائق للزمخشري ، وكذلك كتاب غريب الحديث لإبراهيم الحربي - وهو أوسع هذه الكتب كلها ومع ذلك ما أكمله - فلم أجده فيه .

نعم ، قد ورد وصف الجن بكونهم إخوان الإنس في حديث صحيح غير هذا ، وهو ما أخرجه مسلم^(٢) من رواية عامر - وهو الشعبي - قال : سألت طلحة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فذكر الحديث وفي آخره : وسأله الزاد ، فقال : « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لو أمر ما يكون لصما ، وكل بعرة علف ، فلا تستنجوا بهما ؛ فإنهما طعام إخوانكم » . وأخرجه أبو داود^(٣) كذلك لكن وقع في روايته « كل عظم لم يذكر اسم الله عليه » .

وحكى السهيلي عن بعضهم أنه جمع بين الروایتين بأن الأولى في حق مؤمنى الجن ، والثانية في حق كافرينهم ، وهذا جيد لو تعدد مخرج الحديث ، أما مع اتحاد مخرجه فلا ، والله أعلم .

طريق أخوس في كون الطاعون من الوخذ :

ذكر الزمخشري في الفائق عن معاذ قال : لما قدم - يعني من اليمن - وأصابهم الطاعون ، قال عمرو بن العاص : لا أراه إلا رجزاً وطوفاناً . وروى أنه قال : إنما هو وخز من الشيطان . فقال له معاذ : ليس برجز ولا طوفان ، ولكنها رحمة ربكم ودعوة نبيكم ... الحديث .

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة تركيا .

(٢) مسلم (١/٣٣٢) ٤ - كتاب الصلاة ، ٢٣ - باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن .

(٣) يعني - والله أعلم - أبو داود الطيالسى ، إذ إن الحديث بهذا اللفظ ليس في سنن أبي داود

السجستاني ، بل إنه لم يروه بكامله ، فقد اقتصر على صدره فقط .

سنن أبي داود (١/٢٢) كتاب الطهارة ، باب الوضوء بالنيبذ .

عن طلحة قال : قلت لعبد الله بن مسعود : من كان منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن؟ فقال : ما كان معه منا أحد .

والحديث بهذا اللفظ الذى ذكره الحافظ فى مسند أبى داود الطيالسى "منحة المعبود" (١/٤٧) .

فلعل كلمة الطيالسى سقطت من النسخ ، وهو بعيد لاتفاق جميع النسخ على ذلك ، أو تكون سقطت سهوا من الحافظ رحمه الله تعالى .

قال الزمخشري : الرجز والرجس العذاب . ثم نقل عن بعض اللغويين أنه الأمر الشديد ينزل بالناس ، وهو من قولهم : ارتجرت السماء بالرعد وارتجست ، ورعد مرتجز ومرتجس ، وهو حركة مع جلبة ؛ لأن العذاب النازل لابد فيه للمنزول بهم (١) من أن يضطربوا ويجلبوا . قال : والوَجْزُ : بفتح الواو وسكون المعجمة بعدها زاي ، ويقال : بدل الزاي ضاد معجمة لو طاء مهملة بمعنى ، وأراد بقوله : دعوة نبيكم حديث « اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون » . انتهى .

وحديث معاذ المنكود سيأتي سياقه من مسند البزار في الباب الرابع (٢) ، ولكن الرواية التي فيها : وخز من الشيطان ، ملوqفت عليها بعد ، ثم وجنتها في صيون الأخبار لأبي محمد بن قتيبة ، وقال فيه : العرب تدعو الطاعون رماح الجن . قلت : وهذا يحتمل أن يكون نقلا عن العرب الإسلاميين الذين تلقوا ذلك عن النبي ﷺ ، وإلا فلو كان ذلك معروفا عند العرب قبل الإسلام ، لما احتاج الصحابة أن يسألوا النبي ﷺ عن الطاعون كما تقدم في حديث أبي موسى ، ويمكن أن يجاب (عنه) (٣) : أن الذين سأله عن ذلك لم يكن من لغتهم . والله أعلم .

ذكر كيفية الجمع بين قوله « وخز أعدائكم »

وقوله « وخز إخوانكم » على تقدير صحة ورودها

ومحصل ما رأيته من الأجوبة خمسة أوجه :

الوجه الأول : ذكره الشبلي عقب كلامه المتقدم فقال : ولاتنافي بين اللغطين ؛ لأن الأخوة في الدين لا تنافي العداوة ؛ لأن عدلوة الجن للإنس بالطبع وإن كانوا مؤمنين فالعداوة موجودة . انتهى .

ويمكن أن يستشهد له بقوله تعالى : ﴿ ولقنا ليهبطوا بعضهم لبعض عدا ﴾ (٤) والخطاب لأصل الإنس آدم وحواء ، وأصل الجن إبليس ، وقوله تعالى : ﴿ أفتتخونوه

(١) في كل الأصول (٤) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) الباب الرابع ص ١٦٣ .

(٣) زيادة من نسخة الحرم .

(٤) سورة البقرة : ٣٦ .

وذريته أولياء من نونى وهم لكم عدو ﴿ ١ ﴾ ، وحاصل هذا الجواب : أن الجن يوصفون بكونهم أعداء الإنسان سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ، وكأنه استشكل لفظ « أعدائكم » فأجاب عنها ، وأقر لفظ « إخوانكم » فلم يستشكلها ولم يتعرض لتفسيرها ، وهو خلاف ما يفهمه غيره .

الوجه الثانى : ذكره الزركشى عقب كلامه المذكور فقال : إن صحت الروايتان احتمل والله أعلم في الجمع بينهما أن رواية « أعدائكم » طعن الكافرين منهم للمسلمين من الإنس ورواية « إخوانكم » طعن المسلمين منهم للكافرين من الإنس . انتهى .

وأظنه منتزعا من جواب السهيلي الماضى في الجمع بين روايتى مسلم وأبي داود ، ثم وجدت الجواب بعينه في جزء المنبجى المذكور ، وكأن الزركشى ظفر به كعادته ، وهو جمع لا بأس به ، إلا أنه يلزم منه أن يكون المراد بكل طريق من الطريقين طائفة مخصوصة غير الأخرى ، وهذا لو كان مع اختلاف مخرج الطريقين لسهل الأمر وحمل على أنهما حديثان ، لكن الطريق متحد ، وفي ذلك قرينة ترشد إلى أن الاختلاف في لفظه من بعض رواياته ، وإلا لوردَ مرة باللفظين معا ليصح التوزيع .

الوجه الثالث : بلغنى عن الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سئل عن ذلك فأجاب بما حاصله : أن الرواية بلفظ « أعدائكم » محمولة على المباشرة ، والرواية بلفظ « إخوانكم » محمولة على السبب ، وهو مبنى على أن المخاطب بذلك المؤمنون فقط ، وأن الطعن يقع من كافر إلى الجن فقط ، لكن تارة يكون بمحض العداوة للإنس فيباشر الجن الكافر طعن الإنسى المؤمن ، وتارة يقع بسبب وقوع أمر بين مؤمنى الجن وكافريهم مثلا ، فيعجز الكافر منهم عن مقاومة المؤمن منهم ، فيقتص من إنسى مؤمن ، فيكون الجنى المؤمن سببا لوقوع ذلك بالإنسى المؤمن ، واستشهد لصحة هذا الجمع بقوله تعالى : ﴿ ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾ (٢) ، وبالحدِيث الذى فيه التحذير عن سب الرجل أباه ، قالوا : وكيف يسب الرجل أباه ؟ قال : « يسب أب الرجل فيسب أباه » الحديث (٣) .

(١) سورة الكهف : ٥٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٨ .

(٣) البخارى (٤٠٢/١٠) ٧٨ - كتاب الأدب ، ٤ - باب لا يسب الرجل والديه .

مسلم (٩٢/١) ١ - كتاب الإيمان ، ٢٨ - باب بيان الكبائر وأكبرها .

قلت : وهو جواب لا بأس به أيضا ، إلا أنه يرد عليه نحو ماورد على الذى قبله .

الوجه الرابع : ظهر لى ولم أره منقولا ، وهو أن يحمل اختلاف اللفظ على أنه من تصرف الرواة لاتحاد مخرج الحديث كما تقدم ، بناء على أن كلا من اللفظين يفيد ما يفيد الآخر من المقصود ، فحيث جاء بلفظ « أعدائكم » فهو على عمومه ؛ إذ لا يقع الطعن إلا من عدو في عدوه ، ويكون الخطاب لجميع الإنس بأن الطعن يقع من كافرى الجن في مؤمنى الإنس ، أو من مؤمنى الجن في كافرى الإنس ، ويشهد له حديث أبى عسيب الماضى ذكره (١) : « أنه شهادة للمسلم ورجز على الكافر » .

وحيث جاء بلفظ « إخوانكم » فهو على عمومه أيضا ، لكن المعنى به أخوة التقابل ، كما يقال : الليل والنهار إخوان ، والشمس والقمر إخوان . أو أخوة التكليف فإن الجن والإنس هما الثقلان بنص القرآن لاشتراكهما في التكليف .

قال ابن عبد البر في التمهيد : الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون .

وقال ابن حزم في الملل : جاء النص بأن الجن أمة عاقلة مميزة مكلفة موعودة متوعدة متناصلة يموتون ، وأجمع المسلمون كلهم على ذلك ، نعم والنصارى والمجوس واليهود إلا السامرة فقط .

وقال الإمام فخر الدين في التفسير : أطبق الكل - يعنى من أثبت وجود الجن - على أن الجن كلهم مكلفون . انتهى .

فإطلاق « إخوانكم » من هذه الحيثية يشمل جميع الجن ، فيصح وصف من يقع منه الطعن في الجنس بذلك كلفظة الأعداء ، وبهذا يجاب عن حديث الزاد ، فإنه جاء بلفظ « إخوانكم » في جميع طرقه دون لفظ « أعدائكم » ، والمراد به جميع الجن : مؤمنهم وكافرهم؛ فإنهم مشتركون في كون ذلك زأذهم ، والله أعلم . ثم رأيت حاصل هذا الجواب منقولا في جزء جمعه الشيخ أبو عبد الله المنبجى ثم الصالحى الحنبلى في الطاعون ولفظه : قال بعض المتأخرين ليس المراد أخوة الدين ، وإنما المراد أخوة التقابل ، والإنس والجن متقابلان لأنهما الثقلان . هذه عبارته والله أعلم .

وقد أجاب بعض قدماء المفسرين عن قوله تعالى : ﴿ يا أخت هارون ﴾ (٢) قال :

(١) فى ص ٢٩ .

(٢) سورة مريم : ٢٨ .

أرادوا أخوة التشابه لا أخوة النسب ، وكان في ذلك الوقت رجل يقال له هارون إما صالح وإما طالح ، على اختلاف الرواية في ذلك ، فشبها به . فيمكن أن يجيء مثل ذلك هنا ؛ لأن الجن والإنس متشابهان في التكليف كما تقدم .

الوجه الخامس : ذكروني به بعض الفضلاء وهو أن تحتمل الإضافة في رواية « وخز أعدائكم » على أنها إضافة إلى الفاعل ، وفي رواية « إخوانكم » على أنها إضافة إلى المفعول ، والمراد بالأول ما يقع في الإنس من الجن ، وبالثاني ما يقع في المؤمنين من الجن ، ولا يخفى تكلف هذا الجواب وبعده .

ويمكن إثبات وجه سادس يستنبط من معنى حديث ذكرته في آخر الباب الثالث فليراجع منه .

تكملة تتعلق بقوله ﷺ : « وفي كل شهادة »

وقع لي تردد في الفاسق ما يكون حكمه ؟ وبأي الفريقين يلتحق ؟ وأعني بالفاسق: مرتكب الكبيرة إذا هجم عليه ذلك وهو مُصْرٌ ، فإنه يحتمل أن يقال : لا يكرم بدرجة الشهادة لما هو (ملتبس) (١) به ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ (٢) .

ويحتمل أن يقال : بل يحصل له درجة الشهادة لعدم التقييد في الأخبار الواردة في أنه شهادة للمسلم بوصف زائد على الإسلام ، ومن الأحاديث العامة في ذلك حديث أنس في الصحيحين (٣) : « الطاعون شهادة لكل مسلم » فإنه صريح في العموم .

(١) في نسخة العرم (ملتبس).

(٢) سورة الجاثية: ٢١.

(٣) البخارى (٤٢/٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٢٠ - باب الشهادة سبع سوى القتل.

مسلم (١٥٢٢/٣) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٥١ - باب بيان الشهداء.

ولا يلزم من حصول درجة الشهادة لمن اجترح السيئات أن يساوى المؤمن الذى عمل الصالحات فى المنزلة ؛ فإن درجات الشهداء متفاوتة ، كتنظيره من عصاة المؤمنين إذا قتل الكفار مجاهداً فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، مقبلاً غير مدبر ، فإنه شهيد لا محالة ، ولو كانت له ذنوب أخرى لم يتب منها فسيأتى فى الباب الثالث حديث عتبة بن عبد (١) المصرح بأن من اقترف الذنوب والخطايا وجاهد بنفسه وماله حتى يقتل فى سبيل الله تتمحى خطاياهم إن السيف محمى (٢) للخطايا ، نعم ، ثبت فى الحديث الصحيح (٣) أن الشهيد يفر له كل ذنب إلا الدين ، وفى معنى الدين سائر التبعات المتعلقة بالعباد .

وأما ما أخرجه ابن ماجه (٤) من حديث أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « شهيد البحر مثل شهيد البر ... » الحديث وفيه : « يغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ، وشهيد البحر الذنوب والدين » فهو حديث ضعيف لضعف راويه عفير بن معدان (٥) ، فإن كان ثابتاً فهو خاص بالفريق الذى يخرج مجاهداً فى سبيل الله ؛ فإنه يجتمع له شيئان للشهادة : القتال فى سبيل الله والفرق .

ويمكن أن يقال : أفاد الاستثناء أن حقوق العباد لا تسقط بمجرد حصول الشهادة ، وأفاد الإثبات الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى قد يهب للشهيد من مزيد الثواب بسبب الشهادة ما يوفى معه من حسناته حق من له فى قبيله مظلمة ، ويتوفر له ثواب الشهادة خالصاً .

والحاصل : أن وجود التبعات لا يمنع حصول الشهادة ؛ لأن الشارع قد رتب الثواب على صفة معينة ، فإذا حصلت للمؤمن عند موته حصل له ذلك الثواب فضلاً من الله وإحساناً ووفاء بوعده الله والله لا يخلف الميعاد وليس للشهادة معنى إلا أن الله يثيب من

(١) سيأتي الحديث بتمامه والكلام عليه وتخرجه فى ص ١١٢ .

(٢) محمى : بتشديد المهملة ، من المحو . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) يشير إلى ما رواه مسلم (١٥٠٢/٣) ٢٢ - كتاب الإمارة ، ٢٢ - باب من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياهم إلا الدين .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : " يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين " .

(٤) ابن ماجه (٩٢٨/٢) ٢٤ - كتاب الجهاد ، ١٠ - باب فضل غزو البحر .

(٥) عفير : بمهملة وفاء مصنف ، وأبو معدان : بفتح أوله ، وسكون المهملة . (منه رحمه الله تعالى) .

حصلت له ثوابا مخصوصا ، ويكرمه كرامة زائدة ، وقد بين الحديث أنه يكفر عنه ذنوبه المتعلقة بحقوق الله تعالى ، ويتجاوز عنه الإخلال بها بأن يترك معاقبته عليها فإذا فرض أن الشهيد له أعمال صالحة ، وقد كثرت الشهادة أعماله السيئة غير حقوق العباد ، فإن أعماله الصالحة تنفعه في موازنة ما عليه من الحقوق والتبعات ، فيؤتى ما عليه من أعماله الصالحة بمن الله ورحمته ، ولا يلزم من حصول الشهادة سقوط حقوق العباد ، فإن عدم بقاء شيء من التبعات على السالم من الدين إنما هو من ضرورة الواقع لا من جزاء الشهادة . ومثال ذلك : أن بعض خواص الملك لو ظلم آخر من أخصائه مثلا ، فاقصص الملك منه للأخر حقه ، لم يناف ذلك إكرامه لمن اقتصص منه ، بل الواقع أن كثيرا منهم يبالغ في إكرام بعض أخصائه ويستوفى مع ذلك منه حق من ليس من أخصائه ، إثارا للعدل ومحبة للإنصاف ، فكيف بمن لا يظلم متقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها .

وعرف بهذا التقرير أن فائدة الاستثناء في قوله « إلا الدين » الإشارة إلى التفرقة بين من لا تبعة عليه فلا يعوقه شيء عن التمتع بثواب الشهادة ، وبين من عليه تبعة فيتعوق ويتنقص بسبب التبعة إلى أن يوفيها لصاحبها . ويؤيد ذلك حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خلص المؤمنون - يعنى من الصراط - حبسوا عند قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُتِبوا ونُقُوا أُنزل لهم في دخول الجنة » الحديث متفق عليه (١) .

فلا شك أن مرتبة هؤلاء الذين يحبسون عند القنطرة بون مرتبة من يؤذن له في دخول الجنة بغير تعويق .

(١) البخارى (٩٦/٥) ٤٦ - كتاب المظالم ، ١ - باب قصاص المظالم .

وقد أعيانى البحث عليه فى مسلم فلم أجده ، ثم تأكد لى أن الحديث لم يروه مسلم ، وذلك عندما طالعت كتاب " الجمع بين الصحيحين " للحميدى ، فوجدته ذكر الحديث ضمن أحاديث أفراد البخارى من مسند أبى سعيد الخدرى ، ق ٢٥١/١ من نسخة مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة - المحمودية ، تحت رقم ٤٢٤ حديث ، رقم الفيلم ٣٠٤٨ .

فهذا بلا شك وهم من الحافظ ، فرحمه الله تعالى ، وسبحان من أبى العصمة إلا لرسوله ﷺ .

ذكر الجواب عن إشكال وقع في كون الطاعون من وخذ الجن

ذكر القاضي تاج الدين السبكي في جزء جمعه في الطاعون بعد أن ذكر حديث أبي موسى المذكور ما ملخصه : لو ثبت هذا الحديث لزم منه أن لا يقع الطاعون في شهر رمضان ؛ لأن الشياطين تصفد (١) فيه وتغلغل (٢) كما ثبت في الصحيح (٣) . قال : لكنه قد وقع الطاعون فيه ، بل شاهدناه في شهر رمضان أكثر منه في غيره .

ثم أجاب : بأن الحديث ليس فيه أن الشياطين تبطل أعمالها فيه بالكيفية ، بل يحصل بذلك لها المنع من معظم العمل . قال : ويحتمل أن يقال : إنهم طعنوا قبل دخول شهر رمضان ولم يظهر التأثير إلا بعد دخول شهر رمضان . قال : وهذا بعيد . ثم قال : وخطر لي أن يقال : إن تصفيد الشياطين إنما هو عما يترتب عليه من ابن آدم إثم ، من تحسينهم الفجور لابن آدم ليقع فيه ، وأما ما لا يترتب عليه إثم بل يثاب المرء عليه كالطاعون مثلا ، فلا يمنعون منه كما لا يمنعون مما لا يترتب عليه إثم ولا ثواب كالاختلام . انتهى .

وقد تكلم العلماء قديما على هذه المسألة واستشكلوا تصفيد الشياطين فيه من جهة أخرى ، وهي وجود المعاصي : الكبائر وغيرها من بنى آدم فيه . قال عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن هذا الحديث وقلت له : الرجل يوسوس له في رمضان ويصرع ؟ فقال : هكذا جاء الحديث . وقد استوعبت الكلام على ذلك في فتح الباري (٤) وهذا ملخصه :

قال الحلبي : يحتمل أن يكون الذين يسلسلون من الشياطين مسترقوا السمع

(١) تُصَفِّدُ : بمهملة ، وتشديد الفاء ، أى توثق . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) تغلغل : بغيرين معجمتين . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) يشير إلى ما رواه البخارى (١١٢/٤) - ٢ - كتاب الصوم ، ٥ - باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان .

ومسلم (٧٥٨/٣) ١٢ - كتاب الصيام ، ١ - باب فضل شهر رمضان . واللفظ له .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : 'إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النار ، وصُنِّدت الشياطين' .

(٤) فتح الباري (١١٤/٤).

منهم ، وأن تسلسلهم يقع فى ليالى رمضان نون أيامه ؛ لأنهم كانوا منعوا فى زمن نزول القرآن من استراق السمع مطلقا فى رمضان وفى غيره ، فزيدوا التسلسل فيه مبالغة فى التحفظ .

قال : ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون فيه إلى إفساد المسلمين مثل ما كانوا يخلصون فى غيره ؛ لاشتغال المسلمين بالصيام الذى فيه قمع الشهوات به ، وبقراءة القرآن والذكر والصلاة . انتهى .

وقال ابن خزيمة : المراد بالشياطين فى الحديث بعضهم لا كلهم . وترجم لذلك فى صحيحه وأورد ما أخرجه - واللفظ له - والترمذى وصححه والنسائى والحاكم (١) من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين مردة (٢) الجن ... » الحديث . وأصله فى الصحيح بلفظ : « صفدت الشياطين » بغير قيد ، وفى رواية الترمذى : « صفدت الشياطين ومردة الجن » بالواو العاطفة ، وعند النسائى من وجه آخر عن أبى هريرة بلفظ : « وتغل فى مردة الشياطين » وقوله : « صفدت » بضم أوله أى شددت بالأصفاة وهى الأغلال ، واحدها « صَفْدٌ » بفتحتين ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد أو غل ، وهو بمعنى الرواية الأخرى فى الصحيح « وسلسلت الشياطين » والمطلق فى الروايات الأخرى محمول على المقيد بالردة ، فيخرج غير المردة ، فيحصل الجمع بأن الوخز فى شهر رمضان يقع من غير المردة .

وقال عياض فى الكلام على أصل الحديث : يحتمل تسلسل الشياطين أمرين ؛ أحدهما : أن يحمل على ظاهره وحقيقته ، وأنه لمنع الشياطين من أذى المؤمنين . ويحتمل أن تكون الإشارة إلى كثرة الثواب ، وأن الشياطين يقلل إغواؤهم فيصيرون كالمصفيدين ، ويكون ذلك كناية عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات .

(١) الترمذى (٥٧/٣) ٦ - كتاب الصوم ، ١ - باب ما جاء فى فضل شهر رمضان .

النسائى (١٢٩/٤) كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان .

المستدرک (٤٢١/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة .

(٢) مَرْدَةٌ : بفتحتين جمع مارد . (منه رحمه الله تعالى) .

ورجح القرطبي في المفهم حمله على ظاهره ، ثم قال : فإن قيل : فكيف ترى الشرور والمعاصي واقعة في شهر رمضان كثيرا ، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب : (أنها تغل)^(١) عن من صام الصوم المعتبر بشروطه ، ومراعاة آدابه ، وأن المصنف بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم ، أو المقصود تقليل الشرور فيه وهو أمر واقع ، فإن وجود ذلك فيه أقل منه في غيره . انتهى كلامه .

والمعتمد الاحتمال الثاني على ما تقدم تقريره وبه يندفع الإشكال والله أعلم .

* * * * *

* * *

*

(١) في نسخة الدار والهند (أنها إنما تغل).

[الفصل السادس]

ذكر الدليل على أن الجن قد يسلطون على الإنس بغير
هذا الوخز في رمضان وغيره ، فلا يستنكر تسلطهم بالوخز
في رمضان (١) وأن الله قد يدفع بعضهم عن بعض

ثبت في الصحيحين (٢) عن صفية بنت حبي أم المؤمنين رضی الله عنها في قصة
اعتكاف النبي ﷺ في رمضان ، وأن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان يجري من ابن
أم مجرى الدم » وهو وإن كان سياقه أنه مخصوص بالوسوسة ، لكنه يدل على إمكان
ما أشرت إليه بطريق عموم لفظه ، والدلالة الوجودية فيمن يصرعه الجن من الإنس كثيرة
جدا .

وقد أخرج البزار (٣) من حديث سمرة رفعه : « إن للشيطان كحلا ولعوقا ، فإذا كحل
الإنسان من كحله شغفه عن الصلاة ، وإذا لعقه من لعوقه ذرب لسانه في الشر » . وفي
سنده ضعف يسير ، ولكن له شاهد من حديث أنس .

روى ابن أبي الدنيا في كتاب « مصائد الشيطان » بسند صحيح عن أنس قال :
كانت ابنة عوف بن عفراء مستلقية على فراشها ، فما شعرت إلا بزنجى قد وثب على
صدرها ووضع يده على حلقها ، قالت : فإذا صحيفة تهوى بين السماء والأرض حتى
وقعت على صدرى ، فأخذها فقرأها فإذا فيها : من رب لكن (٤) إلى لكن ، اجتنب ابنة
الصالح ، فإنه لا سبيل لك عليها . فقام وأرسل يده من حلقى ، وضرب بيده على
ركبتي ، فاستورمت حتى صارت مثل رأس الشاة . قالت : فأتيت عائشة فذكرت ذلك

(١) (في رمضان) زيادة من الحرم.

(٢) البخارى (٢٨١/٤) ٣٣ - كتاب الاعتكاف ، ١١ - باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه.

مسلم (١٧١٢/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٩ - باب بيان أنه يستحب لمن رأى خاليا بامرأة وكانت
زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة.

(٣) البزار كشف الأستار (٣٩٤/٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٦/٥):

رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، خلا سعيد بن بشير ، وقد وثقه شعبة وغيره
وضعفه ابن معين وغيره.

(٤) لَكَيْنَ : بلام ، ثم كاف ، وآخره نون مصغر . (منه رحمه الله تعالى).

لها ، قالت : يا ابنة أخى ، إذا حِضَّتِ فأجمعى عليك ثيابك ، فإنه لن يضرك إن شاء الله تعالى . فحفظها الله بأبيها ، أنه كان قتل يوم بدر شهيدا .

وخرج أيضا بسند ضعيف من طريق الحسن بن الحسن بن على قال : دخلت على الربيع بنت معوذ أسألتها عن شيء ، فقالت : بينا أنا في مجلسى هذا إذ انشق سقفي فهبط علىّ منه أسود مثل الجمل - أو قالت : مثل الحمار - لم أر مثل سواده وخلقه وفظاعته ، فدنا منى يريدنى ، وتبعته صحيفة صغيرة ، ففتحتها فقرأها : من ربّ علّب (١) إلى طلب ، أما بعد ، فلا سبيل لك على المرأة الصالحة بنت الصالحين . قالت : فرجع من حيث جاء وأنا أنظر . قال : وأرثتّى الكتاب وكان عندهم .

* * * * *

* * *

*

(١) علّب: بضم المهملة ، وسكون اللام ، بعدما موحدّة . (منه رحمه الله تعالى).

[الفصل السابع]

ذكر الحكمة في تسليط الجن على الإنس بالطاعون

قال ابن القيم : في كون الطاعون وخز أعدائنا (من) ^(١) الجن حكمة بالغة ، فإن أعداءنا منهم شياطينهم ، وأما أهل الطاعة منهم فهم إخواننا ، والله أمرنا بمعادة أعدائنا من الجن والإنس ، وأن نحاربهم طلباً لمرضاته ، فلبى أكثر الناس إلا مسألتهم ومزالمتهم ، فسلطهم الله عليهم عقوبة لهم حيث استجابوا لهم حين أغوهم وأمروهم بالمعاصي والفجور والفساد في الأرض فأطاعوهم ، فانتقضت الحكمة أن سلطهم عليهم بالظن فيهم ، كما سلط عليهم أعداءهم من الإنس حين أفسدوا في الأرض وتبنوا كتاب الله وراء ظهورهم ، فهذه ملحمة من الإنس ، والطاعون ملحمة من الجن ، والكل منهما بتسليط العزيز الحكيم ، عقوبة لمن يستحق العقوبة ، وشهادة ورحمة لمن هو أهل لها ، وهذه سنة الله في العقوبات تقع عامة ، فتكون طهراً للمؤمنين ، وانتقاماً من الفاجرين . انتهى كلامه . وسأذكر ما يشيده ويؤيده في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

ذكر حكمة أخوئنا تليق بقسم آخر غير من أشار إليه ابن القيم :

قال أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي في كتاب معاني الأخبار عقب حديث أبي موسى الذي تقدم سياقه في الطاعون : إن الله عز وجل اختص المؤمن لنفسه ، وصرفه في محابه ، وجعل كل أحواله خيراً له ، وأراد به الخير في كل ما أصابه من خير أو شر ، أو ألم ولذة ، وقيض له من يواليه إرادة الخير به ، من ملك يستغفر له ، ونبي يشفع له ، ومؤمن يعاونه ، وجعل له من يعاونه إرادة الخير به ، من شيطان يزله ، وعدو يقاتله ، وجنى يخزه ، وهو عز وجل للمؤمن حافظ وناصر ، ولأعدائه مخز قاهر ، والمؤمن هو الذي إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له .

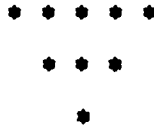
ثم ذكر جواب إشكال في تسليط الجن على المؤمن مع كونه محفوظاً في جميع أموره ، فقال : كما جاز أن يطعنه عدوه الظاهر بالرمح والسيف في وقت مع أنه في أكثر أوقاته قد منعه الله منه بالرعب تارة والقوة والنصر أخرى ، لكنه قد يريد به الخير وينيل درجة الشهادة فيقتله العدو ، وربما استولى العدو أيضاً على دار المسلم وماله مع

(١) زيادة من الهند.

قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَإِنْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٢) فكذلك يجوز أن يطعنه عدوه من الجن ، مع أنه في أكثر أوقاته قد منعه الله منه بالمعقبات من الملائكة ، لكنه قد يريد به الخير ونيل درجة الشهادة ، فيمكن من وخزه مع قوله تعالى ﴿ إِنْ كِيدَ الشَّيْطَانُ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٣) . قال : وطعن الإنس نافذ ، وطعن الجن غير نافذ ، فسمى النبي ﷺ الطعن النافذ طعنا والطعن غير النافذ طاعونا ، وأخبر أن في كل ذلك شهادة .

خاتمة (٤)

قد وردت آثار وحكايات لا تحصى في تثبيت كون الطاعون من وخز الجن ، من أقربها وقوعا ما حدث به الشريف شهاب الدين بن عدنان وهو يومئذ كاتب السر بالقاهرة ، وأظنني سمعته منه وقرأته بخط من أتق به بعد ، قال : وقع الطاعون مرة ، فتوجهت لعيادة مريض فسمعت قائلا يقول لآخر : اطعنه . فقال : لا . فأعاد ، فقال : دعه لعله ينفع الناس . فقال : لا بد . قال : ففى عين فرسه . قال : وفي كل ذلك التفت ولا أرى أحداً ، فعدتُ المريض ثم رجعت ، فرأيت الفرس انفلتت من الركاب فلتبعوها إلى أن ربوها وقد ذهبت عينها من غير أثر ضريبة ظاهرة . قال : فتحققت صدق المنقول أن الطاعون من وخز الجن ، وكان عندي في ذلك وثقة .



(١) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٢) سورة النساء: ١٤١.

(٣) سورة النساء: ٧٦.

(٤) هذه الخاتمة بتمامها سقطت من نسخة تركيا.

[الفصل الثامن]

ذكر الآثار الواردة في الأذكار التي نحوس قائلها من كيد الجن [أولاً : الآيات القرآنية :]

فمن ذلك آيات من القرآن على ترتيب السور ، كحديث أبي سعيد وحديث ابن عباس في الرقية بفاتحة الكتاب وهما في الصحيح (١) .

- وعن عبد الملك بن عمير قال : قال رسول الله ﷺ : « في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء » . أخرجه الدارمي وهو مرسل جيد (٢) .

- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، فقد أمنت من كل شر إلا الموت » . أخرجه البزار وفي مسنده راو ضعيف (٣) .

(١) أما حديث أبي سعيد فقد رواه البخاري (٤٥٢/٤) ٣٧ - كتاب الإجارة ، ١٦ - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب .

ومسلم (١٧٢٧/٤) ٢٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار واللفظ له :

عن أبي سعيد : أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر ، فمروا بحى من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحى ليدع أو مصاب . فقال رجل منهم : نعم فاتاه لرفاه بفاتحة الكتاب فبرأ الرجل ، فأعطى قطيعاً من غنم فابى أن يقبلها وقال : حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ . فأتى النبي فذكر ذلك له فقال : يارسول الله ، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب . فتبسّم وقال : « وما أدراك أنها رقية » ثم قال : « خفوا منهم واضربوا لي بسهم معكم » .

- وأما حديث ابن عباس فقد رواه البخاري : (١٩٨/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ٢٤ - باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب بنحو حديث أبي سعيد . قال المصنف في الفتح (١٩٩/١٠) : وقد تقدم شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الإجارة ، ويثبت فيه أن حديث ابن عباس وحديث أبي سعيد في قصة واحدة وأنها وقعت لهم مع الذي لدغ .

(٢) الدارمي (٤٤٥/٢) كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب .

(٣) البزار كشف الاستار (٢٦/٤) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/١٠) رواه البزار ، وفيه غسان بن عبيد وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يقر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة » . رواه مسلم والترمذى والنسائى (١) .

- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سورة البقرة فيها آية هي سيِّدة أى القرآن ، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه : آية الكرسي » . أخرجه الحاكم (٢) وهذا لفظه ، وأخرجه الترمذى (٣) بلفظ آخر واستغربه وليس فيه المقصود ، وأخرجه الطبرانى وصححه ابن حبان من حديث سهل بن سعد نحوه وفيه مقصود الباب وقال فيه : « من قرأها في بيته (ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ، ومن قرأها نهارا لم يدخل الشيطان بيته) (١) ثلاثة أيام » . وأخرجه أبو عبيد من حديث ابن مسعود موقوفا : الشيطان يقر من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه . وأخرجه الحاكم موقوفا ومرفوعا ، والطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل بسند ضعيف .

- وعن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، لا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » . رواه الترمذى (٥) وحسنه ، والنسائى (٦) وصححه ابن حبان والحاكم ، وأخرجه الطبرانى من حديث شداد بن أوس (٧) .

- وعن ابن مسعود قال : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح ؛ أربع آيات من أولها ، وآية الكرسي ، وآيتين بعدها ،

(١) مسلم (٥٢٩/١) ٦- كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٢٩- باب استحباب صلاة النافلة في بيته .
الترمذى (١٥٧/٥) ٤٦- كتاب فضائل القرآن ، ٢- باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

النسائى في عمل اليوم والليلة : (ص ٥٢٥ ، ح ٩٦٥) .

(٢) المستدرک (٥٦١/١) ، (٢٥٩/٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) الترمذى (١٥٧/٥) ٤٦- كتاب فضائل القرآن ، ٢- باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

(٤) ما بين القوسين ساقط من نسخة الهند .

(٥) الترمذى (١٥٩/٥) ٤٦- كتاب فضائل القرآن ، ٤- باب ما جاء في آخر سورة البقرة وآية الكرسي .

(٦) النسائى في عمل اليوم والليلة : (ص ٥٢٧ ، ح ٩٦٧) .

(٧) المعجم الكبير (٢٨٥/٧) وقال الهيثمى في مجمع الزوائد (٢١٢/٦) : ورجاله ثقات .

وخواتيمها . رواه الطبراني ورواه ثقات ، إلا أن فيه انقطاعا (١) .

- وعن أبي هريرة قال : وكُنِّي رسول الله ﷺ بزكاة رمضان ... الحديث . وفيه قول الجنى لأبي هريرة : إذا لويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ حتى تختم الآية (٢) ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح . وفيه قول النبي ﷺ : « صدقك وهو كنوب » . أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الوكالة ، وأخرجه النسائي (٣) .

- وعن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه : أنه كانت له سنهوة (٤) فيها تمر ، وكانت تجيء الغول فتأخذ منها .. الحديث . وفيه قولها لأبي أيوب : آية الكرسي اقرأها في بيتك ، فلا يقربك شيطان ولا غيره . فجاء إلى النبي ﷺ فقال : « صدقتُ وهى كنوب » أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب (٥) .

- وعن أبي بن كعب أنه كان له جرين (٦) فيه تمر ... فنذكر الحديث . وفيه : فإذا هو بداية كهية الغلام المحتمل فقال : ما أنت ؟ قال : جنى . وفيه : فقلت ما الذى يحرزنا منكم؟ قال : هذه الآية : آية الكرسي . وفيه قول النبي ﷺ : « صدق الخبيث » . أخرجه النسائي (٧) وأبو يعلى .

- وعن بريدة قال : بلغنى أن معاذ بن جبل أخذ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ ، فسألته ، فقال : نعم ... فنذكر الحديث . وفيه : أقبل على صورة الفيل فنخل من خلل الباب فدنا من التمر . وفيه : ولقد كنا في مدينتك هذه حتى بعث صاحبكم ، فلما نزلت عليه آيتان نفرنا منهما فوقعنا بنصيبين ، فلا نقرآن في بيت إلا لم يلج فيه الشيطان ثلاثا : آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة ﴿ آمن الرسول ﴾ إلى آخرها . فخلت سبيله

(١) المعجم الكبير (١٤٧/٩) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١١٨/١٠) : ورجاله رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البخارى (٤٨٧/٤) ٤٠ - كتاب الوكالة ، ١٠ - باب إذا وكَّل رجلا فترك الوكيل شيئا فلجازه الموكل فهو جائز ...

والنسائي فى عمل اليوم والليلة (ص ٥٣٢ ، ح ٩٥٩) .

(٤) سنهوة: بفتح المهمله ، وسكون الهاء ، وفتح الواو ، أى بيت صغير . (منه رحمه الله تعالى).

(٥) الترمذى (١٥٨/٥) ٤٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٣ - باب حدثنا محمد بن بشار.

(٦) جرين: بجيم وراء ، وآخره نون ، وزن عظيم . (منه رحمه الله تعالى).

(٧) النسائي فى عمل اليوم والليلة (ص ٥٣٤ ، ح ٩٦١).

(وغنوت) (١) إلى رسول الله ﷺ فقال : « صدق الخبيث وهو كئوب » . أخرجه الطبراني بسند حسن (٢) .

- وعن ابن مسعود قال : خرج رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فلقى الشيطان فاصطربا ... الحديث . وفيه : سورة البقرة ليس منها آية تقرأ في وسط بيت فيه شياطين إلا تقرقوا ، ولا تقرأ في بيت فيدخل ذلك البيت شيطان . أخرجه ابن أبي الدنيا بسند حسن .

- وعن كعب الأحبار قال : إن محمدا أعطى أربع آيات لم يعطهن موسى ، وإن موسى أعطى آية لم يعطها محمد . قال : والآيات ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ حتى ختم سورة البقرة ، والآية : اللهم لا تولج الشيطان في قلوبنا وتخلصنا منه ، فإن لك الملكوت والأيد والسلطان والملك والحمد والأرض والسماء الدهر الدهر أبدا أبدا . رواه أبو عبيد مقطوعا هكذا .

- وأخرج محمد بن المنذر الهروي في كتاب العجائب من طريق حمزة الزيات قال : بينا أنا بخلوان سمعت شيطاننا يقول لآخر : هذا الذي يقرئ الناس القرآن تعال نعبث به . فقال : (مرويك) (٣) . فلما دنا مني قرأت ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ ... إلى ﴿ الحكيم ﴾ (٤) . فقال أحدهما للآخر : لا أرغم الله إلا أنفك ، أما أنا فلا أزال أحرسه إلى الصباح .

- وعن أبي بن كعب قال : كنت عند النبي ﷺ ، فجاء أعرابي فقال : يا نبي الله ، إن لي أخا وبه وجع . قال : « وما وجعه ؟ » قال : به لَمٌ . قال : « فأتني به » . فوضعه بين يديه فعوضه : بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول البقرة ، ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ الآية (٥) ، وآية الكرسي ، وثلاث آيات من آخر السورة ، وآية من آل عمران ﴿ شهد الله ﴾ إلى ﴿ العزيز الحكيم ﴾ (٦) ، وآية في الأعراف ﴿ إن ربكم الله ﴾ (٧) ، وآخر

(١) وفي نسخة العرم (ومضيت).

(٢) المعجم الكبير (٥١/٢٠).

(٣) في نسخة الهند (مه ويلك).

(٤) سورة آل عمران: ١٨.

(٥) سورة البقرة: ١٦٢.

(٦) سورة آل عمران: ١٨.

(٧) سورة الأعراف: ٥٤.

المؤمنين ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ (١) ، ومشر آيات من أول الصفات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وآية من سورة الجن ﴿ وأنه تعالى جد ربنا ﴾ (٢) ، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (٣) ، والمعوذتين . فقام الرجل كأنه لم يشك شيئاً قط . أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند ، وفيه أبو جناب (٤) الكلبى وفيه ضعف (٥) .

- وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن إلى قوله : ﴿ وإليه المصير ﴾ (٦) حين يصبح ، حفظ بهما حتى يمسي ، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح » . أخرجه الترمذى وقال : حديث غريب (٧) . وأخرجه على بن سعيد العسكري في ثواب القرآن نحوه من رواية عبد الرحمن بن أبي بكر المليكى (٨) وهو ضعيف .

- وعن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء ، إذ غشينا ريح وظلما شديدة ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ، ويقول : « يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذٍ بمثلها » . أخرجه أبو داود وأصله في مسلم (٩) .

- وأخرجه البزار (١٠) من حديث عبد الله الأسلمى أن النبي ﷺ قال له : « قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، هكذا فتعوذ ، فما تعوذ العباد بمثلها قط » . ورجاله ثقات ، وهو عند أبي عبيد من رواية معاذ بن عبد الله بن خبيب (١١) الجهنى عن أبيه بنحوه وسنده جيد .

(١) سورة المؤمنون : ١١٦ .

(٢) سورة الجن : ٣ .

(٣) سورة الإخلاص : ١ .

(٤) أبو جناب : بفتح الجيم ، وتخفيف النون ، وآخره موحدة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) المسند (١٢٨/٥) .

(٦) سورة غافر : ٣ .

(٧) الترمذى (١٥٧/٥) ٤٦ - كتاب فضائل ٢ - باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

(٨) المليكى : هو بالتصغير . (منه رحمه الله تعالى) .

(٩) أبو داود (٧٣/٢) كتاب الصلاة ، باب في المعوذتين .

مسلم (٥٥٨/١) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٤٦ - باب فضل قراءة المعوذتين .

(١٠) البزار " كشف الأستار " (٨٥/٣) .

(١١) خبيب : هو بخاء معجمة ، وموحدتين مصغر . (منه رحمه الله تعالى) .

وهو عند النسائي والترمذى وصححه^(١) من حديث عبد الله بن حبيب قال : أصابنا طشٌ وظلّمة ، فانتظرنا رسول الله ﷺ ليصلى بنا ، فخرج وقال : « قل » . قلت : ما أقول؟ قال : « قل هو الله أحد ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حينَ تَمْسَى وحينَ تصبحُ تكفيك كل شيءٍ » . زاد الترمذى في روايته : « ثلاث مرات » . وهدى أبي عبيد من حديث عبد الرحمن بن هابس قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا ابن هابس ، ألا أخبرك بأفضل ما تُعوِّذُ به المتعوِّذون؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » . وسنده حسن .

- وعن أبي سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من الجان وهين الإنسان ، حتى نزلت المُعَوِّذَتَانِ ، فلما نزلتا أخذ بهما ، وترك ما سواهما . أخرجه الترمذى^(٢) .

[ثانياً : الأحاديث النبوية]

ومن ذلك ما جاء في الأحاديث النبوية من الأذكار المأثورة منها :

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ... » الحديث . وفيه : « وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى » . متفق عليه^(٣) . وفي رواية الترمذى : « من قال في دبر الصلاة : صلاة الفجر ، وهو ثانى رجلية قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله ، فذكرها عشر مرات ، كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكان يومه ذلك في حرزٍ من كل مكروه ، وحرُسٍ من الشيطان » . وقال : حسن صحيح غريب^(٤) .

- وعن الحارث بن الحارث الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أمر يحيى بن زكريا أن يأمر بنى إسرائيل ... » الحديث بطوله ، وفيه قول النبي ﷺ :

(١) النسائي (٢٥٠/٨) كتاب الاستعاذة ، الحديث الأول.

الترمذى (٥٦٧/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١١٧ - باب حدثنا سفيان.

(٢) الترمذى (٣٩٥/٤) ٢٩ - كتاب الطب ، ١٦ - باب ما جاء في الرقية بالمُعَوِّذَتَيْنِ.

(٣) البخارى (٣٢٨/٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق ، ١١ - باب صفة إبليس وجنوده.

مسلم (٢٠٧١/٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ١٠ - باب فضل التهليل

والتسبيح والدعاء.

(٤) الترمذى (٥١٥/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، باب ٤٩.

« وأمركم بذكر الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في إثره سراعاً ، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » أخرجه الترمذى وصححه (١)

- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي عفتين من الجن يطلبني بشعلة من النار كلما التفت رأيتُهُ . قال جبريل عليه السلام : ألا أطمعك كلمات تقولن فتتطفئ شعلتها؟ فقلت : بلى . فقال لي جبريل : قل أعوذ بوجه الله الكريم ، وبكلمات الله التامات ، اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما نزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر ما نزل في الأرض ، ومن شر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، إلا طارقاً يطرق بخير » . أخرجه ابن أبي الدنيا بسند فيه لين . وأخرجه أحمد (٢) من طريق أبي التياح قال : قلت لعبد الرحمن بن خنبل (٤) التميمي وكان كبيراً : أدركت رسول الله ﷺ؟ قال : نعم . قال : قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كانته الشياطين؟ فقال : إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ ، فهبط إليه جبريل فقال : يا محمد قل . قال : ما أقول ؟ قال : قل : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذراً وبرا ، ومن شر ما نزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن . قال : فطفنت نارهم وهزمهم الله تعالى .

وأخرجه ابن أبي شيبة (٥) والبخاري والحسن بن سفيان في مسانيدهم . وأخرجه النسائي (٦) بسند آخر إلى ابن مسعود بنحوه ، وهو من رواية محمد بن جعفر بن أبي كثير ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن زارة ، عن عياش الشامي ، عن ابن مسعود . وعياش بمهملة ثم تحتانية ثقيلة وأخره معجمة ، مجهول .

(١) الترمذى (١٤٨/٥) ٤٥ - كتاب الأمثال ، ٢ - باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة .

(٢) نراً : بمعجمة وراء وهمزة ، أى خلق ، وكأنته مختص بخلق الذرية . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) المسند (٤١٩/٢) .

(٤) خنبل : بمعجمة ونون وموحدة ، ثم موحدة ، وزن جعفر . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٤١٩/٧) .

(٦) النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٢٠ ، ح ٩٥٩) .

وقد رواه مالك (١) عن يحيى بن سعيد معضلا ، قال حمزة الكناني : هذا هو المحفوظ والله أعلم .

- وعن علي رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ستر ما بين الجن وعمودات بنى آدم إذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول : بسم الله » أخرجه الترمذى (٢) .

- وعن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد : « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وبسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » . قال : -
يعنى من قالها - : « قال الشيطان : حُفَظَ منى سائر اليوم » . أخرجه أبو داود (٣) .

- وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله . يقال له : هديت وكفيت ووقيت . فيتحنى له الشيطان ، فيقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » . أخرجه أبو داود (٤) .

- وعن ابن عباس رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال : « هذه الكلمات بواء من كل داء : أعوذ بكلمات الله التامة ، وأسمائه كلها عامة ، من شر السامة والهامة (٥) وشر العين اللامة ، ومن شر حاسد إذا حسد ، ومن شر أبي قترة وما ولد » . الحديث أخرجه البزار وأبو يعلى وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف (٦) .

- وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « إذا تخوف أحدكم (السلطان) (٧) فليقل : اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، كن لى جاراً من فلان ، ومن شر الإنس والجن وأتباعهم ، أن يفرط على أحد منهم ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله

(١) الموطأ (٩٥١/٢) ٥١ - كتاب الشعر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ .

(٢) الترمذى (٥٠٤/٢) كتاب الصلاة ، باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء .

(٣) أبو داود (١٢٧/١) كتاب الصلاة ، باب فيما يقول الرجل عند دخول المسجد .

(٤) أبو داود (٣٢٥/٤) كتاب الأدب ، باب ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول .

(٥) السامة والهامة : بتشديد الميم فيهما ، وأول الأول سين مهملة ، والمراد نوات السموم كالعقرب والمفضل الجندى - بفتح الجيم والنون . (منه رحمه الله تعالى) .

(٦) البزار كشف الأستار (٤٠٥/٣) .

مسند أبي يعلى (٣٠٦/٤) .

(٧) وفى نسخة الرباط وتركيا (الشيطان) .

غيرك » . رواه الطبراني بسند حسن (١) .

وعن ابن عباس قال : إذا أتيت سلطانا مهيبا تخاف أن يسطو بك فقل : الله أكبر ، الله أعز من خلقه جميعا ، الله أعز مما أخاف وأحذر ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو المسك السماوات أن يقعن على الأرض إلا بإذنه ، من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس ، اللهم كن لي جارا من شرهم ، جل ثناؤك وعز جارك ، تبارك اسمك ، ولا إله غيرك ، ثلاث مرات . رواه ابن أبي شيبة والطبراني موقوفا ، ورجاله رجال الصحيح (٢) .

- وعن عطاء بن أبي مروان عن أبيه : أن كعبا حَلَفَ له أن صهيبا حدثه : أن محمدا ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » . أخرجه النسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان (٣) .

- وعن خولة بنت حكيم قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم يضره شيء حتى يرتحل » أخرجه مسلم والترمذي والنسائي (٤) .

- وعن الوليد بن الوليد بن المغيرة أنه قال : يا رسول الله ، أجد وحشة . فقال : « إذا أخذت مضجعتك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون . فإنه لا يضرک » . أخرجه أحمد (٥) من رواية شعبية

(١) المعجم الكبير (١٨/١٠) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٢/١٠) .

المعجم الكبير (٣١٤/١٠) .

(٣) النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣٦٨ ، ح ٥٤٤) .

ابن حبان موارد الظمان (ص ٥٩٠ ، ح ٢٣٧٧) .

(٤) مسلم (٢٠٨٠/٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ١٦ - باب في التعوذ من سوء القضاء ودرک الشقاء وغيره .

الترمذي (٤٩٦/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٤١ - باب ما يقول إذا نزل منزلا .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣٧٦ ، ح ٥٦٠) .

(٥) المسند (٦/٦) .

عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عنه ، ورجاله ثقات ، إلا أنني أظن فيه انقطاعا .

وقد أخرجه مالك في الموطأ^(١) عن يحيى بن سعيد معضلا ، لم يذكر فوقه أحداً .
ورواه أبو بكر بن أبي شيبة^(٢) عن عبد الرحيم بن سليمان ، عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان : أن الوليد ...

ورواه ابن عيينة عن أيوب بن موسى ، عن محمد بن يحيى بن حبان : أن خالد بن الوليد . وهذا اضطراب .

لكن أخرجه أبو داود^(٣) من طريق محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده قال : كان الوليد بن الوليد يفزع في نومه ... فذكر نحوه وزاد : وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يَعْقِلْ كُتِبَ فَأُعْلِقَهُ عَلَيْهِ . وهو شاهد جيد .

وله شاهد آخر مرسل من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن الوليد شكى ... فذكر نحوه . أخرجه إبراهيم الحربي في غريب الحديث .

- وعن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأتبل الليل قال : « يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما نزل عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن حية وعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن شر والد وما ولد » . أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم^(٤) .

- وعن أبي الأسمر العبدى قال : خرج رجل إلى ظهر الكوفة فذكر قصة فيها : أنه سمع هاتفا من الجن يقول : ما على عروة - يعنى ابن الزبير - سبيل : لأنه يقول كلاما حين يصبح وحين يمسي . فرحل إلى المدينة فسأله ، فقال : أقول : أمنت بالله وحده وكفرت بالجبت والطاغوت ، واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .
أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الهوائف .

(١) الموطأ (١٥٠/٢) ٥١ - كتاب الشَّعْر ، ٤ - باب ما يؤمر به من التعمد .

عن يحيى بن سعيد قال : بلغنى أن خالد بن الوليد ...

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٢/١٠) .

(٣) أبو داود (١٢/٤) كتاب الطب ، باب كيف الرقى .

(٤) أبو داود (٣٤/٣) كتاب الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٣٧٨ ، ح ٥٦٣) .

المستدرک (٤٤٧/١) ، (١٠٠/٢) وصححه ووافقه الذهبى .

فصل

وقع في بعض النسخ من الحلية عن الشافعي : أحسن ما يداوى به الطاعون التسييح . قيل : ووجهه أن الذكر يدفع العقوبة والهلاك ، قال الله تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ (١) .

وعن كعب قال : سبحان الله تمنع العذاب . قال ذلك وقد حضر عمر أمر بجلد رجل فجلده أول جلدة فقال : سبحان الله . فعفى عنه عمر . قلت : والمعروف عن الشافعي ما ذكره ابن أبي حاتم وغيره : لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن به ويشرب .
تنبيه :

إنما يحصل النفع بهذه الآيات والكلمات لمن صفى قلبه من الكدر ، وأخلص في التوبة وندم على ما فرط فيه وفرط منه ، وإلا فإذا غلبت أسباب الداء على أسباب الدواء ، ربما بطل نفع الأنوية ، ولو لم يكن لذلك مثال في الخارج إلا غفلة المرء عن الأمور المذكورة حتى تهجم عليه الأفة من غير أن يشعر ثم يطلب الإقالة فلا يجد إليها سبيلا .

فنسال الله أن يثبت قلوبنا على دينه ، وأن يرزقنا التوبة النصوح ، وأن يختم لنا بالحسنى بمنه وكرمه .

(١) سورة الصافات: ١٤٣ .

[الفصل التاسع]

ذكر كشف هشكل ما في هذا الباب الثاني

قوله : الذبجة : بفتح الذال المعجمة والموحدة ، وقد تسكن الباء ، وبالمهملة ، وجع يعرض في الحلق من الدم ، أو قرحة تظهر فيه من داخل فينسد معها ، وقد ينقطع معه النفس .

قوله : الأرفاغ : بالفاء والغين جمع رفغ بضم الراء وقد تفتح ، وسكون الفاء ، هي أصول المغابن كالآباط والحوالب ، ومطاري الأعضاء ، وهو مجتمع العرق والوسخ ، وقد يطلق الرفغ على الوسخ وليس مرادا هنا .

قوله : غدة : بضم الغين المعجمة وتشديد الدال .

قوله : المراق : بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف ، هو ما رقى من أسفل البطن ولان ، ولا واحد له من لفظه ، وميمه زائدة ، قاله الجوهري ، وقال أبو عبيد الهروي في الغريب : واحدها مرق ، وهو ما سفل من البطن من المواضع التي ترق جلودها .

قوله : وخز : بفتح الواو ، وسكون الخاء المعجمة ، بعدها زاي ، وهو طعن غير نافذ هذا أصل الوخز ، وإنما قيل لطعن الجن إنه غير نافذ ؛ لأنه يقع من الباطن إلى الظاهر فيؤثر في الباطن أولا ثم قد ينفذ إلى الظاهر وقد لا ينفذ ، بخلاف طعن الإنس ، فإنه يؤثر أولا في الظاهر ثم قد ينفذ إلى الباطن وقد لا ينفذ ، وهذه حقيقة الطاعون المحسوسة ، وبهذا التقرير يندفع الإشكال ، ويجتمع كلام الأطباء مع الآثار الواردة في ذلك كما تقدم .

قوله : بئر : بضم الموحدة ، وفتح المثثة ، جمع بئر : بفتح الموحدة والمثثة وقد يسكن ، وهو كالدمل الصغير .

قوله : ويرم : بفتح التحتانية وكسر الراء وتخفيف الميم ، من الورم .

قوله : المغابن : جمع مغبن ، هي بواطن الآباط والأنخاد وشبهها ، ويقال أيضا لمعاطف الجلد .

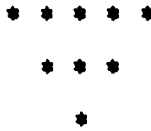
قوله : الأرنبة : أي قصبية الأنف وهي مما يقل وقوع الطاعون به ، حتى أنكره بعضهم ، لكن قد وجد مصداق ذلك في الفناء الكبير بالديار المصرية والشامية سنة تسع وأربعين ، واستغربوه جدا حتى ذكر ذلك الصفدي في رسالة له متعجبا منه .

قوله : علاقة : بكسر المهملة وتخفيف اللام بعدها قاف .
 قوله : الخَصِيب : بفتح المعجمة وكسر المهملة بعدها تحتانية ساكنة ثم موحدة ،
 والخصيبي نسبة إلى هذا الاسم .
 والخلعى : بكسر المعجمة وفتح اللام ، اسمه : على بن الحسن
 وعُلوية : بفتح العين المهملة وتشديد اللام المضمومة وسكون الواو ، بعدها تحتانية
 مفتوحة .

ومسعر : بكسر الميم وسكون المهملة .
 والثعلبي : بمثناة مفتوحة ومهملة ساكنة .
 والنهشلى : بفتح النون وسكون الهاء بعدها معجمة .
 والحمانى : بكسر المهملة وتشديد الميم وبعد الألف نون .
 وكردوس : بضم الكاف وسكون الراء وضم المهملة وسكون الواو وآخره مهملة .
 قوله : وابن أبى سفيرة : بفتح المهملة وكسر المعجمة .
 وأبو بلج : بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها جيم ، تقدم ضبطه .
 قوله : الجوزجانى : بضم الجيم وسكون الواو وفتح الزاى وتخفيف الجيم .
 قوله : تفصيه : بفاء وصاد مهملة ثقيلة ، أى : كثير التفطيش .
 قوله : الباغيان : بموحدة ثم غين معجمة مفتوحة بعدها موحدة خفيفة .
 قوله : فيستبيح : من الإباحة .
 قوله : بيضتهم : بفتح الموحدة ، أى مجتمعهم وموضع سلطانهم ، وبيضة الدار
 وسطها ومعظمها ، أراد عدوا يستأصلهم .
 قوله : كقعاص الغنم : القعاص بضم القاف وتخفيف المهملة وأخرة مهملة ، داء
 يأخذ الغنم فتموت سريعا .

قوله : محاء : بتشديد المهملة من المحو .
 قوله غفير : بمهملة وفاء مصغر ، وأبوه مُعدان بفتح أوله وسكون المهملة .
 قوله : تصفد : بمهملة وتشديد الفاء ، أى توثق ، وقد شرح في الأهل .
 وقوله : تغفلل : بغينين معجمتين .
 قوله : مرده : بفتحتين جمع مارد .
 قوله : سهوة : بفتح المهملة وسكون الهاء وفتح الواو ، أى بيت صغير .
 قوله : جرين : بجيم وراء وآخره نون ، وزن عظيم .

- قوله : أبو جناب : بفتح الجيم ، وتخفيف النون وآخره موحدة .
 قوله : المليكي : هو بالتصغير .
 قوله : ابن خبيب الجهني : هو بخاء معجمة وموحدتين مصفر .
 قوله : خنبلش : بمعجمة ونون وموحدة ثم معجمة ، وزن جعفر .
 قوله : ذراً : بمعجمة وراء وهمزة ، أى خلق وكأنه مختص بخلق الذرية .
 قوله : لكين : بلام ثم كاف وآخره نون مصفر .
 وقوله : عُلْب : بضم المهملة وسكون اللام بعدها موحدة .
 قوله : من كل سامة وهامة : بتشديد الميم فيهما ، وأول الأول سين مهملة ، والمراد
 نوات السموم كالعقرب ، والمفضل الجندي بفتح الجيم والنون ، والله أعلم .



الباب الثالث

في بيان أحوال الطاعون شهادة للمسلمين ورحمة

[وفيه عشرة فصول]

[الفصل الأول]

[في سياق الأحاديث الواردة في ذلك]

تقدم حديث أنس رفعه : « الطاعون شهادة لكل مسلم » متفق عليه (١). وحديث عائشة في أنه : « رحمة للمؤمنين » أخرجه البخارى (٢) ، وسيأتى سياقه في الباب الرابع (٣) ، وفي رواية أحمد (٤) من وجه آخر عنها : « المقيم فيه كالشهيد » ، ولأبي يعلى (٥) من وجه آخر عنها : « ومن أصيب به كان شهيدا » .

وسياتى في الباب الرابع (٦) حديث شرحبيل بن حسنة : « إن هذا - يعنى الطاعون - رحمة ربكم » .

وعن أبي عبيدة ومعاذ مثله ، وفي رواية لمعاذ : « وشهادة يختص الله بها من يشاء منكم » . وأخرج أحمد (٧) من طريق إسماعيل بن عبيد الله - وهو ابن أبي المهاجر - قال : قال معاذ بن جبل : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستهاجرون إلى الشام فتفتتح ، ويكون فيكم داء كالدمل وكالحزّة (٨) ، تأخذ مرق الرجل ، يستشهد الله به أنفسهم ، ويزكى به أعمالهم » .

وفي رواية للبيهقى (٩) في الدلائل : « يستشهد الله به أنفسكم وذراريكم ، ويزكى به أموالكم » .

وله (١٠) في حديث عوف بن مالك : « ثم موتان يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ، ويزكى به أموالكم » الحديث.

(١) تقدم تخريجه من ٧٧ .

(٢) البخارى: (١٩٢/١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٣١ - باب أجر الصابر على الطاعون.

(٣) من ١٥٥ ، وقد ذكره مستوفياً من ١١٧ .

(٤) المسند: (١٤٥/٦).

(٥) مسند أبي يعلى (٣٧٩/٧) ، (١٢٥/٨).

(٦) من ١٥٦ وما بعدها .

(٧) المسند: (٢٤١/٥).

(٨) كالحزّة: بضم المهملة ، وتشديد الزاى ، وهى القطعة من اللحم قطعت طولاً . (منه رحمه الله تعالى).

(٩) دلائل النبوة: (٣٨٥/٦).

(١٠) دلائل النبوة (٢٨٣/٦).

ذكر بيان الأخبار الواردة في أن الشهادة لا تختص بالقتل في المعركة

روى مالك في الموطأ^(١) عن سُمَيٍّ ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، والفرق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله » . أخرجه البخاري^(٢) من حديث مالك بهذا اللفظ ، وأخرجه^(٣) من طريقه أيضا مختصرا بلفظ : « المبطون شهيد والمطعون شهيد » .

وأخرجه مسلم^(٤) من طريق جرير عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ماتعون الشهيد فيكم ؟ » . قالوا : يارسول الله ، الذي يقتل في سبيل الله فهو الشهيد . قال : « إن شهداء أمتي إذاً لقليل » . قالوا : فمن هم يارسول الله ؟ قال : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد » .

وأخرجه أحمد^(٥) من رواية معمر عن سهيل بلفظ : « القتل في سبيل الله شهادة ، والغرق شهادة ، والطاعون شهادة ، والبطن شهادة ، والنفساء شهادة » . ولأحمد^(٦) من وجه آخر عن أبي هريرة نحو رواية سهيل لكن قال فيه : « القتل في سبيل الله ، والطعين في سبيل الله ، والغريق والخار^(٧) عن دابته والمجنوب » (يعنى من يموت بذات الجنب).

وللطيايلى^(٨) من حديث عائشة : « الطعين والمجنوب^(٩) والنفساء والبطن شهادة » .

(١) الموطأ (١٣١/١) ٨ - كتاب صلاة الجماعة ، ٢ - باب ما جاء في العتمة والصبح .

(٢) البخاري (١٣٩/٢) ١٠ - كتاب الأذان ، ٢٢ - باب فضل التهجير إلى الظهر .

(٣) البخاري (١٨٠/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٠ - باب ما يذكر في الطاعون .

(٤) مسلم (١٥٢١/٣) ٢٣ - كتاب الإمارة ٥١ - باب بيان الشهداء .

(٥) المسند (٣١٠/٢) .

(٦) المسند (٤٤١/٢) .

(٧) الخار: بمعجمة ، وراء مشددة ، أى الساقط . (منه رحمه الله تعالى) .

(٨) منحة المعبود (٢٣٦/١) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من نسخة تركيا .

ولابن أبي شيبة من حديث سعد رفعه : « يستشهدون بالقتل والطمع والفرق والبطن وموت المرأة جُمعا موتها في نفاسها » وسنده قوى .

ذكر خبر فيه زيادة في عدد الشهداء على حديث أبي هريرة :

قال مالك في الموطأ^(١) : عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك^(٢) ، عن عتيك بن الحارث بن عتيك - وهو جد عبد الله بن عبد الله أبو أمه - أنه أخبره ، أن جابر بن عتيك أخبره ، أن عبد الله بن ثابت لما مات قالت ابنته : أما والله إن كنت لأرجو أن يكون شهيدا ، أما أنك قد قضيت جهازك^(٣) . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته ، ما تعنون الشهادة ؟ » قالوا : القتل في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ : « الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المقتول في سبيل الله شهيد ، والمطعون شهيد ، والفرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبيطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع^(٤) شهيد » .

وأخرجه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والنسائي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، كلهم من حديث مالك بهذا الإسناد^(٥) .

قال ابن عبد البر : جوده مالك إسنادا ومتنا .

(١) الموطأ (٢٣٢/١) ١٦ - كتاب الجنائز ، ١٢ - باب النهي عن البكاء على الميت .

(٢) عتيك : بيمهلة ومثناة ، وآخره كاف ، بوزن عظيم . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) قضيت جهازك : بكسر الجيم ، وبعد الألف زاي ، أى حاجة السفر ، أى فرغت منها ، وأكملت الآلات فعاقد المرض . (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) بجمع : بضم الجيم ، وسكون الميم ، وعن الكسائي بكسر الجيم ، أى : تموت وفى بطنها ولد ، وهو بمعنى المجموع ، كالذخر بمعنى المذخور ، والمعنى أنها ماتت ومعها شئٌ مجموع فيها غير منفصل عنها ، وقيل : هى التى تموت بكرا . وقد ذكرنا تأييد الوجه الأول فى الأصل . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) المسند (٤٤٦/٥) .

أبو داود (١٨٨/٣) كتاب الجنائز ، باب فى فضل من مات فى الطاعون .

النسائي (١٣/٤) ٢١ - كتاب الجنائز ، ١٤ - باب النهي عن البكاء على الميت .

ابن حبان "موارد الظمان" (ص ٢٨٩ ، ح ١٦١٦) .

المستدرک (٣٥٢/١) .

ورواه أبو العميس (١) عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك ، فلم يقم إسناده ولا
متنه ، قال في الإسناد : عن أبيه عن جده . واقتصر في المتن على القتل والحريق
والمطعون والمبطون والمجنوب - وهو صاحب ذات الجنب .

ولرواية مالك شاهد من حديث عبادة بن الصامت لكن ذكر بدل صاحب ذات الجنب :
السل (٢) ، وذكر بدل المرأة تموت بجمع : النفساء يجرها ولدها بسرره (٣) إلى الجنة ،
وهو بالمعنى ، وقال فيه أيضا : الطاعون شهادة . لكن لم يذكر الذى يموت تحت الهدم .
أخرجه أحمد والبخاري والطبراني (٤) بإسناد جيد ، وفي بعضها أن عبادة بن
الصامت رواه عن عبد الله بن رواحة .

وأخرج أحمد من حديث راشد بن حبيش نحوه (٥) .
وأخرجه الطبراني من حديث ربيع الأنصاري نحو حديث مالك وفيه : الذى يموت
تحت الهدم (٦) .

وعن عقبة بن عامر نحوه ، أخرجه النسائي (٧) .
وعن عبد الله بن مسعود قال : من يتردى من رء وس الجبال وتاكله السباع ويفرق
في البحار لشهداء عند الله . أخرجه الطبراني (٨) .
وعن أم حرام (٩) عن النبي ﷺ قال : " المائد في البحر - الذى يصيبه القيئ - له
أجر شهيد " أخرجه أبو داود (١٠) .

-
- (١) أبو العميس: بمهملة مصفر ، وأخره مهمل ، واسمه عتبة بن عبد الله . (منه رحمه الله تعالى) .
 - (٢) السل: بكسر الملهمة ، وتشديد اللام ، مرض معروف . (منه رحمه الله تعالى) .
 - (٣) سرره : بضم الملهمة ، ويكسرهما أيضا ، جمع سرّة بالضم ، ويفتح أوله : ما يقطع من السرة .
(منه رحمه الله تعالى) .
 - (٤) المسند (٣٢٩/٥) .
 - اليزار كشف الأستار (٢٨٥/٢) .
 - والطبراني في الأوسط كما أشار إلى ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد : (٢٩٩/٥) .
 - (٥) المسند (٤٨٩/٣) .
 - (٦) المعجم الكبير (٦٨/٥) .
 - (٧) النسائي (٣٧/٨) كتاب الجهاد ، باب مسألة الشهادة .
 - (٨) قال الحافظ في الفتح (٤٤/٦) : إسناده صحيح .
 - (٩) أم حرام : بلفظ ضد حلال . (منه رحمه الله تعالى) .
 - (١٠) أبو داود (٧/٣) كتاب الجهاد ، باب فضل الغزو .

وعن سعيد بن زيد رفعه : « من قتل نون ماله فهو شهيد » أخرجه الترمذى (١) ، وقال : في الدين والأهل مثل ذلك وأخرجه البخارى بلفظ : « من قتل نون ماله مظلوما فله الجنة (٢) » والنسائى من حديث سويد بن مقرن : « من قتل نون مظلومه فهو شهيد (٣) » .

وعن أبي مالك الأشعري رفعه : « من وقصته بعيره ، أو فرسه أو لدغته هامة ، أو مات على فراشه في سبيل الله : فهو شهيد » أخرجه الطبرانى . ولا بن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعا : « من مات مرابطا مات شهيدا » . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « المرء (٤) يموت على فراشه في سبيل الله شهيد » وقال ذلك في البطلون واللدغيغ والغريق والشريق والذي يفترسه السبع والخار عن دابته . أخرجه الطبرانى .

وعن ابن عباس رفعه : « موت غربة شهادة » أخرجه ابن ماجه بسند واه (٥) . وأخرج الطبرانى في أثناء حديث من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال : « والغريب شهادة » . وعبد الملك متروك .

قال المنذرى : وجاء في أن موت الغريب شهادة عدة أحاديث لا يبلغ شئ منها درجة الحسن . كذا قال .

(١) الترمذى (٣٠/٤) ١٤ - كتاب الديات ، ٢٢ - باب ما جاء في من قتل نون ماله فهو شهيد .
(٢) البخارى (١٢٣/٥) ٤٦ - كتاب المظالم ، ٢٣ - باب من قاتل نون ماله . ولفظه : عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل نون ماله فهو شهيد » .
قال الحافظ بن حجر : قوله (من قتل نون ماله فهو شهيد) قال الإسماعيلى : وكذا أخرجه البخارى ، وكاتبه كتبه من حفظه ، أو حدث به ابن المقرئ من حفظه فجاء به على اللفظ المشهور ، وإلا فقد رواه الجماعة عن المقرئ بلفظ « من قتل نون ماله مظلوما فله الجنة » قال : ومن أتى به على غير اللفظ الذى اعتيد فهو أولى بالحفظ ولا سيما وفيهم مثل دحيم ، وكذا ما زابوه من قوله « مظلوما » فإنه لا بد من هذا القيد . وساقه من طريق دحيم وابن أبى عمر وعبد العزيز بن سلام ، قلت : وكذلك أخرجه النسائى عن عبيد الله بن فضالة عن المقرئ ، وكذلك رواه حيوة بن شريح عن أبى الأسود بهذا اللفظ أخرجه الطبرى . أ هـ من الفتح .

(٣) النسائى (١١٧/٧) كتاب تحريم الدم ، باب من قاتل نون مظلومه .

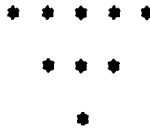
(٤) هكذا فى تركيا ، وفى بقية النسخ (المعرب) .

(٥) ابن ماجه (٥١٥/١) ٦ - كتاب الجنائز ، ٦١ - باب ما جاء فيمن مات غريبا .

وأخرج الخطيب في ترجمة داود بن علي من تاريخ بغداد عن ابن عباس رفعه : « من عشق فكتم وعفّ فمات مات شهيدا » وفي سنده مقال (١).

(وعن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يصبح : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكلّ الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » أخرجه الترمذى (٢) وقال : غريب. والله أعلم. (٣)

فهذه الخصال ورد في كل منها أن صاحبها شهيد بمعنى أنه يعطى أجر الشهيد ، وغالبها ميّات فيها شدة تفضل الله بها على الأمة المحمدية بأن جعلها تمحيصا لنزويهم وزيادة في أجورهم ، ومراتبها مع ذلك متفاوتة فيما يظهر حتى في الأشخاص. والله أعلم.



(١) تاريخ بغداد (١٥٦/٥ ، ٢٦٢) . وراجع التلخيص (١٤٢/٢) .

ولابن القيم كلام كثير حول هذا الحديث في زاد المعاد (٢٧٥/٤) انتهى فيه إلى الحكم بوضعه ، بيد أن للشيخ أحمد بن الصديق الغماري جزءا صغيرا جمع فيه طرق هذا الحديث وسماه "درء الضعف" ، عن حديث من عشق فعفّ ، ولا يزال مخطوطا .

(٢) الترمذى (١٨٢/٥) ٤٦ - كتاب فضائل القرآن ، ٢٢ - باب .

(٣) ما بين القوسين جاء في نسخة الرباط قبل حديث ابن مسعود الأنف ذكره ص ١٥٥ .

[الفصل الثاني]

ذكر الدليل على أن الشهادة تُحصل بالنية وإن لم يقع للمؤمن شيء من الخصال المذكورة

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه ،
أخرجه مسلم^(١) .

والحاكم^(٢) من حديث أنس بن مالك : « من سأل القتل في سبيل الله صادقا ثم مات
أعطاه الله أجر شهيد » وهو تفسير الأول . والنسائي من حديث معاذ مثله .

وأخرج أحمد والحاكم^(٣) أيضا من حديث سهل بن حنيف عن النبي ﷺ : « من سأل
الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » . وعن إبراهيم بن
عبيد بن رفاعه أن أبا محمد أخبره - وكان من أصحاب ابن مسعود - أنه حدثه - يعنى
ابن مسعود - عن رسول الله ﷺ قال : « إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش ، ورب
قتيل بين الصفيين الله أعلم بنيته » أخرجه أحمد في مسند ابن مسعود من مسنده وسنده
جيد^(٤) .

وعن فضالة بن عبيد : أن رجلين خرجا في غزاة ، فأصيب أحدهما في القتال ومات
الأخر ، فجلس فضالة عند قبر الذى مات ، فقيل له فى ذلك فقال : ما أبالى من أى
قبريهما بعثت ، ثم تلا : ﴿ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ... ﴾ الآية^(٥)
أخرجه ابن المبارك فى كتاب الجهاد له .

وعن محمد بن زياد الألهاني قال : ذكر عند أبي عَنبَةَ^(٦) الخولاني^(٧) الشهداء ، فقال :

(١) مسلم (١٥١٧/٣) ٣٣ - كتاب الإمامة ، ٤٦ - باب استحباب طلب الشهادة فى سبيل الله تعالى .

(٢) المستدرک (٧٧/٢) .

(٣) المسند (٢٤٤/٥) .

المستدرک (٧٧/٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٤) المسند (٣٩٧/١) .

(٥) سورة الحج : ٥٨ .

(٦) أبو عَنبَةَ : بكسر المهملة ويفتح النون . (منه رحمه الله تعالى) .

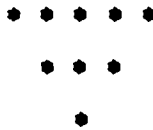
(٧) الخولاني : بفتح المعجمة وسكون الواو . (منه رحمه الله تعالى) .

حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنه قال: "إن شهداء الله في الأرض أمناء الله على خلقه ، قتلوا أو ماتوا" أخرجه أحمد^(١).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لله عباداً يضمن بهم^(٢) عن القتل ، يطيل أعمارهم ويحسن أرزاقهم ، ويحييهم في عافية ، ويقبض أرواحهم في عافية ، ويمتثلهم في عافية ، فيعطيتهم منازل الشهداء" أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الطب ، وفي سننه حفص بن سليمان وهو ضعيف.

وفي الباب عن سعيد بن زيد وأبي هريرة ، وابن عمر وابن عباس وابن مسعود وسردها أبو نعيم بأسانيد ضعيفة.

والحاصل من هذه الأحاديث أن الشهداء أقسام ؛ شهيد في الدنيا والآخرة: وهو من قتل في حرب الكفار لإعلاء كلمة الله ، وشهيد في الدنيا فقط: وهو من قتل في حرب الكفار وقام به مانع كفساد نية مثلاً والفرار من الزحف ، وشهيد في الآخرة فقط: وهو ما عدا ذلك ، والله أعلم.



(١) المسند (٤/٢٠٠).

(٢) يضمن بهم: بفتح التحتانية ، والضاد المعجمة ، الضن بالمعجمة الساقطة معناه البخل ، والمراد به هنا: أنه سبحانه وتعالى لا يريد بهم ذلك. (منه رحمه الله تعالى).

[الفصل الثالث]

ذكر معنى الشهيد

- قال ابن الأنباري: سمي بذلك لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة.
وقال النضر بن شميل: لأنه حي ، فكان روحه شاهدة ، أي: حاضرة.
وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه (ما أعد له)^(١) من الكرامة.
وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة.
وقيل: لأن الملائكة يشهدون له بحسن الخاتمة.
وقيل: لأن الأنبياء تشهد له بحسن الاتباع لهم.
وقيل: لأن فضل الله يشهد له بحسن نيته وإخلاصه.
وقيل: لأنه يشهد له هذه الأمة بالجنة.
وقيل: لأنه يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل.
وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره.
وقيل: لأنه شاهد الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة.
وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار.
وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجى.

وبعض هذه التعريفات تختص بقتيل المعركة ، وبعضها يشمله وغيره ، وبعضها مدخول لاشتراك غير الشهيد مع الشهيد فيها.

* * * * *

* * *

*

(١) في الرباط (ما أعد الله له).

ذكر خصائص الشهيد الأخروية

روى الترمذى (١) من حديث المقدم بن معدى كرب عن النبي ﷺ قال: " للشهيد عند الله ست خصال : يففر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه " قال الترمذى حسن صحيح غريب.

وثبت بنص القرآن أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

وفي الصحيح (٢): " أن أرواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تلوى إلى قناديل تحت العرش ."

ومن خصائص الشهيد أنه يتمنى الرجوع إلى الدنيا لكثرة ما يرى من الكرامة وفضل الشهادة ، ثبت ذلك في الصحيح (٣) .

ومن خصائصه أنه يقطع له بالجنة ، وقد مضى البحث فيما يتعلق بالتبعات.

(١) الترمذى (١٨٧/٤) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ٢٥ - باب ثواب الشهيد .

(٢) مسلم (١٥٠٢/٣) ٣٣ - كتاب الإمامة ، ٣٣ - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .

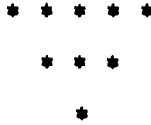
(٣) البخارى (٢٢٦/٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ٢١ - باب تمنى المجاهد أن يرجع إلى الدنيا .

عن أنس بن مالك ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ؛ لما يرى من الكرامة ."

[الفصل الرابع]

ذكر جواب من استشكل الدعاء بالشهادة مع أنه يستلزم تمكين الكافر منه والقاعدة أن تمنى المعصية لا يجوز ، وقتل المؤمن معصية

ومحصل الجواب: أن المطلوب قصدا إنما هو نيل الدرجة الرفيعة ، وأما فعل الكافر فإنه من ضرورة الوجود ، وعلى ذلك يحمل تمنى من تمنى الشهادة من كبار الصحابة وغيرهم ، وكذا من تمنى الموت بالطاعون كعماد بن جبل وغيره ، وقد تمنى عمر الشهادة ، فلما قتله أبو لؤلؤة استبشر لكون الذى قتله كان كافرا ، وأرفع من ذلك قوله ﷺ : "لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيأ فآقتل" وهو فى الصحيح (١).



(١) البخارى (١/٩٢) ٢ - كتاب الإيمان ، ٢٦ - باب الجهاد من الإيمان.
مسلم (٣/١٤٩٧) ٣٣ - كتاب الإمارة ، ٢٨ - باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله.

[الفصل الخامس]

ذكر الدليل على أن بعض الشهداء أفضل من بعض

عن عتبة بن عبد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: " القتل ثلاثة : رجل جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل ، فذلك الشهيد المفتخر في خيمة الله عز وجل تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة. ورجل مؤمن قرفاً^(١) على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل ، فانمحت خطاياها إن السيف محاء للخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية أبواب ، وبعضها أفضل من بعض. ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فهو في النار ، إن السيف لا يمحو النفاق" أخرجه أحمد^(٢) ورجاله ثقات ، وصححه ابن حبان^(٣) من هذا الوجه ، وفي سنده أبو المنثري الأملوكي - بضم الهمزة وسكون الميم وضم اللام وبعد الواو الساكنة كاف ، اسمه ضمضم ، حمصي - ذكره ابن حبان في الثقات من التابعين ، وقد صرح بسماعه من عتبة بن عبد ، ووقع لنا حديثه بعلو في مسند الدارمي^(٤) ، ولحديثه شاهد من حديث أنس أخرجه البزار^(٥).

وعن محمد بن مسلم بن عائذ^(٦) ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه: أن رجلاً جاء ورسول الله ﷺ يصلى فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم انتنى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين. فلما قضى صلاته قال: "من المتكلم أنفا؟" قال: أنا يا رسول الله. قال: إذا يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله". أخرجه البزار ورجاله ثقات^(٧).

(١) قرف: بفتح القاف والراء ، بعدها فاء ، أى اكتسب. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) المسند (١٨٥/٤).

(٣) ابن حبان موارد الظمان (ص ٢٨٨ ، ح ١٦٦٤).

(٤) الدارمي (٢٠٦/٢٠) كتاب الجهاد باب في صفة القتل في سبيل الله.

(٥) البزار كشف الاستار (٢٨٤/٢).

(٦) عائذ: بهملة ، ثم تحتانية مهمزة ، ثم زال معجمة. (منه رحمه الله تعالى).

(٧) البزار كشف الاستار (٢٨١/٢).

وعن نعيم بن همّار^(١) أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أى الشهداء أفضل؟ قال: "الذين إن يلقوا^(٢) فى الصف لا يلفتون^(٣) وجوههم حتى يقتلوا ، أولئك الذين يطلعون^(٤) فى الغرف العلامن الجنة ، ويضحك إليهم ربك ، وإذا ضحك ربك إلى عبد فلا حساب عليه" أخرجه أحمد^(٥) وأبو يعلى والطبرانى وصححه الحاكم ، وله شاهد من حديث أبى سعيد عند الطبرانى فى الأوسط .

وثبت فى صحيح مسلم^(٦) من حديث أبى سعيد الخدرى فى قصة الذى يقتله الدجال ، قال النبى ﷺ فيه : إنه أعظم الناس شهادة عند رب العالمين .

* * * * *

* * *

*

(١) همّار: بوزن عمار. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) يلقوا: يضم أوله ، وسكون اللام ، وفتح القاف ، وسكون الواو. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) يلفتون: بكسر الفاء. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) يطلعون بتشديد الطاء. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) المسند (٢٨٧/٥).

(٦) مسلم (٢٢٥٧/٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢١ - باب فى صفة الدجال ، وتحريم

المدينة عليه ، وقتله المؤمن وإحيائه.

[الفصل السادس]

ذكر الدليل على أن شهيد الطاعون ملتحق بشهيد المعركة

(بخلاف من ذكر من الشهداء ، فإنهم وإن شاركوا من مات بالطاعون في عدم مشاركة شهيد المعركة)^(١) في كثير من المزايا: كأحكام الدنيا من تكفينهم بدمانهم ، وترك غسلهم والصلاة عليهم ، ومن كونهم لا تبلى أجسادهم في القبور ، وأنهم أحياء عند ربهم يردّون - لكنهم يشاركون شهيد المعركة في ثواب الشهادة وفي بعض الصفات الأخرى.

قال أحمد^(٢): حدثنا الحكم بن نافع ، ثنا إسماعيل بن عياش^(٣) ، عن ضمضم^(٤) بن زرة ، عن شريح^(٥) بن عبيد: أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يحدث عن النبي ﷺ قال: "يأتى الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء. فيقال: انظروا ، فإن كانت جراحاتهم كجراح الشهداء تسيل دما ، وريحهم كريح المسك ، فهم شهداء فيجدونهم كذلك". هذا حديث حسن رواه موقوفون ، وإسماعيل بن عياش وإن كان فيه مقال ، لكن الجمهور على أن روايته عن الشاميين قوية ، وهذا منها ، وممن صرح بذلك يحيى بن معين والبخارى ودهيم^(٦) ، وقال يعقوب الفسوي^(٧): تكلم فيه قوم وهو ثقة ، أعلم الناس بحديث الشام. قال: وأكثر ما تكلموا فيه أنه يغرب عن ثقات الحجاز. انتهى.

ولحديثه شاهد عن العرياض بن سارية^(٨). قال أبو عبد الرحمن النسائي^(٩): أخبرني

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط .

(٢) المسند (٤/١٨٥).

(٣) عياش : بتحتانية ومعجمة. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) ضمضم : بمعجمتين ، وبوزن جعفر. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) شريح : بمعجمة ، وآخره مهملة مصفر. (منه رحمه الله تعالى).

(٦) نُحَيْمٌ : بمهملة مصفر. (منه رحمه الله تعالى).

(٧) الفسوي : بفاء مهملة. (منه رحمه الله تعالى).

(٨) العرياض بن سارية : العرياض : بكسر المهملة ، وسكون الراء ، ويعدها موحدة وآخره معجمة.

وسارية : بمهملة وبعد الألف راء ، ثم تحتانية خفيفة. (منه رحمه الله تعالى).

(٩) النسائي (٢٧/٨) كتاب الجهاد ، باب مسألة الشهادة.

عمرو بن عثمان ، ثنا بقية بن الوليد ، ثنا بحير^(١) بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن أبي بلال ، عن العرياض بن سارية: أن رسول الله ﷺ قال: "يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا جل جلاله في الموتى يتوفون في الطاعون ، فيقول الشهداء: إخواننا قتلوا كما قتلنا. ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا. فيقول الله عز وجل: انظروا إلى جراحهم ، فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم ، فإذا جراحهم أشبهت جراحهم".

وهذا حديث حسن صحيح أخرجه أحمد^(٢) عن حيوة بن شريح ويزيد بن عبد ربه ، كلاهما عن بقية ، وهو صدوق ليس فيه قاذح إلا تدليسه ، وقد صرح بالتحديث في هذه الطريق فأمن تدليسه ، وابن أبي بلال المذكور في الإسناد شامى ثقة اسمه عبد الله. وأخرجه الكلاباذى في معانى الأخبار من طريق إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعيد وهي متابعة جيدة لبقية ، وقال في المتن: "فيقضى الله بينهم فيقول: انظروا إلى جراح المطعنين ، فإن أشبهت جراح الشهداء فهم منهم. فنظروا إلى جراح المطعنين فإذا هي قد أشبهت جراح الشهداء فيلحقون بهم".

وهذا المتن لا أعلم أحدا رواه عن النبي ﷺ غير هذين الصحابين ، وقد أخرج أحمد^(٣) بالسند المبدأ بذكره إلى شريح بن عبيد قال: كان عتبة يقول: عرياض خير منى. وعرياض يقول: عتبة خير منى ؛ سبقنى إلى النبي ﷺ.

وقال الكلاباذى في معانى الأخبار: يستفاد من حديث العرياض أن الطاعون يسمى طعنا ، وأن الميت بالطاعون يسمى مطعوناً.

* * * * *

(١) بحير: بفتح الموحدة وكسر المهملة ، ثم تحتانية ساكنة. (منه رحمه الله تعالى).
(٢) المسند (١٢٨/٤).
(٣) المسند (١٨٦/٤). وجاء في آخره: (بسنة).

[الفصل السابع]

ذكر ما يشترط لتحصيل الشهادة بالطاعون

قال الإمام أحمد (١) : حدثنا عبد الصمد - هو ابن عبد الوارث - حدثنا داود - هو ابن أبي الفرات (٢) - ثنا عبد الله بن بريدة (٣) ، عن يحيى بن يعمر (٤) ، عن عائشة أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني : " أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء ، وجعله رحمة للمؤمنين ، فليس من رجل يقع الطاعون فيمكث في بيته صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان له مثل أجر الشهيد . "

أخرجه البخارى والنسائى (٥) من حديث داود ابن أبي الفرات ، وقال البخارى فى روايته فى الطب: " فيمكث فى بلده ". وقال: " يعلم أنه لن يصيبه ". وقال فى روايته فى القدر: " ما من عبد يكون فى بلده - أى الطاعون - يكون فيه ويمكث فيه ، فلا يخرج من البلد صابراً محتسباً ". وقال فى روايته فى ذكر بنى إسرائيل: " ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً ". والباقي كالاول.

فمقتضى هذا الحديث بمنطوقه ومفهومه أن أجر الشهيد إنما يكتب لمن لم يخرج من البلد الذى يقع به الطاعون ، وأن يكون فى حالة إقامة قاصداً بذلك ثواب الله ، راجياً صدق موعوده ، وأن يكون عارفاً أنه إن وقع له فهو بتقدير الله ، وإن صرف عنه فهو بتقدير الله ، وأن يكون غير متضجر به إن لو وقع به ، فإذا وقع به فلولى أن لا يتضجر ، وأن يعتمد على ربه فى حالتي صحته (وسقمه) (٦).

(١) المسند (٢٥١/٦).

(٢) الفرات: بلفظ النهر المشهور. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) بريدة: بموحدة وراء. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) يعمر: بتحتانية وزن جعفر. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) البخارى (٥١٢/٦) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤.

وفى (١٩٢/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣١ - باب أجر الصابر على الطاعون.

وفى (٥١٤/١١) ٨٢ - كتاب القدر ، ١٥ - باب "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

النسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٣٣٦/١٢).

(٦) هكذا فى الهند ، وفى بقية النسخ (وعافيت).

فمن اتصف بهذه الصفات مثلاً فمات بغير الطاعون ، فإن ظاهر الحديث أنه يحصل له أجر الشهيد ، وقد قلنا إن درجات الشهداء متفاوتة ، ويكون كمن خرج من بيته على نية الجهاد في سبيل الله بشرطه فمات بسبب آخر غير القتل كما تقدم صريحاً .

ويؤيده الرواية السابقة في حديث أبي هريرة عند مسلم بلفظ: "ومن مات في الطاعون فهو شهيد"^(١) ولم يقل بالطاعون ، فإن ظاهرها شاهد لما قلناه ، وإن كان يحتمل أن تكون "في" للسببية كالباء ، فإنه يقال في نفس الحديث: "ومن مات في البطن فهو شهيد" ومعلوم أن المراد به المبطون نفسه ، ويحتمل أن تكون "في" للظرفية على بابها ، لكن جرى على الغالب ، فإن الموت في زمن الطاعون إنما يكون بالطاعون غالباً .

لكن يحتمل أيضاً أن تكون "في" استعملت في الحديث للسببية والظرفية معا ، ويتفرع من هذا: أن من اتصف بالصفات المذكورة وذهب الطاعون ولم يمتهن به ولا في زمنه هل يكون شهيداً أو لا ؟ ظاهر الحديث : نعم ، وفضل الله واسع ، ونية المؤمن أبلغ من عمله ، وقد تقدم قريباً حديث ابن مسعود: " إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش"^(٢) ، وتقدم حديث جابر بن عتيك^(٣) وفيه قوله عليه السلام: " إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته " .

قال الشيخ تقي الدين السبكي : يؤخذ منه معنى حديث : " نية المؤمن أبلغ من عمله "^(٤) : لأن النية تمتد إلى ما لانهاية له ، والعمل محصور ، وقدر النية بحسب ما تتعلق به طال أو قصر . انتهى .

ولا يعكر على هذا أنه يلزم منه أن من اتصف بالصفات المذكورة ثم مات مطعوناً أن يكون له أجر شهيدين ، لأننا ننقل عن ذلك بما قدمناه أن درجات الشهداء متفاوتة ، فأرفعها درجة من اتصف بالصفات ثم طعن فمات به ، ودونه من اتصف بها ثم طعن ثم

(١) سبق تخريجه ص ١٠٣ .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٨ .

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٤ .

(٤) قال السخاوي في المقاصد الحسنة : رواه العسكري في الأمثال ، والبيهقي في الشعب ، وقال البيهقي إسناده ضعيف .

ثم قال السخاوي : وله شواهد ... وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يتقوى الحديث ، وقد أفردت فيه ونى معناه جزءاً .

لم يموت ، وقريب منه من اتصف بها ثم مات بغير الطاعون ، ودون الجميع من اتصف بها ثم لم يطمئن ولم يموت. ويحتمل التعدد إذا تباينت الأسباب المرتبة عليها الشهادة ، كما لو مات غريبا بالطاعون مع الصبر والاحتساب ، وكما لو طعنت النفساء ثم ماتت في نفاسها ، وكذا من قال أو فعل شيئا مما تقدم أنه يصير به شهيدا ، ويتفرع على هذا الاحتمال تعدد (القراريط لمن صلى على عدد من الجنائز ، ونحوه ما نقل بعضهم عن جماعة من الصحابة أن من اقتنى كلابا نقص من أجره بعدهم ، بل تعدد قراريط الجنائز وتعدد) (١) الشهادة أولى لدخول التضعيف في أصل الثواب بخلاف الوزر.

ويمكن أن يقال : درجة الشهادة شيء ، وأجر الشهادة شيء ، فالشهادة تختص بمن اتصف بالصفات المذكورة ثم طعن فمات ، (ومن عدا ذلك يحصل له أجر الشهيد وإن لم تحصل له درجة الشهادة) (٢) ، ثم رأيت هذا بعينه في كلام الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة في شرحه للقطعة التي اختصرها من البخاري في كلامه على هذا الحديث حين ذكر الفرق بين الروايتين ، حيث جاء في الحديث الماضي: " المطعون شهيد " ، وقال في هذا : " له مثل أجر شهيد " .

ومما يستفاد من مفهوم حديث عائشة : (أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا ولو مات بالطاعون فضلا عن أن يموت بغيره والله المستعان.

ومما يستفاد من حديث عائشة (٣) : أن الصابر في الطاعون المتصف بالصفات المذكورة يأمن فتانى القبر ، لأنه نظير المرابط في سبيل الله ، وقد صح ذلك في المرابط كما أخرجه مسلم (٤) من حديث سلمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأمن الفتان " (٥) . وعن فضالة بن عبيد : أن رسول الله ﷺ قال : " كل ميت يختم على

(١) ما بين القوسين ساقط من الهند.
(٢) ما بين القوسين جاء وضعه هكذا في نسخة الهند ، وفي بقية النسخ تأخر إلى ما بعد نهاية الفقرة ، وما أثبتناه هو الصواب لموافقته لسياق الكلام.
(٣) ما بين القوسين ساقط من الرباط.
(٤) مسلم (٣/١٥٢) ٢٢ - كتاب الإمارة ، ٥٠ - باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.
(٥) الفتان: بقاء ، ثم مثناة ثقيلة ، أى: الملك الذى يسأل الميت فى قبره ، وقد فسره الحديث الذى بعده: "ويؤمن فتان القبر". (منه رحمه الله تعالى).

عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن فتنة القبر " رواه أبو داود والترمذى ، وصححه ابن حبان والحاكم^(١).

وفى الباب عن جماعة من الصحابة منهم : أبو هريرة وأبو الدرداء وعبد الله بن عمرو وغيرهم.

وأخرج أبو يعلى من حديث أبي أيوب رفعه : " من قاتل فصبر حتى يقتل أو يغلب وفى فتنة القبر " .

* * * * *

* * *

*

(١) أبو داود (٩/٣) كتاب الجهاد ، باب فى فضل الرباط.
الترمذى (١٦٥/٤) ٢٣ - كتاب فضائل الجهاد ، ٢ - باب ما جاء فى فضل من مات مرابطاً.
ابن حبان 'موارد الظمان' (ص ٣٩١ ، ح ١٦٢٤).
المستدرک (٧٩/٢).

[الفصل الثامن]

ذكر جواب عن إشكال وقع في كون الطاعون شهادة ورحمة

روى مالك في الموطأ وصححه الشيخان (١) من طريقه ، عن نعيم الجمر (٢) ، عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ: " على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ."

وأخرج البخارى (٣) من رواية شعبة عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : 'المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة ، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى'. أخرجه في كتاب الفتن وفي كتاب التوحيد من رواية يزيد بن هارون عنه ، وقال خلف في الأطراف: تفرد به يزيد . وأخرجه أبو عوانة في صحيحه من طريق يزيد وهو من زياداته على مسلم ، وأخرجه الترمذى من طريق يزيد أيضا (٤).

وجه الإشكال: أنه إذا كان شهادة ورحمة فكيف قرن بالدجال؟ وكيف مدحت المدينة الشريفة بأنه لا يدخلها؟

والجواب عن ذلك: أن كونه شهادة ورحمة ليس المراد بوصفه ذلك ذاته ، وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه وأنه سببه ، وإذا تقرّر ذلك ، واستحضر ما تقدم من أنه طعن الجن (، ظهر مدح المدينة بأنه لا يدخلها إشارة إلى أن كفار الجن) (٥) وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة الشريفة ، ومن اتفق دخوله إليها منهم لا يتمكن من أحاد أهلها بالظن حماية من الله تعالى لهم منهم.

فإن قيل: طعن الجن لا يختص بوقوعه من كفارهم في مؤمنى الإنس ، بل يقع من مؤمنى الجن في كفار الإنس كما تقدم تقريره ، فإذا سلّم منع الجن الكفار من المدينة لم

(١) سبق تخريجه ص ٤٩ .

(٢) نعيم الجمر: بنون مصغر ، الجمر: بضم الميم ، وسكون الجيم ، وكسر الميم . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) البخارى (١٠١/١٣) - ٩٢ - كتاب الفتن ، ٢٧ - باب لا يدخل الدجال المدينة .

وفي (٤٤٧/١٣) - ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٣١ - باب المشيئة والإرادة .

(٤) الترمذى (٥١٤/٤) - ٣٤ - كتاب الفتن ، ٦١ - باب في الدجال لا يدخل المدينة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من الحرم .

يُمنع من أمن منهم.

فالجواب: أن دخول كفار الإنس إلى المدينة غير مباح ، فإذا لم يسكن المدينة إلا من يظهر الإسلام جرت عليهم أحكام المسلمين ، وصار من لم يكن خالص الإسلام تبعاً للخالص ، فحصل الأمن من وصول الجن إليهم بذلك ، فلذلك لا يدخلها الطاعون أصلاً.

وهذا الجواب أحسن من جواب القرطبي في المفهم حيث قال : المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي في غيرها ، كطاعون عمواس^(١) والجارف^(٢). وهو جواب صالح على تقدير التنزل إن لوقع شيء من ذلك بها.

وقال غيره: سبب الرحمة لم ينحصر في الطاعون ، وقد قال ﷺ: " غير أن عافيتك أوسع لي " ^(٣). فإن ذلك من خصائص المدينة الشريفة ولوازم دعاء النبي ﷺ لها بالصحة . هذا حاصل ما أجاب به الشيخ ولي الدين والقاضي تاج الدين.

وذكر المنبجي أجوبة أخرى منها : أن هذه معجزة ؛ لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد ، بل عن قرية من القرى ، وقد امتنع الطاعون من المدينة بدعائه وغيره هذه المدة المتطاولة.

قلت : وليس هذا بجواب عن الإشكال.

ومنها : ما تقدم من أنها حرست من الشياطين كما تقدم.

ومنها : أنه عوضهم عن الطاعون بالحمى ، لأن الطاعون يأتي بعد مدة ، والحمى تتكرر في كل مدة فتعادلاً.

(١) عمّواس: بفتح المهملة والميم وقد تسكن وتخفيف الواو وآخره مهملة ، اسم موضع بالشام ، وقيل لذلك الطاعون عمواس لأنه عمّ وواسى ، وكان طاعون عمواس سنة سبع عشرة. (منه رحمه الله تعالى باختصار).

(٢) الجارف: بجيم وآخره فاء ، سمي الطاعون بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف السيل الأرض فيأخذ معظم ما فيها ، وفي سنة وقوع هذا الطاعون اختلاف كثير أرجحه أنه في العشر السابع ، إما في سنة أربع أو سبع أو تسع وستين وكان بالبصرة. (منه رحمه الله تعالى باختصار).

(٣) وهو قطعة من دعائه صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من الطائف ، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٨) وقال: رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة.

ومنها : أن ذلك كان مخصوصا بزمنه ﷺ .

ومنها : أنها صغيرة فلورقع بها الطاعون لفني أهلها .

قلت: ويظهر لي جواب أخص من هذه الأجوبة ، بعد استحضار الحديث الماضي في (أول)^(١) الباب الأول عن أبي عسيب أن رسول الله ﷺ قال: "أتاني جبريل بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام... الحديث"^(٢) ، وهو أن الحكمة في ذلك أنه ﷺ لما دخل المدينة ، كان في قلة من أصحابه عدداً ومدداً من زاد وغيره ، وكانت المدينة وبيئة كما سبق من حديث عائشة ، فناسب الحال الدعاء بتصحيح المدينة لتصح أجساد المقيمين بها ليَقْرُوا على جهاد الكفار ، وخيرُ النبي ﷺ في أمرين ، يحصل لمن أصابه كل منهما عظيم الثواب ، وهما: الحمى والطاعون ، فاختار حينئذٍ الحمى بالمدينة ، لأن أمرها أخف من أمر الطاعون ، لسرعة الموت به غالباً ، فلما أذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى ضعف الأجساد التي تحتاج إلى القوة في الجهاد ، فدعا حينئذٍ بنقل الحمى إلى الجُحْفَة ، فأجيب دعاؤه وصارت المدينة من أصح بلاد الله ، فإذا شاء الله موت أحد منهم حصل له الشهادة التي كانت من الطاعون بالقتل في سبيل الله ، الذي هو أعلى درجة ، ومن فاته ذلك منهم مات بالحمى التي هي حظ المؤمن من النار ، وكل يوم منها يكفر سنة واستمر ذلك بالمدينة بعده ﷺ تمييزاً لها عن غيرها من البلاد ، تحقيقاً لإجابة دعائه ﷺ ، نعم شاركتها في ذلك مكة المشرفة فلم يدخلها الطاعون في ما مضى من الزمان ، كما جزم به ابن قتيبة في المعارف ، ونقله جماعة من العلماء عنه وأقروه إلى زمن الشيخ محيي الدين رحمه الله ، ذكر ذلك في كتاب الأذكار وغيره ، لكن قد قيل إنه دخلها بعد ذلك في الطاعون العام الذي وقع في سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبعد ذلك ، فإن ثبت ذلك فلعله لما انتهك من حرمتها بسكنى الكفار فيها وخصوصاً في زمننا هذا (ثم وقفت)^(٣) ، والله المستعان .

* * *

(١) زيادة من الرباط .

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٢ .

(٣) زيادة من الدار والحرم .

[الفصل التاسع]

ذكر جواب عن إشكال آخر

وقع فى كون الطاعون شهادة ورحمة

قال ابن ماجة (١) : ثنا محمود بن خالد الدمشقى ، ثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب ، عن ابن أبي مالك ، عن أبيه ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : " يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن - وأعوذ بالله أن تدركونهن - لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يقطروا ، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله (٢) إلا جعل بأسهم بينهم ."

وأخرجه البيهقى من هذا الوجه وقال فى أوله : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : " كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس ؟ " . وقال فى الأولى : " يعمل بها فيهم علانية " . وقال فى الرابعة : " وما حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلب الله عليهم عدوا فاستتفونوا بعض ما فى أيديهم " . وقال فى الخامسة : " وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم " .

وابن أبي مالك (المذكور فى سنده هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن ، وأبو مالك) (٣) كنية جد أبيه أو جده عبد الرحمن ، وكان فقيها ، وقد وثقه أحمد بن صالح المصرى ، وأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، وأبو زرعة الدمشقى ، وضعفه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل والنسائى والدارقطنى ، وقال ابن حبان : هو من فقهاء الشام ، وكان

(١) ابن ماجة (١٣٣٢/٢) - ٣٦ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب العقوبات .

(٢) ويتخيروا مما أنزل الله : هكذا وقع فى ابن ماجة ، ولست على تَلَج من ضبطها ، ولعله إشارة إلى أن الحاكم إذا لم يجد نصا لا يحكم بهواه ، بل يتأمل النصوص فيأخذ بما يدل عليه ولا يخرج عنها إلى ما يخالفها ، أو هو إشارة إلى ردع من يأخذ بالمتشابه ويترك المحكم ونحو ذلك ، والعلم عند الله . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الدار .

صدوقا في الرواية ، ولكنه كان يخطئ كثيرا . وذكر له ابن عدى أحاديث غير هذا ثم قال : وله غير ما ذكرت ، ولم أر من حديثه إلا ما يَحْتَمَل . انتهى .

والحديث شاهد أخرجه مالك في الموطأ^(١) من رواية ابن عباس قال : " ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم"^(٢) ، ولا نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو .

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا إلى النبي ﷺ ، وفي سنده أيضا مقال^(٣) .

ولبعضه شاهد من حديث عمرو بن العاص أخرجه الطبراني^(٤) من رواية محمد بن راشد : أن رجلا حدثه : أنه سمع عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء ، وما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة"^(٥) ، وما من قوم يظهر فيهم الرشاش^(٦) إلا أخذوا بالرعب . وفي سنده مع البهيم عبد الله بن لهيعة .

وله شاهد أحسن من هذا أخرجه الحاكم في كتاب الجهاد من المستدرک^(٧) من طريق بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ، ولا ظهرت الفاحشة في قوم قط إلا سلط الله عليهم الموت ، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر " . وقال : صحيح على شرط مسلم . انتهى .

(١) الموطأ (٤٦٠/٢) ٢١ - كتاب الجهاد ، ١ - باب ما جاء في الغلول .

(٢) إلا فشا فيهم الدم : لعل معناه القتل ؛ لأن كثرة الدم تنشأ عنه ، ويمكن أن يؤخذ منه إرادة الطاعون ؛ لأن الدم يثور به .

(٣) المعجم الكبير (٤٥/١١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥/٣) : فيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان المرزني لينة الحاكم ، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام .

(٤) مجمع الزوائد (١١٨/٤) .

(٥) بالسنة : بفتح المهملة والنون ، أى القحط . (منه رحمه الله تعالى) .

(٦) الرشاش : بضم الراء وبالمعجمة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٧) المستدرک (١٢٦/٢) .

وقرأته على فاطمة بنت المنجا ، عن أبي الربيع بن قدامة ، أنا الحافظ ضياء الدين المقدسى ، أنا زاهر بن أبي طاهر وعبيد الله بن محمد اللُّقْتَوَانِي (١) قالوا : أنا الحسين بن عبد الملك ، أنا عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازى ، أنا جعفر بن عبد الله بن فناكى (٢) ، أنبا أبو بكر محمد بن هارون ، ثنا محمد بن إسحاق هو الصغفانى .

(وقرأته هاليا على إبراهيم بن محمد بن صديق بالمسجد الحرام ، أن أحمد بن أبى طالب أخبرهم عن أحمد بن أبى السعادات ، أنا أبو الفتح بن البطى إجازة ، أنا أبو الفضل بن خيرى ، أنا أبو على بن شاذان ، أنا عبد الله بن إسحاق ، ثنا الحسن بن سلام .

قالا (٣) : ثنا عبيد الله بن موسى ، أنا بشير بن المهاجر به . وأخرجه أبو يعلى من هذا الوجه ، ويشير أخرج له مسلم ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وهو أصح طرق هذا الحديث ، وله علة غير قادمة ، أخرجه البيهقى فى الكبرى (٤) من طريق عبد الله بن المبارك عن حسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن ابن عباس ، ويحتمل أن يكونا محفوظين وإلا فهذه الطريق أرجح لاحتمال أن يكون بشير بن المهاجر سلك الجادة . وأخرج الحاكم (٥) أيضا من وجه آخر عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : " إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله تعالى " .

وأخرج أحمد وأبو يعلى (٦) عن ميمونة سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لاتزال أمتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنا ، (فإذا فشا فيهم ولد الزنا) (٧) فيوشك أن يعمهم الله بعقاب " . وفى سننه محمد بن إسحاق وحديثه حسن ولا سيما فى المتابعات .

(١) اللُّقْتَوَانِي: بفتح اللام ، وسكون الفاء ، وضم المثناة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فناكى : بفتح الفاء ، وتخفيف النون ، ويعد الألف كاف ثم تحتانية . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من تركيا والهند .

(٤) السنن الكبرى (٣/٢٤٦) .

(٥) المستدرک (٢/٣٧) وصححه ووافقه الذهبى .

(٦) المسند (٦/٢٢٣) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من الهند .

ووقع في الترغيب للمندري أنه وقع عند أحمد بلفظ: "إذا فشا فيهم الزنا" في الموضوعين ، وعند أبي يعلى: "إذا فشا فيهم ولد الزنا" في الموضوعين ، وليس كما قال بل هو عند أحمد أيضا بلفظ: "ولد الزنا" وهما بمعنى ؛ فإن ولد الزنا مسبب عن الزنا والله أعلم.

وتقرير الإشكال من هذه الأحاديث: أن سياقها يقتضى أن الله لوقع الطاعون عقوبة لمرتكب المعصية ، فكيف يكون له شهادة ورحمة؟ والجواب: أنه لا منافاة بينهما ، فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أنه جعل لهم عقوباتهم في الدنيا ، ففي حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "أمتي أمة مرحومة ، ليس عليها عذاب في الآخرة ، عذابها في الدنيا: الفتن والزلازل والقتل" أخرجه أبو داود بسند حسن^(١).

وأخرجه الطبراني^(٢) من رواية سليمان بن داود الخولاني: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول لأبي بردة: حدثنا بحديث ليس بينك وبين أبيك فيه أحد؟ قال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أمتي أمة مقدسة مباركة مرحومة ، لا عذاب عليها يوم القيامة ، إنما عذابهم بينهم في الدنيا". ورجاله ثقات.

وأخرج أبو يعلى من رواية حميد بن هلال عن أبي بردة ، عن رجل من المهاجرين قال : قال رسول الله ﷺ: "عقوبة هذه الأمة بالسيف". ورجاله ثقات.

وأخرج أبو يعلى أيضا بسند صحيح من رواية أبي مالك الأشجعي ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال: "إن هذه الأمة أمة مرحومة ، لا عذاب عليها إلا ما عذبت به أنفسها". قلت: وكيف تعذب أنفسها؟ قال: أما كان يوم النهر عذاب! أما كان يوم الجمل عذاب! أما كان يوم صفين عذاب!.

قلت: وهذا معنى حديث أبي موسى: "عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل" ، فهو شاهد قوى له ، ومثله لا يقال بالرأى ، وهو محمول على معظم الأمة المحمدية لثبوت أحاديث الشفاعة: أن قوما يعذبون ثم يخرجون من النار ويدخلون الجنة.

(١) أبو داود (١٠٥/٤) كتاب الفتن والملاحم ، باب ما يرجى في القتل.

(٢) مجمع الزوائد (٧٠/٨٠).

لكن الغرض أن كون الطاعون من انتقام الله تعالى بسبب هتك حرماته ، لا ينافى أن يكون شهادة ورحمة في حق جميع من طعن ، لا سيما وأكثرهم لم يباشر الفاحشة المذكورة ، لكن لعلهم إنما عمهم العذاب لتقاعدهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتخاذلهم عن نصيحة بعضهم بعضاً ، أو تدنس نوى العفة منهم بأنواع المعاصي غير الفاحشة ، حتى صارت كلمتهم لا تُسمع ، وموعظتهم لا تُقبل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإما أن يكون لزيادة حسنات من لم يباشر الفاحشة ، ولم يُقصر فيما يجب عليه من الأمر والنهي ، كما ثبت في الحديث الآخر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمله ، فما زال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها ." صححه ابن حبان، وله شاهد عند أبي داود من طريق محمد بن خالد عن أبيه عن جده (١).

فهذا جاء فيمن يكون له الطاعون شهادة ورحمة ، بخلاف غير هؤلاء فلا يكون لهم ذلك إلا مجرد عقوبة ، ومن ثمّ تجد الكثير ممن اتّصف بالصفة المذكورة يشدّد قلقه ، ويكثر تضجره وتكرهه ، ويتحيل بوجوه من الحيل في دفعه بأنواع من الأشياء التي يقال إنها تدفعه ، كالرقى والخواتم والبخورات والعود التي تعلق في رء وس وتكتب على الأبواب ، والتلبس بأنواع من الطيرة التي نهى الشارع عنها، والحماية عن كثير من المأكولات وغيرها ، وإحالة الأمر على الهواء والماء ، من غير نظر إلى سببه الحقيقي ومادته الصحيحة ، والتجنب لحضور الجنائز التي ترقق القلب وتستجلب الدمع ، وتؤثر الخشية وتورث الخشوع ، إلى غير ذلك مما يحرم صاحبه ثواب الصبر والاحتساب ، الذي رتبت الشهادة على حصوله ، وأكثرهم يموت بغير الطاعون في زمن الطاعون ، فتفوته درجة الشهادة ، ويخرج من الحياة الدنيا راغماً ، لكن من ختم له بالوقاة على الإسلام فقد حصلت له النجاة من الخلود في النار ، ويتأيد الخبر المقتضى ، لأن أعظم أسباب الطاعون فسوقاً الزنا ، كما تقدم في آخر الباب الأول من قصة بلعم والله أعلم.

ونجد كثيراً من أهل الخير بخلاف الصفة المذكورة وهم مراتب:

(١) ابن حبان "موارد الظمان" (ص ١٧٩ ، ح ٦٩٢).

أبو داود (١٨٢/٣) كتاب الجنائز ، باب الأمراض المكفرة للذنوب .
والمسند (٢٧٢/٥).

- منهم من نجده مستبشرا كما وقع للسلف مثل معاذ وغيره.
 - ومنهم من نجده مسلماً مفوضاً راضياً ، وإن كان لا يحب أن يموت كما هو مركز
 فى الطباع البشرية.
 - ومنهم من يكون كذلك ، لكن يكون أسرف على نفسه فهو خائف من أن يهجم عليه
 الموت قبل أن يتخلص من التبعات ، نسأل الله العفو والعافية بمهنة وكرمه.

وقد ظهر لى من كون ظهور الفاحشة سبب الطاعون - إن ثبت الخير - جواب عن
 وصف الجن بأخوة الإنس ، وحمل الأخوة على أخوة الدين ، وهو أن يقال: حد الزانى
 البكر: الجلد ، والزانى المحسن : إزهاق النفس بصفة مخصوصة ، فلا يبعد أن يسلط
 مؤمنى الجن بإقامة الحد على الزانى بهذا الطعن ، فتزهد روح من أحسن ، وتعذب من
 لم يحسن مثلاً ، أو يطرقون الإنس على هيئة المحاربة بسبب ما وقع منهم من إظهار
 الفاحشة بالفعل وترك الإنكار ، فإذا وقع الحرب وقع القتل عموماً ، ثم يبعث المقتولون
 على نياتهم.

كما ثبت فى قصة الجيش الذى يخسف بهم ، كما أخرجه مسلم وأبو داود من حديث
 أم سلمة (١).

ولأحمد (٢) بسند صحيح عنها ، عن النبى ﷺ : "إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم
 الله بعذاب من عنده". فقلت: يارسول الله! أما فيهم صالحون؟ قال: "بلى ، يصيبهم
 ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان".

(١) مسلم (٢٢٠٩/٤) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة ، ٢ - باب الخسف بالجيش الذى يؤم البيت.
 واللفظ له.

أبو داود (١٠٨/٤) كتاب المهدي ، حديث ١١.

عن عبيد الله بن القبطية قال: دخل الحارث بن أبى ربيعة وعبد الله بن صفوان ، وأنا معهما على
 أم سلمة أم المؤمنين فسألانا عن الجيش الذى يخسف به ، وكان ذلك أيام ابن الزبير. فقالت:
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعوذ عائد بالبيت فيبعث إليه بعث ، فإذا كان بينداء من
 الأرض خسف بهم" فقلت: يارسول الله! فكيف بمن كان كارها؟ قال: "يخسف به معهم ، ولكن
 يبعث يوم القيامة على نيته".

(٢) المسند (٣٠٤/٦).

ولسلم من حديث عائشة: "ثم يبعثهم الله على نياتهم"^(١).

وأخرجه أحمد^(٢) بنحو من سياق ما أخرج عن أم سلمة.

وللطبراني في الأوسط من حديث أم حبيبة نحوه وفيه: "ثم يبعث كل امرئ على نيته" ففي هذا أوضح البيان أن تسمية الطاعون عذابا ورحمة لا تنافي بينهما، لحمل كل من الوصفين على اعتبار غير الآخر، ولا مانع أن يأذن الله لمؤمنى الجن فى عقوبة من شاء من الإنس بذلك، وإن كان فيهم غير المذنب، كما يقع الإذن لبعض الملائكة فى خسف بلد من البلاد بمن فيها، أو بإغراق سفينة عظيمة، أو بإيقاع زلزلة عظيمة تخرب (منازل كثيرة، ويموت فى الهدم خلق كثير، ثم تكون منازلهم فى الآخرة شتى، ولا ينسب)^(٣) لمن تعاطى ذلك من الملائكة ولا مؤمنى الجن معصية، فيصح وصف الجن على هذا بالأخوة: أخوة الإيمان، وحيث ورد بلفظ الأعداء فعلى ما تقدم، والله أعلم.

ثم وجدت أصل هذا الجواب منقولاً فى جزء المنبجى المذكور، ولفظه: "يحتمل أن يكون تسلط مؤمنى الجن على فساق الإنس كالزناة المحصنين منهم وما أشبههم ممن صار دمه هدرا، إذ لا يجوز لمؤمن الجن أن يقتل مؤمن الإنس عمدا بغير حق. انتهى كلامه.

وقد تقدم فى الباب الثانى من كلام ابن القيم شيء من هذا، والله أعلم.

* * * * *

* * *

*

(١) مسلم (٤/٢٢١١) نفس الموضوع السابق.

(٢) المسند (٦/١٠٥).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

[الفصل العاشر]

ذكر كشف هـ شكل ما فى هذا الباب الثالث

- قوله: كالخُرَّة: بضم المهملة ، وتشديد الزاى ، هى القطعة من اللحم قطعت طولاً .
والمراق: تقدم تفسيره .
- قوله: الخار: بمعجمة وراء مشددة ، أى الساقط .
والمجنوب: هو الذى به علة ذات الجنب ، وقد ذكر تفسيره .
- قوله: عتيك: بمهمله ومثناة ، وأخره كاف بوزن عظيم .
- قوله: قضيت جهازك: بكسر الجيم وبعد الألف زاي ، أى: حاجة السفر ، أى فرغت منها وأكملت الآلات فعاقدك المرض .
- قوله: بجمُع: بضم الجيم ، وسكون الميم ، وعن الكسائى بكسر الجيم ، أى: تموت وفى بطنها ولد ، وهو بمعنى المجموع ، كالدخر بمعنى المدخور ، والمعنى أنها ماتت ومعها شئٌ مجموع فيها غير منفصل عنها ، وقيل: هى التى تموت بكرا ، وقد ذكرنا تأييد الوجه الأول فى الأصل .
- قوله: أبو العميس: بمهمله مصغر وأخره مهملة ، واسمه عتبة بن عبد الله .
- قوله: السل: بكسر المهملة وتشديد اللام ، مرض معروف .
- قوله: بسُرِّره: بضم المهملة ويكسرها أيضاً جمع سُرَّة بالضم ، (ويفتح أوله : ما يقطع من السرة) (١) .
- قوله: أم حرام: بلفظ ضد حلال .
- قوله: المائد: فسر فى الأصل .
- قوله: عند أبى عِنْبَةَ: بكسر المهملة ويفتح النون .
والخولانى: يفتح المعجمة وسكون الواو .
- قوله: يضمن بهم: بفتح التحتانية ، والضاد المعجمة ، الضن بالمعجمة الساقطة معناه البخل ، والمراد به هنا: أنه سبحانه وتعالى لا يريد بهم ذلك .
- قوله: قرف: بفتح القاف والراء ، بعدها فاء ، أى اكتسب .
- قوله: ابن مسلم بن عائذ: بمهمله ثم تحتانية مهموزة ثم ذال معجمة .

(١) ما بين القوسين زيادة من الحرم .

قوله : همَّار : بوزن عمَّار.

قوله : إن يَلْقُوا : بضم أوله وسكون اللام وفتح القاف وسكون الواو.

لا يَلْفِتُونَ : بكسر الفاء.

يطلعون : بتشديد الطاء.

قوله : شريح : بمعجمة وآخره مهملة مصفر.

وضمضم : بمعجمتين بوزن جعفر.

وإسماعيل بن عياش : بتحتانية ومعجمة.

ودحيم : بمهملة مصفر.

والفسوى : بفاء ومهملة.

قوله : العرياض : بكسر المهملة ، وسكون الراء ، وبعدها موحدة وآخره معجمة.

وسارية : بمهملة وبعدهم الألف راء ثم تحتانية خفيفة.

قوله : بحير : بفتح الموحدة وكسر المهملة ثم تحتانية ساكنة.

قوله : ابن أبي الفرات : بلفظ النهر المشهور.

وعبد الله بن بريدة : بموحدة وراء.

ويحيى بن يعمر : بتحتانية وزن جعفر.

قوله : الفتان : بفاء ثم مثناة ثقيلة ، أى : الملك الذى يسأل الميت فى قبره ، وقد

فسره الحديث الذى بعده "ويؤمن فتنة القبر".

قوله : نعيم : بنون مصفر.

والمجرم : بضم الميم وسكون الجيم وكسر الميم.

قوله : عمَّاس : بفتح المهملة والميم وقد تسكن ، وتخفيف الواو ، وآخره مهملة ، اسم

موضع بالشام ، وقيل لذلك الطاعون عمَّاس ؛ لأنه عم وواسى . وقرأت بخط ابن عساكر

فى بعض روايات قصة عمر فى طاعون "عام مَّواس" ، فإن كان محفوظاً فلعل اسم

الموضع "مَّواس" وأضيف العام إليه ، ثم أدمغ ثم لكثرة الاستعمال خفف ، وكان طاعون

عمَّاس سنة سبع عشرة ، وقيل : سنة ثمان عشرة ، والأول أصح ؛ فإن عام ثمانية

عشر كان عام الرمادة ، وهى المجاعة التى كانت فى الحجاز ، ومات فيه خمسة وعشرون

ألفاً ، وقيل : ثلاثون ألفاً.

قوله : الجارف : بجيم وآخره فاء ، سُمى الطاعون بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف

السيول الأرض فيأخذ معظم ما فيها ، وفى سنة وقوع هذا الطاعون اختلاف كثير ، ذكره

النووى فى أوائل شرح صحيح مسلم ، أرجحه أنه فى العشر السابع ، إما سنة أربع أو سبع أو تسع وستين ، وكان بالبصرة ، ووقع بها أيضا طاعون سُمى الجارف سنة سبع وثمانين ، وطاعون يقال له : طاعون غراب ، نون الجارف ، وعدة طواعين كانت بها .

وكان بالكوفة الطاعون الذى فر منه المغيرة بن شعبه فرجع فمات ، وهو سنة خمسين ، وقبله فى حياة أبى موسى الأشعري ، وقبله فى حياة ابن مسعود ، وكل ذلك بالكوفة .

وكان بمصر بعد سنة ثمانين .

وكان بالشام بعد طاعون عمواس عدة طواعين ، بعضها يتوالى ، حتى كان خلفاء بنى أمية يسكنون إذا قرب أو انه البوادي ، ولذلك أقام هشام منهم بالرصافة ، ويقال : إن بعض أمراء دمشق لبني العباس خطب فقال : احموا الله الذى أذهب عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم . فأجابه رجل جرى من الشاميين فقال : ما كان الله ليجمعكم علينا والطاعون . وفى المثل : لا يكون الطاعون والحجاج .

ولم يقع فى الدنيا طاعون أعظم من الكائن فى القرن الثامن ، فكان بالديار المصرية والشامية سنة تسع وأربعين ، وابتدأ قبل ذلك فى غيرها فى سنة ثمان وأربعين فى ذى القعدة منها ، إلى أن ارتفع فى صفر سنة خمسين ، ولم يبق إقليم من الأقاليم السبعة حتى دخله فى هذه المدة .

وذكر الصفدى فى رسالة له : أنه وقف فى مرآة الزمان على نظيره ، فى سنة ثمان وتسع وأربعين وأربعمائة . وليس كما قال ، إنما هو نظيره فى الفناء لا خصوص الموت بالطاعون ، فإن سبب الذى ذكره صاحب المرآة الغلاء والقحط فكان الموت بالجوع .

ثم كان بالديار المصرية والشامية وغيرها عدة طواعين ليست فى العظم مثله ، والله يفعل ما يشاء ويختار .

قوله : ويتخيروا مما أنزل الله : هكذا وقع فى ابن ماجة ، ولست على تلج (١) من ضبطها ، ولعله إشارة إلى أن الحاكم إذا لم يجد نصا لا يحكم بهواه ، بل يتأمل النصوص ، فيأخذ بما يدل عليه ولا يخرج عنها إلى ما يخالفها ، أو هو إشارة إلى ردع من يأخذ بالمتشابه ويترك المحكم ، ونحو ذلك ، والعلم عند الله .

(١) على تلج : أي على ثقة واطمئنان .

قوله : إلا فشا فيهم الدم: لعل معناه القتل ؛ لأن كثرة الدم تنشأ عنه ، ويمكن أن يؤخذ منه إرادة الطاعون ، لأن الدم يثور به.

قوله : بالسنة : بفتح المهملة والنون ، أى : القحط.

قوله : الرُشا : بضم الراء وبالمعجمة.

قوله : اللُّفْتُوَانِي : بفتح اللام وسكون الفاء وضم المثناة.

قوله : فناكى : بفتح الفاء وتخفيف النون وبعد الألف كاف ثم تحتانية.

* * * * *

* * *

*

الباب الرابع

فى حكم البلد التى يقح بها الطاعون والدخول إليها

[وفيه : أربعة فصول]

[الفصل الأول]

ذكر الزجر عن الخروج من البلد الذي يقع فيه فرارا منه

قال الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ... ﴾ الآية (١).

قال عبد الرزاق في تفسيره ، وأخرجه الطبراني من طريق أخرى ، كلاهما عن معمر ، عن الحسن قال: فَرُّوا مِنَ الطَّاعُونَ ، فقال لهم الله: موتوا ، ثم أحياهم ليكملوا بقية أجالهم. هذا لفظ الطبراني.
ولفظ عبد الرزاق في التفسير عن معمر عن الحسن وقتادة قالا : فَرُّوا مِنَ الطَّاعُونَ ، فذكر مثله.

قال معمر : وقال الكلبي : كانوا ثمانية آلاف .

قال : وقال قتادة عن عكرمة: فرروا من القتال .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة قال: وقع الطاعون فخرج منهم الثلث وبقى الثلثان ، ثم أصابهم فخرج الثلثان وبقى الثلث ، ثم أصابهم فخرجوا كلهم ، فأماتهم (الله عقوبة) .

وأخرج الطبري^(٢) من حديث أشعث عن الحسن قال: خرجوا فرارا من الطاعون ، فأماتهم (الله) ^(٣) قبل أجالهم ، ثم أحياهم إلى أجالهم.

ومن طريق محمد بن إسحاق ^(٤) ، عن وهب بن منبه قال: كان حَزْقِيلُ ^(٥) بن بُورِي يُقال له ابن العجوز ، وهو الذي دعا للقرم ﴿ الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ الآية.

(١) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٢) جامع البيان (٥٨٩/٢).

(٣) ما بين القوسين ساقط من تركيا.

(٤) جامع البيان (٥٨٧/٢).

(٥) حَزْقِيلُ: بكسر الحاء المهملة ، وسكون الزاي ، وكسر القاف ، بعدها تحتانية ، ثم لام ، وأبوه بُورِي: بضم الموحدة وفتح الراء. (منه رحمه الله تعالى).

قال ابن إسحاق: فبلغني أنهم خرجوا من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سقم كان يصيب الناس حذرا من الموت ، فذكر القصة.

وقال عبد بن حميد في تفسيره: أنا روح بن عباد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال: مقتهم الله على فرارهم من الموت ، فأماهم الله عقوبة ثم بعثهم إلى بقية أجالهم ليتوفوها ، ولو كانت أجال القوم حانت ما بُعثوا بعد موتهم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة مطولة من طريق أسباط ، عن السدي (١) ، عن أبي مالك في هذه الآية قال: كانت قرية يقال لها: داوَرْدَان قريبا من واسط ، فوقع فيهم الطاعون ، فأقامت طائفة منهم وهربت طائفة ، فأجلُّوا عن القرية ، ووقع الموت فيمن أقام منهم ، وأسرع فيهم وسلم الآخرون ، حتى إذا ارتفع الطاعون عنهم رجعوا إليها ، فقال الذين أقاموا: إخواننا كانوا أحزم منا ، فلو كنا صنعنا كما صنعوا كنا سَلَمًا ، ولئن بقينا حتى يقع الطاعون لنصنعن مثل صنعهم. فلما أن كان من قابل وقع الطاعون فخرجوا جميعا - الذين كانوا أجلوا والذين كانوا أقاموا ، وهم بضعة وثلاثون ألفا - فساروا حتى (٢) أتوا واديا أفيح (٣) فنزلوا فيه ، وهو بين جبلين ، فبعث الله إليهم ملكين ؛ ملكا بالوادي وملكا بأسفله ، فنادوهم: أن موتوا فماتوا ، فمكثوا ما شاء الله ، ثم مر بهم نبي من الأنبياء يدعى هرْزَيْقِل (٤) ، فرأى تلك العظام فوقف متعجبا لكثرة ما يرى منها ، فلوحى الله إليه أن ناد: أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعى. فاجتمعت العظام من أقصى الوادي وأدناه ، فالتزق بعضها ببعض ، كل عظم من جسد التزق بجسده ، فصاروا أجسادا من عظام ليس ثم لحم ولا دم ، ثم أوحى الله إليه ناد: أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكثسى لحما - يعنى فاكتست لحما ، ثم أوحى الله إليه ناد: أيتها الأجساد ، إن الله يأمرك أن تقومى ، فبُعثوا أحياء ثم رجعوا إلى بلادهم ، فكانوا لا يلبسون ثوبا إلا كان عليهم كفننا (٥) وسما يعرفهم أهل ذلك الزمان ، فأقاموا حتى أتت عليهم أجالهم بعد ذلك.

فهذا إسناد حسن مرسل.

(١) السدي: بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، ثم ياء النسب. (منه رحمه الله).

(٢) من هنا إلى صفحة ٢٠٦ في الباب الخامس ساقط من الهند.

(٣) واديا أفيح: بالفاء الساكنة ، ثم التحتانية بوزن أهيل ، أى: واسع. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) هرْزَيْقِل: هو الماضى (جرْزَيْقِل) ، لكن الهاء بدل الحاء المهملة لقرب المخرج. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) فى الحرم (طلعنا).

وأبو مالك اسمه غزوان ، بالفين المعجمة المفتوحة والزاي الساكنة ، تابعى موثق ،
والراوى عنه اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، وهو تابعى صغير من رجال مسلم.

وأخرجه الطبرى^(١) من رواية السدى نحوه بطوله ولم يذكر أبا مالك ، وقال فيه : فلما
رأهم وقف عليهم ، فجلل يتفكر فيهم ، وولفت شدقه وأصابه ، فلوحى الله إليه :
يا حزقيل ، تريد أن أريك كيف أحبيهم؟ قال : نعم . وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة
الله تعالى عليهم .

وعندهما جميعا فى آخره : عن أسباط ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد : كان
كلامهم حين بُعثوا أن قالوا : سبحانك ربنا وبحمدك ، لا إله إلا أنت . زاد الطبرى :
فرجعوا إلى قومهم أحياء ، يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة^(٢) الموت على وجوههم .

وأخرجه الطبرى^(٣) وابن أبى حاتم من طريق هلال بن يساف^(٤) نحوه بطوله ، ولكن لم
يسم النبى المذكور ولا العدد ، وفى حديثه : فقال الذين خرجوا : لو قمنا كما أقام هؤلاء
لهلكنا كما هلكوا . وقال المقيمون : لو ظعننا كما ظعن هؤلاء لنجونا كما نجوا . وفيه : أن
النبى لما مر بهم قال : يارب لو شئت أحبيت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك . فقال : أو
أحب إليك أن أفعل؟ قال : نعم . قال : قل : كذا وكذا^(٥) (فتكلم به فنظر إلى العظام ،
إن العظم ليخرج من عند العظم الذى ليس منه ، إلى العظم الذى هو منه ، ثم أمر بأمر
فإذا العظام تكتسى لحما ، ثم أمر بأمر فإذا هم قعود يسبحون ويكبرون ، ثم قيل لهم :
قاتلوا فى سبيل الله .

وأخرجه عبد بن حميد وابن أبى حاتم أيضا من طريق النضر^(٦) أبى عمر الخزاز^(٧) ،
عن عكرمة ، عن ابن عباس نحو رواية السدى عن أبى مالك ، والنضر ضعيف ، لكن إذا

(١) جامع البيان (٢/٥٨٧).

(٢) سحنة : بكسر المهملة ، وسكون الحاء المهملة ، ثم نون ، أى : علامة (منه رحمه الله تعالى).

(٣) جامع البيان (٢/٥٨٩).

(٤) يساف : يفتح التحتانية ، ثم مهملة خفيفة ، وآخره فاء . (منه رحمه الله تعالى).

(٥) من هنا إلى ص ١٤١ ساقط من نسخة الرباط .

(٦) النضر : بالضاد المعجمة . (منه رحمه الله تعالى).

(٧) الخزاز : بمعجمات . (منه رحمه الله تعالى).

ضمت روايته إلى رواية أبي مالك قويت ، وله طريق أخرى عن ابن عباس بسند صحيح لكنها مختصرة.

قال الفريابي في تفسيره: ثنا سفيان - هو الثوري - وأخرجه الطبري^(١) من طريق أبي أحمد الزبيرى وكيع ، عن سفيان ، عن ميسرة^(٢) النهدي^(٣) عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ﴾ قال: كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فرارا من الطاعون ، قالوا: نأتى أرضاً ليس فيها موت ، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا ، قال لهم الله : موتوا ، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم. وهكذا أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وابن المنذر من طريقه عن وكيع. وفي رواية أبي أحمد: أن يحييهم حتى يعيدوه فأحياهم. وقد أخرج عبد بن حميد والطبري^(٤) من طريق وهب بن منبه: أنهم كانوا أربعة آلاف وسمى النبي المذكور حزقيلا.

وكذا أخرج الطبري^(٥) من طريق حكّام^(٦) بن عنبسة^(٧) ، عن حجاج بن أرطاة : أنهم كانوا أربعة آلاف ، ومن طريق عطاء الخراساني^(٨) قال: كانوا أربعة آلاف أو أكثر. ومن وجه آخر^(٩) عن حكّام بن عنبسة ، عن أشعث بن أسلم البصري قال: بينما عمر يصلي ويهوديان خلفه ، إذ قال أحدهما لصاحبه: أهو هذا؟ فلما انفتل سألهما ، فقالا: إنا نجد في كتاب الله قرّنا (١٠) من حديد ، يُعطى ما أُعطي حزقيلا الذى أحيا الموتى بإذن

(١) جامع البيان (٥٨٦/٢).

(٢) ميسرة: بفتح الميم وسكون التحتانية بعدها مهملة. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) النهدي: بفتح النون وسكون الهاء. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) جامع البيان (٥٨٦/٢).

(٥) جامع البيان (٥٨٧/٢).

(٦) حكّام: بفتح المهملة ، وتشديد الكاف. (منه رحمه الله تعالى).

(٧) عنبسة: بفتح المهملة ، وسكون النون ، بعدها موحدة ثم مهملة. (منه رحمه الله تعالى).

(٨) جامع البيان (٥٨٧/٢) ، غير أنه ورد بلفظ : ثلاثة آلاف أو أكثر ، وقد ذكرها الحافظ في

ص ١٤١ بمثل ما في جامع البيان .

(٩) جامع البيان (٥٨٦/٢).

(١٠) قرّنا: بفتح القاف وسكون الراء ، أى: حصن ، وأما بكسر القاف ، فمعناه: التظير. (منه رحمه

الله تعالى).

الله. فقال عمر: ما نجد في كتاب الله حزقيل ، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى .
 فقالوا: أما تجد في كتاب الله ﴿ ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ (١) قال : بلى. قالوا :
 فهو منهم ، وأما إحياء الموتى فسنحدثك : إن بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج
 منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوا عليهم حائطا ، حتى إذا
 بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال ما شاء الله ، فبعثهم الله له ، فأنزل الله
 في ذلك قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾.

فهذه الروايات يشد بعضها بعضا ، وشذت روايات أخرى.

- إحداهما: في السبب ؛ فأخرج الطبري (٢) من طريق جويبر (٣) عن الضحاک عن ابن
 عباس قال: يعنى بالآلوف: كثرة العدد ، أمروا أن يقاتلوا في سبيل الله ففروا من
 الجهاد ، فأماتهم الله ثم أحياهم ، وأمرهم أن يعادوا الجهاد. وهذه طريق واهية ؛ فإن
 جويبر متروك ، والضحاک عن ابن عباس منقطع ، وقد رواه سنيد (٤) ثم الطبري من
 طريقه من وجه آخر عن الضحاک نحو هذا ، وسنيد فيه مقال.

والطرق الماضية من أن فرارهم كان بسبب الطاعون أقوى مخرجا وأحسن طرقا.

- ثانيها: في المدة التي بين إمامتهم وإحيائهم ؛ فنقل القرطبي أن المدة كانت سبعة
 أيام ، وقيل: ثمانية ، وقيل: شهر ، وقيل: أكثر من شهر. وظاهر الأخبار الماضية أن
 المدة كانت فوق ذلك ، بحيث بليت أجسادهم ، وتمزقت أوصالهم ، وصاروا عظاما.

وقد أخرج الطبري (٥) وابن المنذر من طريق عمرو بن دينار بسند صحيح إليه قال في
 قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ﴾ (٦) الآية ، قال: وقع الطاعون
 في قريتهم ، فخرج ناس وبقى ناس ، فهلك الذين بقوا (في القرية وبقى آخرون ، ثم

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) جامع البيان (٥٨٦/٢).

(٣) جويبر: بجيم ، وموحدة ، ثم راء ، مصغر. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) سنيد: بمهملة ، ثم نون ، مصغر. (منه رحمه الله تعالى).

(٥) جامع البيان (٥٨٩/٢).

(٦) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة الرباط ، وأوله في ص ١١٣٨.

وقع الطاعون ، فخرج ناس أكثر مما خرج أولا وبقي ناس ، فهلك الذين بقوا (١) ، فلما كانت الثالثة خرجوا بأجمعهم إلا قليلا ، فأماتهم الله ، ثم أحياهم ، فرجعوا إلى بلادهم وقد توالت ذريتهم ممن تركوا بها ، فصار يقول بعضهم لبعض: من أنتم ؟!

وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج ، عن ابن عباس قال: لما وقع الطاعون وخرجوا ، انتظرهم أهاليهم فلم يرجعوا ، فركبوا فوجدوهم موتى ، فمجزوا عن دفتهم ، فَحَظَرُوا (٢) عليهم جدارا ، ثم بعثهم الله بعد زمان لا يفقد رجل منهم عقالا مما كان معه فما فوقه ، فدخلوا بلادهم ، فجعل الرجل منهم يأتى مسكنه فيجد فيه ابنه أو ابن ابنه أو أسفل من ذلك فيقول: هذا مسكني. فيقول الآخر: ليس بمسكنك ، ولكنه مسكني ومسكن آبائي. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان حتى يلقاه. وهذا منقطع . وعن ابن جريج قال: وقال آخرون: فروا من الطاعون فحظروا عليهم حظارا ، وقد أُرُوحتَ (٣) أجسادهم وأنتنوا (٤) ، فإنها لتوجد اليوم تلك الريح من ذلك السبط من اليهود. فالحاصل: أن في ذلك دلالة على طول المدة التي بين الإماتة والإحياء ؛ والله أعلم.

- ثالثها: في عدتهم ؛ فمعظم الروايات السابقة أنهم كانوا أربعة آلاف ، ولا تخالفها رواية عطاء الخراساني ثلاثة آلاف أو أكثر لما لا يخفى ، وتقدمت رواية فيها ستة آلاف.

وعن مقاتل والكلبي: كانوا ثمانية آلاف.

وأخرج الطبري من طريق أبي صالح عن أم هانئ: تسعة آلاف.

وعن أبي روق: كانوا عشرة آلاف حكاه الثعلبي عنه.

وقيل : كانوا ثلاثين ألفا ، حكاه الثعلبي عن أبي مالك.

وقيل : بضعة وثلاثين ألفا . قاله السدي ، وحكاه الثعلبي أيضا عن ابن جريج.

وقيل : أربعين ألفا .

وقيل : سبعين ألفا .

وقيل : ثمانين ألفا .

(١) ما بين الأمواس ساقط من تركيا .

(٢) فحظروا: بحاء مهملة وطاء معجمة ، والحظائر جمع حظيرة ، وهو كالحوش عليه حائط بغير باب . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) أُرُوحت: بحاء مهملة ، أي: تفتّرت .

(٤) وأنتنوا: بنون ومثناة ، من النتن . (منه رحمه الله تعالى) .

وقيل: تسعين ألفا.

وقيل: ستمائة ألف. حكاهما الثعلبي ثم القرطبي.

قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في قوله تعالى: ﴿ وهم ألوف ﴾ قول من قال في عددهم: أزيد من عشرة آلاف، بخلاف قول من قال: بون ذلك؛ لأن الألوف جمع كثرة، لا يقال للعشرة فما نونها، وإنما يقال آلاف. انتهى. وتبعه جماعة من المفسرين على ذلك.

وأجاب جماعة من المحققين: أنه لا يمتنع إطلاق لفظ جمع الكثرة على مثل ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ ثلاثة قروء ﴾ (١)، ولما كان المقام يقتضى التذكير عبر بذلك، لأن قرينة السياق ترشد إلى المراد، مع أن أصح الطرق الواردة في ذلك قول ابن عباس: أربعة آلاف، وقول السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألفا، وسائر الأقوال غير هذين فيها مقال، والجمع بين القولين المذكورين ممكن، بأن يحمل العدد الأقل على رؤسائهم وأشرفهم، والعدد الأكثر بانضمام الاتباع إليهم. والله أعلم.

- رابعها: اتفقت الروايات كلها: قويا وضعيفا، على أن المراد بالألوف العدد، إلا ما أخرجه الطبري (٢) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال في قوله تعالى: ﴿ وهم ألوف ﴾: ليست الفرقة بل قلوبهم مؤتلفة، إنما خرجوا فرارا. فاقترضى كلامه أنه جمع ألف، مثل جلوس وجالس وشهود وشاهد.

قال الطبري: قول الجماعة أولى بالصواب. وقال الزمخشري: هو من بدع التفاسير.

وقال ابن عطية: القصص في ذلك كلها لينة الأسانيد، والحاصل منها: وقوع الفرار من الموت من قوم أماتهم الله ثم أحياهم، ليظهر أنه لا يفيد خوف الخائف ولا اغترار المغتر. انتهى.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا القول ضعيف؛ لأن ورود الموت عليهم وهم في كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم؛ لأن موت جمع عظيم دفعة واحدة - لم تجر

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) جامع البيان (٢/٥٨٨).

العادة به - يفيد وقوعه الاعتبار العظيم ، وأما وقوع الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة فهو كروده على قوم بينهم اختلاف ؛ لأن وجه الاعتبار لا يختلف.

وأجاب الفخر الرازي : بأنه يمكن أن يكون المراد أن كل واحد منهم كان ألفاً لحياته محبا لهذه الدنيا ، فيرجع حاصله إلى ما قال الله تعالى ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ (١) ، وأنهم مع غاية حبهم للحياة والفهم لها أماتهم الله تعالى ، ليعلم أن الحرص على الحياة لا يعصم من الممات. انتهى.

وتعقبه القاضي تاج الدين السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون: بأن إيراد القاضي أبي بكر باقٍ على حاله ، وليس فيما ذكره الإمام الفخر جواب عنه ؛ لأنه لا يقع الاعتبار العظيم الخارق للعادة بكون كل واحد منهم ألفاً لحياته محباً لها ؛ لأن ذلك موجود في كل ميت منهم ومن غيرهم ، بخلاف موت الطائفة العظيمة دفعة واحدة . انتهى.

ويظهر لي في جواب إيراد القاضي وتوجيهه قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم توجيه آخر وهو: أن المراد أنهم كان رأيهم اجتمع على الفرار المذكور ؛ لأنه يجوز في نفس الأمر أن يكون بعضهم كان لا يرى الفرار ، وإنما خرج مع من خرج بغير اختياره مثلا ، أو لتردده في كون ذلك صوابا أو خطأ ، فأقاد الوصف بأنهم كانوا تواربوا على هذا المعتقد ، فلذلك عوقبوا جميعهم بذلك ، فيفيد الاعتبار بحالهم ، وأنه لا ينبغي المسارعة إلى تقليد الرقساء في مثل ذلك ، مع أن القائل المذكور لم ينفِ العدد ، ثم إن اللفظ محتمل للمعنيين ، فما المانع من حمله عليهما عند من يجيز ذلك ؟!

- خامسها: قال الإمام أبو بكر الرازي في أحكام القرآن: دلت الآية على أن الله تعالى كره فرارهم من الطاعون ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ قل إن الموت الذي تفرعون منه فإنه ملائكم ﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة: ٩٦ .

(٢) سورة الأحزاب: ١٦ .

(٣) سورة النساء: ٧٨ .

(٤) سورة الجمعة: ٨ .

[الفصل الثاني]

ذكر قصة عمر في رجوعه من طريق الشام
لما بلغه أن الطاعون بها .

والبيان الواضح أن ذلك ليس من الفرار من الطاعون ،
ولا مخالفا لما دلت عليه الأخبار الواردة في ذلك

ذكر سيف في الفتوح عن مشايخه: أن الطاعون وقع بالشام في المحرم وصفر ،
ومات فيه الناس ، ثم ارتفع ، فكتبوا إلى عمر بذلك فخرج حتى إذا كان قريبا من الشام
بلغه أنه أشد ما كان ، فقال الصحابة: قال رسول الله ﷺ : 'إذا كان بأرض فلا
تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا عليكم' . فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون
منها .

وأخرج الطحاوي في معاني الآثار بسند صحيح عن أنس أن عمر (أتى الشام) (١)
فاستقبله أبو طلحة وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالا: يا أمير المؤمنين ، إن معك وجوه
أصحاب رسول الله ﷺ وخيارهم ، وإنما تركنا من بعدنا مثل حريق النار - يعني
الطاعون - فارجع العام ، فرجع ، فلما كان العام المقبل جاء فدخل .
وقد وقعت لنا قصة عمر المذكورة مسندة مطولة .

أخرج مالك والبخاري ومسلم (٢) من طريق مالك وغيره ، عن ابن شهاب ، عن
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن
نوفل ، عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، حتى إذا كان
بِسَرْغ (٣) ، لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد

(١) في بعض النسخ (أتى من الشام) وهو خطأ .

(٢) الموطأ (٨٩٤/٢) ٤٥ - كتاب الجامع ، ٧ - باب ما جاء في الطاعون .

البخاري (١٧٩/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٠ - باب ما يُذكر في الطاعون .

مسلم (١٧٤٠/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها .

(٣) سَرْغ: وهو بفتح المهملة والراء ، وقد تسكن ، ثم غين معجمة ، وقد ذكر البكري في المعجم أنها
مدينة افتتحها أبو عبيدة هي واليرموك والجابية متصلة ، وقال ابن وضاح: بينها وبين المدينة ثلاث
عشرة مرحلة . (منه رحمه الله تعالى) .

وقع بالشام ، قال ابن عباس: فقال لي عمر بن الخطاب: ادع لي المهاجرين الأولين .
 فدعوتهم ، فاستشارهم وأخبرهم أن الوياء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم
 (قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم) (١) : معك بقية الناس وأصحاب
 رسول الله ﷺ ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوياء. فقال عمر: ارتفعوا عني. (ثم
 قال: ادع لي الأنصار. فدعوتهم ، فاستشارهم ، فسلخوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا
 كاختلافهم ، فقال: ارتفعوا عني.) (٢) ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش
 من مهاجرة الفتح. فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا
 تقدمهم على هذا الوياء. فنادى عمر في الناس: إني مُصْبِحٌ على ظَهْرٍ. فأصباحوا عليه
 ، فقال أبو عبيدة - وهو إذ ذاك أمير الشام: أفرارا من قَدْرِ الله! فقال عمر: لو غيرك
 قالها يا أبا عبيدة - وكان عمر يكره خلافه - نعم ، نَفِرٌ من قَدْرِ الله إلى قدر الله ، رأيت
 لو كان لك إبل كثيرة ، فهبطت واديا له عبوتان (٣) ، إحداهما خَصْبَةٌ والأخرى جدبة ،
 أليس إن رعيت الخَصْبَةَ رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال:
 ف جاء عبد الرحمن بن عوف ، وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا
 العلم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا' (٤) عليه ، وإذا
 وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه'. قال: فحمد الله عمر ، ثم انصرف.

زاد ابن خزيمة في رواية له من طريق مالك: ثم انصرف بالناس. وأخرجه مسلم من
 رواية معمر عن ابن شهاب ، قال: نحو رواية مالك. قال: وزاد في رواية معمر (٥): وقال
 له أيضا: رأيت لو أنه رعى الجدبة وترك الخصبة أكنت مُعْجَزَةٌ؟ (٦) قال: نعم. قال: ففسر
 إذا. قال: فسار حتى أتى المدينة ، فقال: هذا المحل - أو هذا المنزل - إن شاء الله.

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

(٢) ما بين القوسين ساقط من تركيا.

(٣) عبوتان: بعين مهملة مكسورة وتضم أيضا ، أي: جانبان. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) فلا تقدموا: بفتح أوله من القدم ، وهو الأشهر ، ويروى بضم أوله من الإقدام. (منه رحمه الله
 تعالى).

(٥) مسلم (١٧٤١/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والصيرة والكهانة ونحوها.

(٦) أكنت مُعْجَزَةٌ: بالتشديد من العجز: أي يُنْسَبُ إلى العجز ، والمعنى: إن الناس رعيتي فيجب على
 الاحتياط لها ، فإن تركته نُسِبَتْ إلى العجز ، كما يُنْسَبُ راعي الإبل إذا رعاها في المكان الجذب
 مع قدرته على رعيها في المكان الخصب ، والله أعلم. (منه رحمه الله تعالى).

وأخرجه^(١) من رواية يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : نحو رواية مالك ومعمر ، إلا أنه قال : عبد الله بن الحارث ، (ولم يقل عبد الله بن عبد الله بن الحارث ،)^(٢) وقول مالك ومن تابعه أصح . انتهى كلام مسلم .

وقد ساق ابن خزيمة رواية يونس وأولها : أن عبد الله بن عباس حدثه : أنه كان مع عمر بن الخطاب حين خرج إلى الشام فرجع بالناس من سرخ ، لقيه أمراؤه على الأجناد ، ولقية أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، وقد وقع الوجع بالشام فقال : اجمع لي ... فذكر القصة وفيها : وقال بعضهم : إنما هو قدر الله . وفيها : فأمرهم فخرجوا عنه ، وقال في الحديث : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . قال : فإني ما ضرت لما أرى فانظروا ما أمركم به فامضوا له . قال : فأصبح على ظهر فركب عمر ثم قال للناس : إني راجع . وقال فيه بعد قوله بقدر الله : ثم خلا بأبي عبيدة فتراجعا ساعة ، فجاء عبد الرحمن . وقال في آخره : فحمد الله عمر ، فرجع فأمر الناس أن يرجعوا .

وعبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل المذكور في هذا الحديث ، نوفل جد أبيه هو ابن عم النبي ﷺ ، وهو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عبد الله اسمه اسم أبيه ، ويكنى أبا يحيى ، تابعي وثقه النسائي وابن سعد والعجلي وآخرون ، ومات سنة تسع وتسعين من الهجرة ، وأبوه يكنى أبا محمد ولقبه : بيه ، بموحدتين مفتوحتين ، الثانية ثقيلة ، ولد في عهد النبي ﷺ وحنكه فعد في الصحابة لذلك ، وهو من حيث الرواية تابعي ثقة عند الجميع ، ومات سنة أربع وثمانين من الهجرة ، والمحفوظ في حديث الباب أنه عن ولده كما قال مالك ومن تابعه لا عنه كما قال يونس ، وقد حكى ابن عبد البر : أن بعض الرواة عن مالك قال : عبد الله بن عبد الله بن الحارث عن أبيه . قال : وقوله عن أبيه زيادة .

(قلت : وأخرجها الدارقطني في الموطأ وفي الغرائب من طريق إبراهيم بن عمر بن أبي الوزير عن مالك .)^(٣)

(١) مسلم (١٧٤٢/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .

(٢) ما بين القوسين سقط من الروابط .

(٣) ما بين القوسين سقط من تركيا .

وقد (١) خالف الجميع هشام بن سعد فقال : عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن : أن عمر حين أراد الرجوع من سرغ استشار الناس ، فقالت طائفة منهم أبو عبيدة بن الجراح: أمن الموت نفر ، إنما نحن بقدر ، لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا؟! فقال عمر: يا أبا عبيدة ، لو كنت بوادٍ إحدى عنوتيه مخصبة والأخرى مجدبة ، أيهما كنت ترعى؟ قال: المخصبة. قال: فإننا إن تقدمنا فبقدر الله ، وإن تأخرنا فبقدر الله ، ولهي قدر نحن.

أخرجه الطحاوي ، وهشام بن سعد صدوق في حفظه شيء ، فإن كان حفظه احتمل أن يكون لابن شهاب فيه شيخ آخر. وقد أخرجه ابن خزيمة من وجه آخر ، عن هشام بن سعد ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه: أن عمر حين خرج إلى الشام سمع بالطاعون فتكركر (٢) عنه ، فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: " إذا سمعتم به قد وقع بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا فرارا منه ". فرجع عمر عن حديث عبد الرحمن بن عوف.

وقد شذ هشام بن سعد فيه ، والمحفوظ أن أول هذا من رواية ابن شهاب عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عامر ، عن عبد الرحمن بن عوف وعمر ، وآخره من قول سالم.

تنبيه :

مراجعة أبي عبيدة لعمر في إرادته الرجوع معارضة في الظاهر لحديث أنس المذكور أولا ، في أن أبا عبيدة وأباطلحة أشارا على عمر بالرجوع ، ويمكن الجمع بأن يكون أبا عبيدة أشار أولا بالرجوع ، ثم غلب عليه مقام التوكل لما رأى الكثير من المهاجرين والأنصار جنحوا إليه ، فرجع عن رأي الرجوع فنظر عمر في ذلك ، فلما أقام عليه الحجة تبعه ، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف بالنص فرجعوا أجمعين إليه.

(١) في الحرم والدار (وقال : وقد) وعلى ذلك يكون الكلام للدارقطني ، وإلا فكلام الحافظ فليتأمل .

(٢) فتكركر : أي : رجع (منه رحمه الله تعالى) .

طريق أخوه لخبر عبد الرحمن بن عوف :

أخرج مالك والشيخان^(١) أيضا من طريقه ، عن ابن شهاب ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة : أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، فلما جاء سرغا بلغه أن الوباء قد وقع بالشام ، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " . فرجع عمر من سرغ.

وعن ابن شهاب عن سالم : أن عمر إنما انصرف بالناس عن حديث عبد الرحمن بن عوف.

(وأخرجه الدارقطني في الفرائب من رواية جويرية بن أسماء ، عن مالك ، وزاد في آخره : عن رسول الله ﷺ : أنه نهى أن يقدم عليه إذا سمع به ، وأن يخرج عنه إذا وقع بأرض هو بها) ^(٢) وقد ظن بعض الناس أن هذه الرواية تخالف الرواية الأولى ، وليس كذلك ؛ بل دلت هذه الرواية أن عمر كان رجح عنده الرجوع لما قال للناس : إني مصبح . لكن لم يجزم بذلك ، فلما أخبره عبد الرحمن بن عوف بما وافق اجتهاده حمد الله على ذلك.

فمعنى قول سالم : أنه لولا أن عبد الرحمن بن عوف أخبره عن النبي ﷺ بالحديث لاستمر متردداً في الرجوع وعدمه ، فلذلك نسب سبب رجوعه إلى حديث عبد الرحمن بن عوف ؛ لأنه العمدة في ذلك ، وإن كان الاجتهاد قد سبق على وفقه ، وهذا مما ينبغي أن يضاف إلى موافقات عمر رضي الله عنه.

وقد تقدم في الباب الأول لحديث عبد الرحمن بن عوف طريق أخرى .

(١) الموطأ (١٩٦/٢) ٤٥ - كتاب الجامع ، ٧ - باب ما جاء في الطاعون .
البخاري (١٧٩/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٠ - باب ما يُذكر في الطاعون .
مسلم (١٧٤٢/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها .
(٢) ما بين القوسين ساقط من تركيا .

وأخرج الكلاباذي في معاني الأخبار من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن سالم بن عبد الله بن عمر - أراه عن أبيه - عن عبد الرحمن بن عوف : سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم الوباء ببيلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم فيه ، فلا تخرجوا فرارا منه ، لا يخرجكم إلا ذلك".

تنبيه :

أورد الفزالي في الإحياء قصة عمر إيراداً مستغرباً ، فيه مخالفة للطرق التي تقدم ذكرها ، فإنه قال: روي عن عمر والصحابة أنهم لما قصدوا الشام ، وانتهوا إلى الجابية وبلغهم الخبر أن بها موتاً ذريعاً ، ووباءً عظيماً ، فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم : لا ندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة . وقالت الطائفة الأخرى : بل ندخل ونتوكل ، ولا نهرب من قدر الله ولا نفر من الموت ، فنكون مثل (ما) (١) قال تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ . ثم ارتفعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه في ذلك فقال: نرجع ولا ندخل. فقال له المخالفون في رأيه: أنفر من قدر الله؟ فقال عمر: نعم ، نفر من قدر الله إلى قدر الله. ثم ضرب لهم مثلاً فقال: أرايتم لو كان لأحدكم غنم نزل بها واديا له عدوتان ... فذكره . قال : ثم طلب عبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه وكان غائبا ، فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن بن عوف فسأله عن ذلك ، فقال: عندي فيه شيء سمعته من رسول الله ﷺ . فقال عمر: الله أكبر. فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... فذكر الحديث. قال: ففرح عمر بذلك رحمه الله تعالى ؛ إذ وافق رأيه الخبر ، ورجع بالناس من الجابية . انتهى .

وهذا السياق لهذه القصة لم أره في شيء من كتب الحديث ، ولا الفتوح ، مع مزيد التنقيب والبحث ، فإن كان مرويا على هذه الصورة ، فهو شاذ لمخالفته الطرق الصحيحة فيما خالف من ذلك ، وإنما أوردته لأنبه عليه للفائدة ، والله أعلم .

(١) في الرباط وتركيا والدار (من).

ذكر الأخبار الموافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف في ذلك :

جاء من حديث أسامة بن زيد - وهو أشهرها - ومن حديث سعد بن أبي وقاص ،
وخزيمة بن ثابت ، وزيد بن ثابت ، وجد عكرمة بن خالد ، وشرحبيل بن حسنة وأم أيمن .

قال الترمذي (١) : حدثنا قتيبة بن سعد ، ثنا حماد بن زيد ح .

وقال ابن خزيمة : ثنا عبد الجبار بن العلاء ، ثنا سفيان - هو ابن عيينة - كلاهما
عن عمرو - هو ابن دينار - عن عامر بن سعد - أي ابن أبي وقاص - قال : جاء رجل
إلى سعد يسأله عن الطاعون ، وعنده أسامة - هو ابن زيد بن حارثة ، فقال أسامة : أنا
أخبرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن هذا الطاعون عذاب أرسل على من كان
قبلكم - أو على طائفة من بني إسرائيل - يجيئ أحيانا ويذهب أحيانا ، فإذا وقع بأرض
وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، وإذا سمعتم بأرض قد دخلها فلا تدخلوا عليه " . لفظ
ابن خزيمة .

وأخرجه مسلم من روايتي حماد وابن عيينة ولم يسق لفظه (٢) .

وأخرجه أيضا من رواية ابن جريج عن عمرو بن دينار ، وقال في روايته : " فلا
تدخلوا عليه ، وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فرارا " (٣) .

وأخرجه ابن خزيمة من طريق محمد بن ثابت ، عن عمرو بن دينار ، عن عامر بن
سعد ، عن أسامة : أن رسول الله ﷺ ذكر عنده الطاعون فقال : " إذا سمعتم به بأرض
فلا تدخلوها ، وإذا كان فيها وأنتم بها ، فلا تفروا منه ، فإنه رجز سلط على طائفة من
بني إسرائيل " .

وأخرج مالك في الموطأ والشيخان والنسائي من طريقه (٤) ، ومسلم أيضا من طريق

(١) الترمذي (٣/٢٦٩) ٨ - كتاب الجنائز ، ٦٦ - باب ما جاء في كراهية الفرار من الطاعون .

(٢) مسلم (٢/١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها .

(٣) نفس الموضع السابق .

(٤) الموطأ (٢/٨٩٦) ٤٥ - كتاب الجامع ، ٧ - باب ما جاء في الطاعون .

البخاري (٨/٥١٢) ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء ، ٥٤ - باب حدثنا أبو اليمان .

مسلم (٢/١٧٢٨) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها .

النسائي في السنن الكبرى ، كما في تحفة الأشراف (١/٤٦) .

سفيان الثوري ومغيرة بن عبد الرحمن^(١) ، كلهم عن محمد بن المنكر ، زاد مالك^(٢) :
 وسالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، كلاهما عن عامر بن سعد : أنه سمع أبا
 يسال أسامة بن زيد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة : قال
 رسول الله ﷺ : "الطاعون رجز أرسل طلى طائفة من بني إسرائيل - أو على من كان
 قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا
 فرارا منه".

قال أبو النضر : " لا يخرجكم إلا فرارا منه"^(٣) . لفظ مالك.

وفي رواية النسائي من طريق ابن القاسم عنه : " لا يخرجكم إلا الفرار منه". وفي
 رواية مغيرة بن عبد الرحمن : "الطاعون ، إنه الرجز ، أبلى الله به ناسا من عباده".
 وقال في آخره : "ولا تفروا منه".

ورواية سفيان الثوري مثل رواية عمرو بن دينار الماضية ، لكن لم يقل : "يذهب أحيانا
 ويحيى أحيانا". وقال : "رجز سلط".

وأخرج البخاري في ترك الحيل من صحيحه^(٤) ، من طريق شعيب ، عن الزهري ،
 عن عامر بن سعد : أنه سمع أسامة بن زيد يحدث سعدا ... فذكر الحديث ، وفيه : "من
 سمع به بأرض فلا يقدمن عليه ، ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فرارا منه".

وأخرجه مسلم من طريق يونس ، عن الزهري ، أخبرني عامر بن سعد به . ولم يقل :
 يحدث سعدا . فذكر الحديث^(٥) .

وهكذا رواه عامة أصحاب الزهري عنه ، وخالفهم عبد الرحمن بن إسحاق فقال : عن
 الزهري ، عن عامر بن سعد ، عن زيد بن ثابت مقتصرًا على قوله : " إذا سمعتم
 بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها " .
 وعبد الرحمن سيبويه الحفظ ، والمحفوظ قول الجماعة . وأخرجه مسلم أيضا من طريق

(١) مسلم : نفس الموضع السابق.

(٢) الموطأ : نفس الموضع السابق.

(٣) قال أبو النضر : " لا يخرجكم إلا فرارا منه " ، في هذا التركيب إشكال ، ولهذا عزا مالك لأبي
 النضر ، وقد وجهه بأن التقدير : لا يخرجكم شيء إلا الخروج فرارا منه . (منه رحمه الله تعالى).

(٤) البخاري (٣٤٤/١٢) - ٩٠ - كتاب الحيل ، ١٣ - باب ما يكره من الاحتيا في الفرار من الطاعون.

(٥) مسلم (١٧٣٨/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها.

شعبة (١) ، عن حبيب بن أبي ثابت قال: كنا بالمدينة فبلغنا أن الطاعون قد وقع بالكوفة ، فقال لي عطاء بن يسار وغيره: إن رسول الله ﷺ قال: "إذا كنت بأرض فوقع بها فلا تخرج منها ، وإذا بلغك أنه بأرض فلا تدخلها". فقلت: عن؟ قالوا: عن عامر بن سعد يحدث به. فأتيت ، فقالوا: غائب. فلقيت أخاه إبراهيم بن سعد فسأته ، فقال: شهدت أسامة يحدث سعدا قال: سمعت رسول الله ﷺ: فذكر نحو حديث أبي النضر ، ولم يذكر الفرار.

وأخرجه مسلم من طريق الأعمش (٢) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن إبراهيم بن سعد ، عن سعد وأسامة. ومن طريق الشيباني (٣) ، عن حبيب ، عن إبراهيم ، عن أبيه (وجده) (٤).

ورويناه في مستخرج أبي نعيم من هذا الوجه ولفظه: "إن هذا الوجد - يعني الطاعون - رجز أنزل على من كان قبلكم ، فإذا أخذ بأرض ولستم بها فلا تدخلوها حتى يقلع ، وإذا أخذ بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها". وتقدمت الإشارة إليه في الباب الأول.

وأخرجه مسلم أيضا (٥) وأحمد (٦) من طريق سفيان الثوري عن حبيب ، عن إبراهيم ، عن سعد وأسامة وخزيمة بن ثابت. قال مسلم: بمعنى حديث شعبة. وقد تقدم بعضه في الباب الأول مع بعض الطرق المذكورة ، وبينت أنه يحتمل أن يكون سعد كان نسي الحديث ، ثم تذكره لما حدثه به أسامة.

وسأته أحمد وقال فيه: "فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه ، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تدخلوها". وقد رواه يحيى بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه (٧).

(١) مسلم (١٧٣٩/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها.

(٢) مسلم: نفس الموضع السابق.

(٣) مسلم (١٧٤٠/٤) في الكتاب والباب السابقين.

(٤) هكذا في كل النسخ وهي زائدة.

(٥) مسلم (١٧٣٩/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها.

(٦) المسند (١٨٢/١).

(٧) المسند (١٧٣/١ ، ١٧٦).

قال أحمد (١): حدثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن سعد ، عن سعد ، عن النبي ﷺ أنه قال في الطاعون: "إذا وقع بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كنتم بها فلا تفروا منه". قال شعبة: وحدثني هشام أبو بكر - يعني الدستوائي : أنه عكرمة بن خالد.

وأخرجه ابن خزيمة من حديث شعبة وقال في آخره: وحدثني هشام الدستوائي أنه عكرمة بن خالد.

قلت: إنما قال شعبة هذا ؛ لأن قتادة معروف بالرواية عن عكرمة مولى ابن عباس ، وكأنه لما حدث به شعبة لم ينسب عكرمة ، ولما حدث به هشاما نسبه ، واعتنى شعبة بتبيين نسب عكرمة ولم (يعت بتبيين) (٢) اسم ابن سعد ، وقد بين هشام الدستوائي أيضا أنه يحيى ، أخرجه ابن خزيمة من طريق معاذ بن هشام ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن عكرمة بن خالد ، حدثني يحيى بن سعد عن أبيه.

وكذا أخرجه أحمد (٣) وابن خزيمة أيضا من رواية سليم بن حيان ، عن عكرمة بن خالد به ، ولفظه: ذكر الطاعون عند رسول الله ﷺ فقال: "رجز أصيب به من كان قبلكم ، فإذا كان بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا عنها".

وله طريق أخرى عن سعد بن أبي وقاص أخرجه مسلم (٤) ، وأحمد (٥) من رواية سعيد بن المسيب ، عن سعد بن مالك بلفظ: "إذا كان الطاعون بأرض فلا تهبطوا عليه ، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه".

وقد رواه حماد بن سلمة ، عن عكرمة بن خالد ، فخالف شعبة في سنده ، أخرجه أحمد والطبراني (٦) والطحاوي من طرق عن حماد ، عن عكرمة بن خالد ، عن أبيه - أو

(١) المسند (١/١٧٥).

(٢) هكذا في الدار وهو الصواب ، وفي بقية النسخ (يعني تبيين).

(٣) المسند (١/١٧٣).

(٤) مسلم (٤/١٧٤) - ٢٩ - كتاب السلام ، ٢٢ - باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها.

(٥) المسند (١/١٨٦).

(٦) المسند (٣/٤١٦).

المعجم الكبير (١٨/١٥).

عن عمه ، عن جده: أن رسول الله ﷺ قال في غزوة تبوك: "إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها ، وإذا كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها". فإن كان حماد بن سلمة حفظه ، احتمال أن يكون لعكرمة بن خالد فيه طريقان ، ويقوي ذلك الزيادة في هذه الرواية ، وهي تعيين الزمان والمكان الذي قيل فيه ذلك ، ويشبه والله أعلم أن يكون السبب في ذلك أن الشام كانت في قديم الزمان - ولم تزل - معروفة بكثرة الطواعين ، فلما قدم النبي ﷺ تبوك غازياً الشام لعله بلغه أن الطاعون في الجهة التي كان يقصدها ، فكان ذلك من أسباب رجوعه من غير قتال ، والله أعلم.

وفي الباب حديث آخر.

قال سيف في الفتوح: ثنا داود بن أبي هند والعلاء بن زياد قالا: لما مات معاذ بن جبل بكى عمرو بن عبسة ، فقال شرحبيل بن حسنة: انظروا ما أقول: إن رسول الله ﷺ قال: "إذا وقع - يعني الطاعون - بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فإن الموت في أعقابكم ، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها ، فإنه يحرق القلوب". هذا منقطع.

ذكر حديث أم أيمن في ذلك :

قال عبد بن حميد ، ثنا عمر بن سعيد ، ثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن أم أيمن: أنها سمعت رسول الله ﷺ يوصي بعض أهله فقال: "وإن أصاب الناس مؤتان (١) وأنت فيهم فاثبت". فيه انقطاع بين مكحول وأم أيمن.

ويدخل في هذا الباب حديث عائشة عن النبي ﷺ قال: "ما من عبد يكون - أي الطاعون - في بلده يكون فيها فيمكث ، فلا يخرج من البلدة صابراً محتسباً إلا كان له مثل أجر شهيد". أخرجه البخاري هكذا في كتاب القدر (٢) ، وقد تقدمت طرقة وألفاظه في الباب الثالث (٣) ، وهو شاهد لأحد شقّي الحديث من جهة الترغيب في الإقامة ، فإنه بمعنى النهي عن الخروج والله أعلم.

(١) مؤتان: بضم الميم وسكون الواو ، أي الموت الكثير ، ويقال بفتح أوله وثانيه أيضاً. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) البخاري (٥١٤/١١) ٨٢ - كتاب القدر ، ١٥ - باب «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» .

(٣) في ص (١١٧) .

ذكر اختلاف الصحابة في

الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون^(١)

قال سيف بن عمر في كتاب الفتح له عن مشايخه: كان في طاعون عمواس موتان لم ير الناس مثله ، حتى طمع العدو في المسلمين ، وطال مكثه حتى تكلم الناس في ذلك واختلفوا ، فأمر معاذ بالصبر عليه حتى ينجلي ، وأمر عمرو بن عبسة بالتحني عنه حتى ينجلي ، فقال الذين يريدون التحني: أيها الناس هذا رجز (وعذاب)^(٢) ، هذا (الطوفان)^(٣) الذي بعثه الله على بني إسرائيل. فرد عليهم معاذ بن جبل والذين (يريدون)^(٤) الصبر فقال: لِمَ تجعلون دعوة نبيكم ورحمة ربكم عذابا؟

ذكر سياق الأخبار الواردة في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم

قال أحمد^(٥): حدثني أبو سعيد مولى بني هاشم ، ثنا ثابت بن يزيد ، ثنا عاصم - هو ابن سليمان - عن أبي منيب: أن عمرو بن العاص قال في الطاعون في آخر خطبة خطب الناس: إن هذا رجز مثل السيل ، من تنكب^(٦) أخطأه ، ومثل النار من تنكبها أخطأها ، ومن أقام أحرقتة فآذته. فقال شُرْحُبَيْل بن حَسَنَةَ: إن هذا رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وقبض الصالحين قبلكم. رجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني من طريق جرير عن عاصم.

وأبو منيب: بضم أوله ، وكسر النون بعدها تحتانية ساكنة ، ثم موحدة ، دمشقي يعرف بالأحذب ، مشهور بكنيته ، نزل البصرة ، ووثقه العجلي ، وقد أثبت البخاري سماعه من معاذ ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وفي الرواة أيضا أبو منيب الجرشي ، بضم الجيم وفتح الراء بعدها معجمة ، وهو شامي أيضا روى عن سعيد بن المسيب

(١) من هنا إلى آخر صفحة ١٧. جاء قبل ص ١٤٤ ، وذلك في نسخ: (الحرم وتركيا) ، بينما سقط هذا الجزء من نسخة الهند ، في حين أنه جاء على الترتيب الذي اتبعناه في نسخ: (الدار وتيمور والرباط) ، وقد فصلنا القول في هذه المسألة في مقدمتنا للكتاب ، فلتراجع.

(٢) زيادة من تركيا.

(٣) في الرباط (الطاعون) وفي نسخة الدار ساقطة.

(٤) في الحرم وتركيا (بيرون).

(٥) المسند (١٩٦/٤).

(٦) تنكبه: نَكَبَ: بنون وكاف ثم موحدة ، أي: عدل عنه. (منه رحمه الله تعالى).

وغيره ، روى عنه حسان بن عطية وغيره ، فرق بينه وبين الذي قبله البخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وابن ساعد وآخرون ، وقال أبو أحمد الحاكم في الكنى: ما أراهما إلا واحدا . وتبعه ابن عساكر ثم المزني . والله أعلم .

* طريق أخرى لهذه القصة :

قال أحمد^(١): حدثنا عفان ، ثنا شعبة ، أخبرني يزيد بن خمير ، سمعت شرحبيل بن شفعة يحدث عن عمرو بن العاص ، أن الطاعون وقع فقال عمرو بن العاص: إنه رجس ففرقوا عنه . فقال شرحبيل بن حسنة: إني قد صحبت رسول الله ﷺ ، وعمرو أضل من جمل أهله - وربما قال شعبة: من بعير أهله - وأنه قال: "إنها رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، فاجتمعوا له ولا تفرقوا عنه". فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فقال: صدق .

وأخرجه أيضا^(٢) عن محمد بن جعفر عن شعبة به . لكن قال: عن شرحبيل (بن شفعة قال: وقع الطاعون . وقال فيه: فبلغ ذلك شرحبيل)^(٣) بن حسنة . وقال: بعير أهله . ولم يشك .

وأخرجه ابن خزيمة من هذا الوجه ، ومن رواية ابن أبي عدي وأبي داود الطيالسي قالوا: ثنا شعبة به . وقال فيه: وقع الطاعون بالشام . وقال فيه: فإنه رجس أو رجز . وقال فيه: بل هو رحمة ربكم .
وأخرجه الطحاوي من رواية أبي الوليد الطيالسي عن شعبة به . وقال فيه: لقد صحبت رسول الله ﷺ فسمعته يقول: "إنها رحمة ربكم". والباقي مثله .

* طريق ثالثة :

أخرج أحمد^(٤) وابن خزيمة من طريق همام بن يحيى عن قتادة . زاد ابن خزيمة : ومطر الوراق .

(١) المسند (٤/١٩٦).

(٢) المسند (٤/١٩٦).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الدار .

(٤) المسند (٤/١٩٥).

وأخرجه ابن خزيمة أيضا من طريق هشام الدستوائي عن قتادة . كلهم عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم قال: لما وقع الطاعون بالشام ، خطب عمرو بن العاص وقال: إن هذا الطاعون رجس ففرقوا عنه في هذه الشعاب وفي هذه الأودية ، فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة ، قال: ففضب فجاء وهو يجرُّ ثوبه متعلق نعله بيده ، فقال: صحبت رسول الله ﷺ ، وعمرو أضل من حمار أهله ، هذه دعوة نبيكم ورحمة ربيكم ووفاء الصالحين قبلكم .

لفظ أحمد ، وهو سند حسن ، ولكن شهر فيه مقال .

وقد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه^(١) ، عن معمر ، عن قتادة ، عن معاذ بن جبل منقطعا .

وفي رواية ابن خزيمة: ففروا منه بدل ففرقوا ، وعنده: فجاء يجر ثوبه ونعلاه في يده ، فقال: كذب عمرو . وزاد في آخره: فبلغ ذلك معاذا فقال: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر .

* طريق أخرى لحديث معاذ بن جبل في ذلك :

قال أحمد^(٢): ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا ميسرة^(٣) بن معبد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، قال: قال معاذ بن جبل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'ستهاجرون إلى الشام فتفتح ، ويكون فيكم داء كالدمل وكالحزة ، تأخذ مرق الرجل ، يستشهد الله به أنفسهم ، ويزكي به أعمالهم' . اللهم إن كنت تعلم أن معاذ بن جبل سمعه من رسول الله ﷺ فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر منه . فأصابهم الطاعون فلم يبق منهم أحد ، فطعن في أهبيه السبابة فكان يقول: ما يسرني أن لي بها حُمْر النعم .

وهذا أيضا منقطع ؛ فإن إسماعيل بن عبيد هو ابن أبي المهاجر لم يدرك معاذ ، وقد أخرج الطبراني من روايته عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ حديثا غير هذا ، والله أعلم .

(١) المصنف (١١/١٤٩) .

(٢) المسند (٥/٢٤١) .

(٣) ميسرة: بفتح الميم والمهمله ، وتشديد الراء . (منه رحمه الله تعالى) .

* طريق أخري لمعاذ :

أوردها البيهقي في الدلائل (١) من طريق عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن حيان: أنه سمع سليمان بن موسى يذكر أن الطاعون وقع بالناس يوم جسر مومسة (٢) ، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أيها الناس ، (إنما هذا الوجع رجس فتتحوا عنه. فقام شرحبيل فقال: يا أيها الناس ،) (٣) إني قد سمعت قول صاحبكم ، وإني والله لقد أسلمت وصليت ، وإن عمراً لأضل من بعير أهله ، وإنما هو بلاء أنزله الله فاصبروا. فقام معاذ بن جبل فقال: يا أيها الناس إني قد سمعت قول صاحبكم هذين ، وإن هذا الطاعون رحمة ربيكم ودعوة نبيكم ، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنكم ستقدمون الشام ، فتتزلون أرضاً يقال لها جسر مومسة ، فيخرج فيكم خرجان (٤) لها ذناب كذناب الدمل ، يستشهد الله به أنفسكم وذرائعكم ، ويزكي به أموالكم". اللهم إن كنت تعلم أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ فارزق معاذاً وآل معاذ الحظ الأوفر. الحديث.

* طريق أخري لمعاذ بن جبل في ذلك :

قال أحمد (٥): ثنا إسماعيل - هو ابن علي ، عن أيوب ، عن أبي قلابة: أن الطاعون وقع بالشام ، فقال عمرو بن العاص : إن هذا الرجز قد وقع ففروا منه في الشعاب والأودية. فبلغ ذلك معاذاً ، فلم يصدقه بالذي قال ، فقال: بل هو شهادة ورحمة ، ودعوة نبيكم ﷺ ، اللهم أعط معاذاً وأهله نصيبهم من رحمتك. قال أبو قلابة: فعرفت الشهادة وعرفت الرحمة ، ولم أرم ما دعوة نبيكم حتى أنبئت أن رسول الله ﷺ بينما هو ذات ليلة يصلي إذ قال في دعائه: "فَحْمَى إِذَا أَوْ طَاعُونَ". ثلاث مرات ، فلما أصبح ، قال له إنسان من أهله: يا رسول الله ، قد سمعتك الليلة تدعو بدعاء . فقال :

(١) دلائل النبوة (١/٢٨٥).

(٢) جسر مومسة : مكان بالشام قرب الجابية . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الروابط...

(٤) خرجان : بغاء معجزة وراء ساكنة ثم جيم ، هو الخُرْج ، بضم أوله وتخفيف الراء كالمُمل... (منه رحمه الله تعالى).

(٥) المسند (٥/٢٤٨).

وسمعته؟ قال: نعم. قال: "إني سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها. وسألته أن لا يلبسهم شيئا وينيق بعضهم بأس بعض ، فأبى علي - أو قال: فَمُنِعْت - فقلت: حمى إذا أو طاعون ، حمى إذا أو طاعون". ثلاث مرات.

رجاله ثقات إلا أنه منقطع بين أبي قلابة ومعاذ .

وقد أخرج الكلاباذي في معاني الأخبار من طريق محمد بن إسحاق ، عن رجل ، عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرهمي: أنه كان يقول: بلغني من قول أبي عبيدة وقول معاذ: إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم. فكنت أقول: كيف دعا به رسول الله ﷺ لأمتي. حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله ﷺ أنه سمعه يقول: وجاءه جبريل فقال: إن فناء أمتك يكون بطعن أو طاعون. قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول: اللهم فبالطاعون مرتين ، قال: فعرفت أنها الدعوة التي قال أبو عبيدة ومعاذ.

قلت: الطريق الأولى التي ساقها أحمد أصح رجالا من هذه ؛ لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق وأبي قلابة.

وقد تكلم الكلاباذي على رواية ابن إسحاق فقال: أخبر النبي ﷺ أن فناء أمتي يكون بإحدى الشيتين ، فعلم أن أحدهما وهو الطعن ، يكون إما من أعداء الدين الكفار ، وإما من أعداء الدنيا كقطع الطريق ، وفي غلبة كل منهما قهر للدين وأهله وهلاك الدنيا ، فرأى أن في الطاعون سلامة الدين. وإن فني أهل الدين ، فاختر أن يكون فناء أمتي مع سلامة الدين وأهله ، قال : ويجوز أن يكون إنما أراد بذلك تحصيل الشهادة لأمتي.

قلت : أما تفسير الدعوة فلم يُسَمَّ أبو قلابة من أخبره به ، وأصح منه مخرجا ورجالا ما تقدم من حديث أبي موسى ، ومن حديث أخيه أبي بردة بن قيس : أن النبي ﷺ قال: اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون. وقد تقدم جزم الزمخشري بأن هذا هو المراد بقول معاذ: دعوة نبيكم ، ولا معارضة بين الخبرين ، إلا أن في رواية أبي قلابة زيادة السبب ، والمشكل إنما هو في رواية ابن إسحاق ؛ لأن ظاهرها اختيار أحد شيتين ، والله أعلم.

وقد تقدم في الباب الثاني عدة أحاديث فيما يتعلق بالآية المذكورة ، ذكرتها استطرادا في الكلام على حديث أبي موسى وأبي بردة.

ويؤيد حديث أبي قلابة رواية أحمد في هذا السبب ما تقدم هناك من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه.

والدعاء المذكور شاهد من حديث أبي بكر الصديق ، أخرجه أبو يعلى من طريق القاسم ، عن أبي أمامة ، عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فقال: "اللهم طعنا وطاعونا". فقلت: يا رسول الله ، إنني قد أعلم أنك قد سألت منايا أمتك ، وهذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال: "ذُرْبٌ كالدُّمْلُ"^(١) ، إن طالت بك حياة ستراه". سنده ضعيف ، فإن كان ثابتا استفيد منه وقت الدعاء بذلك.

تنبيهه :

وقع تفسير "رحمة ربكم" وتفسير "دعوة نبيكم" ولم يقع تفسير "موت الصالحين قبلكم" ، وذلك لأنه لم يقع في رواية أبي قلابة في روايته عند أحمد ، لكنها وقعت عن معاذ وأبي عبيدة عند الكلاباذي ، وكذا وقع في رواية غيره كما تقدم في الطريق الأخرى.

وقد تكلم عليه الكلاباذي فقال: يجوز أن يكون المراد بالصالحين بني إسرائيل ؛ لأنهم كانوا قبل هذه الأمة ، وقد وقع فيهم الطاعون - فسأق القصة التي أوردتها في (أول هذا الباب)^(٢) من طريق محمد بن إسحاق عن سالم أبي النضر في شأن بلعم - ثم قال: وكان ذلك من الله تطهيرا لبني إسرائيل ، وكفارة لما كان منهم من السكوت عن زمري وما فعله هو ، ومن فعل غيره ، كما كان قتل بعضهم بعضا كفارة لمن كان منهم عبداً العجل ، لما تابوا إلى الله تعالى واستسلموا له ، فهم صالحون لأنهم تائبون ، فيجوز أن يكونوا^(٣) المراد ، والله أعلم.

(١) ذُرْبٌ كالدُّمْلُ: بذال معجمة وراء مفتحتين ، وأخره موحدة ، هو ما لا يقبل العلاج. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) هكذا في جميع النسخ ، والصواب (الباب الأول) ، لأنه لم يذكر القصة في هذا الباب بل ذكرها في الباب الأول.

(٣) في الحرم والدار (يكون).

* طريق أخري عن معاذ :

أخرج الطبراني في الكبير^(١) من طريق كثير بن مرة عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "تتزلون منزلا يقال له الجابية"^(٢) - أو الجويبية^(٣) - يصيبكم فيه داء مثل غدة الجمل ، يستشهد الله به أنفسكم وذرائعكم ، ويزكي به أعمالكم". وفي سننه الحسن بن يحيى الخُشَنِيّ ، بمعجمة مضمومة ثم معجمة مفتوحة ثم نون ، فيه ضعف.

* طريق أخري عن معاذ :

قال أبو نصر التمار في كتاب الزهد له: حدثنا حماد بن مسعدة ، ثنا أبو محسن ، عن حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال : وقع الطاعون بجمص فقالوا: هذا هو الطوفان ، فبلغ ذلك معاذًا فقال: اجتمعوا إلى دار معاذ. فقال: إنه ليس بالطوفان الذي عذب به قوم نوح ، بل هو شهادة وميتة حسنة. الحديث رواه ثقات إلا أنه منقطع.

* طريق أخري عن معاذ :

قال ابن سعد في الطبقات^(٤): أخبرنا عبيد الله بن موسى ، أخبرنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع قال: لما أصيب أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عمواس ، استخلف معاذ بن جبل ، واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الرجز. قال: إنه ليس برجز ، ولكنه دعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص بها الله من يشاء منكم ، اللهم أت آل معاذ نصيبهم الأوفر من هذه الرحمة . فطعن.

أخرجه الطبراني^(٥) من طريق عبيد الله بن موسى ، وأخرجه ابن وهب في جامعه عن سليمان بن بلال عن موسى بن عبيدة نحوه ، وموسى بن عبيدة هو الربذي وهو ضعيف ، والله أعلم.

(١) المعجم الكبير (١١٤/٢٠).

(٢) الجابية: بجيم ثم موحدة ، اسم مكان معروف بالشام. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) أو الجويبية: الجويبية تصغير الجابية ، وأول للشك من الرازي . (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) الطبقات الكبرى (٥٨٨/٣).

(٥) المعجم الكبير (١٧١/٢٠).

* طريق أخري لهذا الحديث مطولة :

أخرجها البزار^(١) من طريق عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ، عن حديث الحارث بن عميرة ، أنه قدم مع معاذ من اليمن ، فمكث معه في داره وفي منزله ، فأصابهم الطاعون ، فطعن معاذ وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك في يوم واحد ، وكان عمرو بن العاص حين خَبِرَ بالطاعون فَرِقَ^(٢) فَرَقًا شديدًا وقال: يا أيها الناس ، تفرقوا في هذه الشعاب ، فقد نزل بكم أمر لا أراه إلا رجزًا وطاعونًا. فقال شرحبيل بن حسنة : كذبت ، قد صحبنا رسول الله ﷺ وأنت أضل من حمار أهلك ، فقال عمرو : صدقت.

وقال معاذ بن جبل لعمرو بن العاص : كذبت ، ليس بالطاعون ولا الرجز ، ولكنها رحمة ربيكم ودعوة نبيكم ﷺ ، وموت الصالحين قبلكم ، اللهم فأت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة. قال : فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن ، وأحب الناس إليه الذي كان يكنى به ، فرجع معاذ من المسجد فوجده مكروبا ، فقال يا عبد الرحمن كيف أنت ؟ فاستجاب له فقال عبد الرحمن : يا أبت الحق من ربك ، فلا تكونن من الممترين . فقال معاذ : وأنا ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فمات من ليلته ودفنه من الغد .

فجعل معاذ بن جبل يرسل الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة يسأله : كيف أنت ؟ فأراه أبو عبيدة طعنة بكفه ، فبكى الحارث بن عميرة إلى أبي عبيدة ، وفرق منها حين رآها ، فأنقسم أبو عبيدة بالله: ما يجب أن له مكانه حُمْرُ النَّعَمِ ، فرجع الحارث بن عميرة إلى معاذ فوجده مغشياً عليه ، فبكى الحارث واستبكى ، ثم إن معاذًا أفاق ، فقال : يا ابن الحميرية لم تبكي عليّ؟ أعوذ بالله منك. فقال الحارث : والله ما عليك أبكي . فقال معاذ : فَعَلَى من تبكي؟ قال: أبكي على ما فاتني منك العصرين : الغُدُوُّ والرواح - أي من العلم ، فقال معاذ : أجلسني . فأجلسه في حجره فقال : اسمع مني فأني أوصيك بوصية : إن الذي تبكي عليّ من غنوك ورواحك ، فإن العلم مكانه بين لَوْحِي المصحف ، فإن أعيا عليك تفسيره فاطلبه بعدي عند ثلاثة: عويمر أبي الدرداء ، وعند سلمان الفارسي ، وعند ابن أم عبد - يعني : عبد الله بن مسعود - واحذر زَلَّةَ العالمِ ،

(١) البزار كشف الأستار " (٣/٢٩٧).

(٢) فَرِقَ: جَزِعَ وخاف.

وجدل المنافق. ثم إن معاذًا اشتد به نزع الموت ، فنزع أشد العالم نزعاً ، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرّفه فقال: اخنقني خنقك ، فومرتك إنك لتعلم أنني أحبك. هذا إسناد حسن . وأخرجه الطبراني (من هذا الوجه مختصراً).

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (١) ، والطبراني (٢) (٣) من طريقه ، عن أبي معاوية ، ثنا داود بن أبي هند ، عن شهر بن حوشب ، عن العارث بن عميرة الزبيدي قال: وقع الطاعون بالشام ، فقام معاذ فخطبهم بجمع فقال: إن هذا الطاعون رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم . وسقط من السند عبد الرحمن بن غنم ولا يتصل إلا به.

* طريق آخرى فيها بعض المخالفة لسياق التي قبلها :

قال أحمد(٤): ثنا يعقوب - هو ابن إبراهيم بن سعد - ثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبان بن صالح ، عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن راية رجل من قومه ، كان خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس ، قال: لما اشتعل الوجد ، قام أبو عبيدة بن الجراح في الناس خطيباً فقال: أيها الناس ، إن هذا الوجد رحمة ربكم ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه منه . فطعن فمات ، فاستخلف معاذ بن جبل على الناس ، فقام خطيباً بعده ، وقال مثل ما قال ، لكن قال: أن يقسم لآل معاذ حظهم . فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته ، فكان يقول: ما أحب أن لي بها شيئاً من الدنيا . فلما مات قام عمرو بن العاص خطيباً فقال: أيها الناس ، إن هذا الوجد إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال . فقال أبو واثلة الهذلي : والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حماري هذا . فقال: والله ما أرد عليك ما تقول ، والله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا وارتفع الطاعون . قال: قبلُ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص ، فوالله ما كرهه.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/١١) ح ١٠٣٨٤ .

(٢) المعجم الكبير (١١٦/٢٠) .

(٣) ما بين القوسين سقط من الرباط .

(٤) المسند (١٩٦/١) .

وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة أبي واثلة ، وقال: لا أعرف أبا واثلة إلا في هذه القصة.

قلت: وشهر فيه مقال ، وقد يكون في الواسطة بينه وبين معاذ في هذا الحديث ، وشيخه غير مُسَمَّى ، وقد خالف في تسمية الذي رد على عمرو بن العاص ، وخالف أيضا في خروج عمرو بن العاص بالناس ، في الرواية المتقدمة الصحيحة أنه صدق شرحبيل بن حسنة ، وأن معاذ بن جبل قال كما قال شرحبيل ، كذا أبو عبيدة فإن كانت الرواية محفوظة احتمل أن يكون عمرو بن العاص خطب مرتين: مرة في أول الأمر فرد عليه (شرحبيل بن حسنة وغيره ، مرة في أواخر الأمر فرد عليه) (١) أبو واثلة ، وقد جاء أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة يأمره بالانتقال بالناس من الأرض التي كانوا بها إلى أرض أخرى ، وأن أبا عبيدة أطاعه في ذلك ، فطعن قبل أن يرحل ، ورحل الناس بعد أن مات ، فلعل عمرو بن العاص هو الذي رحل بهم.

فروى ابن إسحاق عن شعبة ، عن المختار بن عبد الله الجلي ، عن طارق بن شهاب قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده ، فلما جلسنا قال: لا تَحْفُوا (٢) ، (فقد مات) (٣) (إنسان) (٤) في الدار بهذا السُّقْم ، فلا عليكم أن تَنْزُهوا (٥) عن هذه القرية ، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزَّهها ، حتى يرتفع هذا البلاء (٦) ، فإنني سأخبركم بما يكره مما يتقى من (٧) ذلك ، أنه لو خرج لم يصبه ، فإذا لم يظن ذلك المرء المسلم فلا عليه أن يخرج يتنزَّه عنه.

إنني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجد وبلغ ذلك عمر ، كتب إلى أبي عبيدة يستخرجه منه: أن سلام عليك ، أما بعد ، فإنه

(١) ما بين القوسين ساقط من الدار.

(٢) لا تَحْفُوا: بحاء مهملة ساكنة ، ثم فاء ، أي: لا تطيلوا. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) ما بين القوسين سقط من الرباط.

(٤) في الرباط (اثنان).

(٥) أن تَنْزُهوا: أي: تبعدوا. (منه رحمه الله تعالى).

(٦) في الرباط (الوياء).

(٧) في الحرم (به من).

عرضت لي إليك حاجة ، إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلي . قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوياء ، فقال: يفر الله لأمير المؤمنين. ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين ، إنني قد عرفت حاجتك إلي ، وإنني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، ولست أريد فراقهم ، حتى يقضي الله فيهم أمره وقضاه ، فحللني^(١) من هزيمتك يا أمير المؤمنين ودعني وجندي. فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس: يا أمير المؤمنين ، أمأت أبو عبيدة؟ قال: لا . وكأن^(٢) قد ، قال: ثم كتب إليه: سلام عليكم ، أما بعد ، فإنك أنزلت الناس أرضا غميقة فارفعهم إلى أرض نزهة.

قال: فلما أتاه كتابه دعاني فقال: يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاني بما ترى ، فأخرج فارتد^(٣) للناس منزلا حتى انتقل بهم فرجعت إلى منزلي فإذا صاحبتي قد أصيبت ، فرجعت إليه فقلت له: قد كان في أهلي حدث. فأمر ببيعه فرحل له ، فلما وضع رجله في الفرس^(٤) طعن ، فقال: والله لقد أصبت. ثم صار حتى نزل الجابية ، ورفع البلاء عن الناس.

أخرجه ابن عساكر في ترجمة أبي موسى الأشعري من تاريخه ، وهذا حديث في إسناده من لا يعرف.

لكن جاء من وجه آخر عن أبي موسى لا بأس به ، أخرجه الهيثم بن كليب في مسنده ، والطحاوي في معاني الآثار جميعا من طريق شعبة ، وأخرجه البيهقي من طريق أيوب بن عائد ، كلاهما عن قيس بن مسلم: سمعت طارق بن شهاب قال: كنا نتحدث إلى أبي موسى الأشعري فقال لنا ذات يوم: لا عليكم (أن تحفوا)^(٥) مني ، إن هذا الطاعون قد وقع في أهلي ، فمن شاء منكم أن يبتزّه عنه فليبتزّه واحذروا اثنتين ؛ أن يقول قائل: خرج خارج فسلم ، وجلس جالس فأصيب ، لو كنت خرجت لسلمت كما سلم

(١) فَحَلَّلَنِي: بحاء مهملة ، فعل أمر من الحلّ بكسر أوله . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) وَكَأَنَّ: بهمزة مفتوحة بعدما نون ساكنة ، كلمة تقال لتقريب الشيء ، والمعنى: كأنك به قد وقع . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) فَارْتَدَّ: بسكون الراء وفتح المثناة ، فعل أمر من الارتداد ، وهو الاختيار . (منه رحمه الله تعالى).

(٤) الْفَرَسُ: بفتح المعجمة وسكون الراء ، بعدها زاي ، هو ركب الكور . (منه رحمه الله تعالى).

(٥) فِي الْحَرَمِ (لَا تَحْفُوا):

فلان. أو يقول قائل: لو كنت جلست أصبت كما أصيب فلان ، وإنني سأحدثكم بما ينبغي للناس في الطاعون.

إنني كنت مع أبي عبيدة ، وإن الطاعون وقع بالشام ، وإن عمر كتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا فإني أعزم عليك إن أتاك مصبحا لا تمسي حتى تتركب ، وإن أتاك ممسيا أن لا تصبح حتى تتركب إلى ، فقد عرضت لي إليك حاجة ، لا غنى بي عنك فيها. فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب قال: إن أمير المؤمنين يستبقي من ليس بباق. فكتب إليه أبو عبيدة: إنني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم ، وقد عرفت حاجة أمير المؤمنين ، فحللني من عزيمتك. فلما جاء عمر الكتاب بكى ، فقيل له: توفي أبو عبيدة؟ قال: لا ، وكأن قد - أي قرب ، وكتب إليه عمر: إن الأردن أرض غميقة (١) ، وإن الجابية أرض نزهة ، فانهض بالمسلمين إلى الجابية.

فقال لي أبو عبيدة: انطلق فبؤى للمسلمين (٢) منزلهم. فقلت: لا أستطيع. فذهب ليركب فقال لي: رحل الناس. قال: فأخذه أخذه (٣) فطعنه فمات ، وانكشف الطاعون. لفظ الطحاوي.

وفي رواية الهيثم: لا يقولون قائل إن هو جلس فعوفي الخارج: لو كنت خرجت لعوفيت كما عوفي فلان. ولا يقول الخارج إن هو عوفي وأصيب الذي جلس: لو كنت جلست أصبت كما أصيب فلان. وقال بعد قوله: فانهض بالمسلمين إلى الجابية: فقال أبو عبيدة حين قرأ الكتاب: أما هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه. فأمرني أن أبؤى الناس منازلهم ، فطعنت امرأتي ، فجنثت إلى أبي عبيدة فقلت: قد كان في أهلي بعض العرض. فانطلق هو يبؤى الناس منازلهم.

لفظ شعبية ، وهذا إسناد صحيح إلى أبي موسى.

وفي رواية أيوب بن عائذ ، عن قيس بن طارق: أتانا كتاب عمر لما وقع الوباء بالشام ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة: إنه قد عرضت لي إليك حاجة ... الحديث بمعناه.

(١) في تركيا والحرم والدار (غمقة).

(٢) في الحرم (للناس).

(٣) في الدار (أخذ).

وهذا الذي قاله أبو موسى موافق لما يفسر الآية: إن الله تعالى مقت الذين قالوا ذلك أي: لو أقمنا لمتنا ، ولو خرجنا لبقينا.

وحاصل القصة: أن أبا موسى حمل النهي عن الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون على من قصد الفرار منه ، من غير أن يضيفه إلى معنى آخر غير الفرار ، كما إذا كان الخارج عنها ممن لم يكن من أهلها ، فاستوخمها^(١) فخرج عنها إلى بلد أخرى توافق ما ألفه من بلدته التي نشأ بها ، وإلى ذلك يشير قول عمر في كتابه لأبي عبيدة: إنك أنزلت الناس أرضاً غميقة - وهي بغين معجمة مفتوحة ، وميم مكسورة ، وبعد التحتانية الساكنة قاف ، أي: قريبة من المياه والنزول ، والغمق: فساد الريح وخومها من كثرة الأنداء فيحدث منه الوباء - فإذن عمر في الخروج من تلك الأرض يلتحق بالتداوي ، وليس هو لمحض الفرار من الموت ، وعلى ذلك يحمل كتابه إلى أبي عبيدة يأمره بالرحيل إليه ، أو كان عمر يرى النهي عن الخروج أولاً محمولاً على ما إذا (كان)^(٢) بمحض الفرار ، أما إذا كان حاجة أخرى فلا يدخل تحت النهي ، وتكون عرضت له في نفس الأمر حاجة عند أبي عبيدة ، ورجا - مع ذلك - أن يسلم أبو عبيدة من ذلك المرض في ضمنها ، وقَهَمَ أبو عبيدة أن هذا الثاني هو مراده بالأصالة ، فلم يوافق على ذلك ، فعدل عمر إلى أمر يعم جميع من كان مع أبي عبيدة لما اعتذر له أبو عبيدة: أنه لا يرى أن يخص نفسه بأمر لغيره.

وقد اختلف العلماء في النهي عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون ، هل هو على ظاهره من التحريم ، أو هو للتنزيه؟ على قولين:

قال ابن عبد البر: الطاعون موت شامل ، لا يحل لأحد أن يفر من أرض نزل فيها إذا كان من ساكنيها ، ولا أن يقدم عليه إذا كان خارجاً عن الأرض التي نزل بها.

وقال تاج الدين السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون : مذهبنا وهو الذي عليه الأكثر ، أنه للتحريم . قال : وقال بعض العلماء : هو للتنزيه ، روي ذلك عن أبي موسى الأشعري ومسروق والأسود بن هلال . قال : واتفقوا على جواز الخروج لشغل عَرْضَ غير الفرار . قال : وليس محل النزاع فيمن خرج فاراً من قضاء الله تعالى ،

(١) فاستوخمها: استقلها ، ولم يوافق هواؤها بدنه.

(٢) غير موجودة في جميع النسخ ، وقد زدناها ليستقيم الكلام.

فذلك شيء لا سبيل إلى القول بلئه غير محرم ، بل الظاهر أن محل النزاع فيما إذا خرج للتداوي.

قلت: وهذا ليس بظاهر ؛ لأن الخروج إلى التداوي ليس حراما في مذهب الشافعي وجماعة ، وهو قد صحح أن الخروج حرام ، فكيف يجعل محله ما إذا خرج للتداوي ، والخروج للتداوي ليس بحراما بل العبارة الصحيحة أن يقول: محل النزاع فيما إذا خرج فارا من المرض الواقع ، مع اعتقاده أنه لو قدره الله عليه لأصابه ، وأن فراره منه لا ينجيه من قدر الله ، لكن يخرج مؤملا أن ينجو ، هذا الذي ينبغي أن يكون محل النزاع ؛ فمن منع احتج بالنهي الوارد عن ذلك ، ومن أجاز حمل النهي على التنزيه كما تقدم. وقد ترجم ابن خزيمة في صحيحه بأن الفرار من الطاعون من الكبائر ، وأن الله يعاقب من وقع منه ذلك مالم يعف عنه ، واستدل بحديث عائشة في ذلك ، وأشار إلى أن الخلاف في نفس الفرار ، وهو الذي تقتضيه الأخبار التي تقدم ذكرها عن عمرو وغيره ، والله أعلم.

وأما ما نسبه إلى أبي موسى الأشعري فقد بينت مذهبه في ذلك. وقد أخرج ابن أبي الدنيا عنه بسند صحيح ما يقتضي منع الفرار منه ، فروى من طريق مسعر ، عن زياد بن علاقة ، عن كريبوس ، عن المغيرة بن شعبه: أن الطاعون لما وقع ، قال المغيرة بن شعبه: إن هذا العذاب قد وقع فأخرجوا عنه. قال: فذكرته لأبي موسى فقال: لكن العبد الصالح أبو بكر - يعني الصديق - قال: اللهم طعنا وطاعونا في مرضاتك.

(ووقع لي هذا الأثر عاليا في الجزء الأول من فوائد أبي عمرو بن السماك قال: حدثنا الحسن بن سلام ، ثنا علي بن قادم ، أنا مسعر ، فذكره بلفظ: عن المغيرة أنه قال: اللهم ارفع عنا هذا الرجز - يعني الطاعون - فقال أبو موسى: أما أنا فلا أقول هكذا ، أقول كما قال العبد الصالح أبو بكر الصديق فذكر مثله. قرأته على الشيخ أبي إسحاق التتوخي ، وأجازنا به أبو هريرة بن الذهب ، كلاهما عن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم. قال أبو هريرة : حضورا . أنا سالم بن الحسن ، أنا نصر الله بن عبد الرحمن ، أنا أبو علي بن شهاب ، أنا أبو علي بن شاذان ، أنا أبو عمرو بن السماك فذكره.)^(١)

(١) ما بين القوسين زيادة من الرباط وتيمود .

وهذا يجمع بينه وبين ما تقدم ، بلته كان يمنع من الخروج إذا كان فرارا محضا ، لا إذا كان على وجه التداوي.

وقد فاته ذكر المغيرة بن شعبة الذي قدمناه ، وكذا ذكر عمرو بن العاص ، وعمرو بن عبسة والجماعة الذين خالفوا معاذا وشرحبيل بن حسنة وغيرهما في الصبر والإقامة كما تقدم قريبا.

وقد نقل أبو الحسن المدائني أنه قال: ما فر أحد من الطاعون فسلم ، قال القاضي تاج الدين: وهذا الذي حكاه مجرب ، وليس بعيدا أن يجعل الله الفرار منه سببا لقصر العمر ، وقد جاء في الكتاب العزيز ما يؤخذ منه أن الفرار من الجهاد سبب في قصر العمر ، قال تعالى: ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا ﴾ (١) ، وحكى أن والده استنبط ذلك من الآية ، قال: ويحتمل أن يراد أن بقاهم وإن طال بعد الفرار فتمتعهم في الدنيا قليل بالنسبة إلى الدار الآخرة.

وقال ابن عبد البر: لم يبلغني أن أحدا من أهل العلم فر من الطاعون إلا ما ذكر المدائني أن علي بن زيد بن جدعان هرب من الطاعون إلى السيالة - يعني من البصرة - فكان يجمع كل جمعة ويرجع ، فكان إذا جمع صاحوا به : فر من الطاعون. فطعن لغات بالسيالة.

قلت: السيالة مكان خارج البصرة ، وهذا الحصر الذي ذكره ابن عبد البر عجيب ؛ فقد نقل عياض في شرح مسلم عن مسروق والأسود بن هلال أنهما أجازاه ، لكن يحتمل إن ثبت عنهما أن يكونا أفتيا بجوازه لكن لم يفعلاه. وذكر المدائني أيضا أن الطاعون وقع بمصر فخرج عبد العزيز بن مروان - وهو أميرها - فنزل قرية من قرى الصعيد فنزلها ، فقدم عليه بها رسول من أخيه عبد الملك فقال له: ما اسمك؟ فقال: طالب بن مدرك. فقال عبد العزيز: أوه (٢) ما أراني راجعا إلى الفسطاط ، (فمات في تلك القرية) (٣).

* * *

(١) سورة الأحزاب : ١٦.

(٢) أوه : بكسر الهاء الخفيفة وفتحها ، كلمة معناها التَّحَرُّن.

(٣) ما بين القوسين زيادة من تيمور.

ذكر حجة من قال النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون لقصد الفرار منه حرام

قد تقدمت الأحاديث بالنهي عن الخروج مطلقاً ، وفي بعض طرقها التقييد بالفرار ، فيحمل مطلقها على مقيدها ، وظاهر النهي التحريم .

ويؤويه ما أخرجه أحمد (١) قال : ثنا يحيى بن إسحاق ، أخبرني جعفر بن كيسان ، حدثني معاذة ، سمعت عائشة تقول : قال رسول الله ﷺ : "فناء أمتي بالطعن والطاعون" . قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون ؟ قال : "غدة كغدة الإبل ، المقيم فيها كالشهيد ، والفارُّ منها كالْفَارُّ من الزحف" .

وأخرجه أيضاً (٢) عن يزيد بن هارون ، عن جعفر ولفظه : دخلت على عائشة فقالت : قال رسول الله ﷺ : " لا تقنئ أمتي إلا بالطعن والطاعون" . الحديث .

وأخرجه أيضاً (٣) عن عفان ، عن جعفر ، عن معاذة نحوه .

وأخرجه (٤) عن يحيى بن إسحاق ، عن جعفر المذكور ، عن عمرة بنت قيس ، سمعت عائشة تقول : (قال رسول الله ﷺ) (٥) : "الفار من الطاعون كالْفَارُّ من الزحف" .

كذا أورده مختصراً ، فإن كان محفوظاً فقد حمله جعفر عن معاذة وعمرة معاً .

وقد أخرجه ابن خزيمة من طريق أمية بن خالد ، عن جعفر بن كيسان بالإستادين معاً ، قال : عن عمرة العدوية أنها دخلت مع أمها على عائشة فسألتها : ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الفرار من الطاعون ؟ قالت سمعته يقول : ... فذكر مثل رواية يحيى بن إسحاق سواء .

(١) المسند (٦/٢٥٥) .

(٢) المسند (٦/١٤٥) .

(٣) المسند (٦/١٣٣) .

(٤) المسند (٦/٨٢) .

(٥) ما بين القوسين زيادة من المسند .

ثم ساقه من طريق أمية بن خالد ، ثنا جعفر بن كيسان ، سمعت معاذاً تحدث عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "تفنى أمتي (الطاعون) (١)". قالوا: وما الطاعون؟ قال: "غدة كغدة الإبل". مختصراً.

وأخرجه أيضاً من طريق أبي عامر العقدي ، ثنا أبو معروف ، حدثنا عمرة بنت قيس: سألت عائشة عن الفرار من الطاعون ، فقالت: قال رسول الله ﷺ: "الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف".

وقال: أبو معروف هذا هو جعفر بن كيسان فيما أحسب.

قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق حوثة (٢) بن أشروس (٣) ، (ثنا جعفر بن كيسان - أبو معروف بصري - عن عمرة بنت أرطاة العدوية بصرية) (٤) عن عائشة: ... فذكر مثل سياق يزيد بن هارون سواء ، وقال: لم يروه عن عمرة إلا جعفر.

والذي يظهر أن جعفر بن كيسان سمعه من معاذاً ، ومن عمرة وهي بنت قيس بن أرطاة ، نسبت في رواية حوثة إلى جدها ؛ فإن سياقه عنها مختلف ، والله أعلم. وله طريق أخرى عن عائشة أخرجها أبو يعلى (٥) من طريق معتمر بن سليمان ، قال: سمعت ليثاً - هو ابن أبي سليمان - يحدث عن صاحب له ، عن عطاء ، قال: قالت عائشة: وذكر الطاعون فذكرت أن النبي ﷺ قال: "وخز يصيب أمتي من أعدائهم من الجن ، غدة كغدة الإبل ، من أقام عليه كان مرابطاً ، ومن أصيب به كان شهيداً ، ومن فر منه كان كالفار من الزحف".

وهذا الطريق ضعيف لضعف ليث ، وجهالة شيخه.

وقد أخرجه البزار (٦) من طريق حفص بن سليمان ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عائشة

(١) في الحرم (بالطعن والطاعون).

(٢) حوثة: بفتح المهملة وسكون الواو ، ويمدها مثثة. (منه رحمه الله تعالى).

(٣) أشروس: بشين معجمة ثم سين مهملة ، بوزن أحمر. (منه رحمه الله تعالى).

(٤) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

(٥) مسند أبي يعلى (١٢٥/٨).

(٦) البزار كشف الاستار: (٣٩٦/٣).

مختصرا ، بإسقاط المجهول بين ليث وعطاء ، واللفظه: قلت يا رسول الله ، هذا الطعن قد عرفناه ، فما الطاعون؟ قال: 'شبه الدم ، يخرج في الأباط والمراق ، وفيه تزكية أعمالهم ، وهو لكل مسلم شهادة'. قال البزار: لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد.

قلت: وهو إسناد ضعيف ، فيه ثلاث علل: ضعف حفص ، وشيخه ، وإسقاط الواسطة المجهول بين ليث وعطاء ، وقد أدخل بعضهم فيه بين عطاء وعائشة واسطة أيضا.

أخرجه الطبراني في الأوسط ، وأبو أحمد بن عدي في الكامل ، وابن أبي الدنيا في كتاب الطواعين ، وأبو عمر بن عبد البر في التمهيد مطولا بطرق إلى علي بن مسهر قال: أنا يوسف بن ميمون ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: 'الطاعون شهادة لأمتي ، ووخذ أعدائكم من الجن ، يخرج في أباط الرجال ومراقها ، الفار منه كالفار من الزحف ، والصابر فيه كالمجاهد في سبيل الله'.

قال الطبراني : لا يروى عن ابن عمر ، عن عائشة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به يوسف بن ميمون. وكذا قال الدارقطني في الأفراد أن يوسف بن ميمون تفرد به ، ومرادهم أنه تفرد بإدخال ابن عمر بين عطاء وعائشة ، وأما نفس المتن فنثابت عن عائشة وغيرها من الأوجه التي تقدم ذكرها.

والمقصود هنا شاهد من حديث جابر.

قال أحمد (١): ثنا أبو عبد الرحمن - هو عبد الله بن يزيد المقرئ - ثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني عمرو بن جابر الحضرمي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ: 'الفار من الطاعون ، كالفار من الزحف ، والصابر فيه كالصابر في الزحف'.

قرأته عاليا على إبراهيم بن محمد المؤذن بمكة ، أن أحمد بن أبي طالب أخبرهم ، أنا أبو المنجا ، أنا أبو الوقت ، أنا أبو الحسن بن داود ، أنا أبو محمد بن أعين ، أنا

(١) المسند (٣/٢٢٤).

إبراهيم بن خزيم ، أنا عبد بن حميد ، ثنا عبد الله بن يزيد ، ثنا سعيد ، عن عمرو بن جابر الحضرمي ، عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : ... فذكر مثله .

وأخرجه ابن خزيمة وأحمد أيضا من طرق عن أبي زرعة عمرو بن جابر الحضرمي المصري وحديثه صالح في الشواهد ، وإن كان بعضهم قد ضعفه .

ذكر سواعظ قد وقعت لمن فر من الطاعون فاتعظ بها واقام

روى سيف في الفتوح ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبي سعيد قال : أصاب أهل البصرة موت ذريع ، فأمر رجل من بني تميم غلاما له أن يحمل ابنا صغيرا ليس له ولد غيره ، على حمار ثم يسوق به إلى مكان ذكره حتى يلحقه ، فخرج الغلام بالولد في آخر الليل ، ثم أتبعه مولاة ، فلما أشرف على المكان ، سمع الغلام وقد رفع عقيرته وهو يقول : لن تعجز الله على حمار ، ولا على ذي منعة مطار ، قد يصبح الله أمام الساري . قال : فلما انتهى إلى الغلام قال : ما كنت تقول ؟ قال : لم أقل شيئا ، فعرف أنه قد أسمع ، فأمره أن يرجع فرجع .

ونقله ابن أبي الدنيا عن الأصمعي قال : خرج رجل فذكر نحوه ، وزاد : أو يأتي الحنف على مقدار .

وفي شرح الموطأ للتمساني من طريق أبي التياح : قلت لمطرف بن عبد الله بن الشخير : ما تقول في الفرار من الطاعون؟ قال : هو قدر الله ، تخافونه ، وليس منه مفر .

وقال أبو بكر الرازي في الأحكام : إذا كانت الأجال مقدرة محصورة ، لا تقديم فيها ولا تأخير عما قدره الله تعالى ، فالفرار من الطاعون عدول عن مقتضى ذلك ، وكذلك العمل بالطيرة ، والزجر والنجوم ، كل ذلك فرارا من قدر الله الذي لا محيص لأحد عنه .

وذكر أبو نعيم في الحلية (١) عن شريح : أنه كتب إلى أخ له قد فر من الطاعون : أما بعد ، فإنك والمكان الذي أنت فيه بعين (من لا يعجزه ولا يفوته من هرب) (٢) ، والمكان

(١) حلية الأولياء (٤/١٣٦) .

(٢) ما بين القوسين جاء في الحلية بلفظ : (من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب) .

الذي خلخته لا يجعل لامرئ حمامه ، ولا يظلمه أيامه ، وإنك وإياهم لعلى بساط واحد ، وإن المنتجع من ذي قدرة (لغير ثبت). (١)

وسياتي في الباب الخامس كلام من أنكر من الصحابة على من فر من الطاعون وبالج في ذلك.

ذكر ما اعتل به من أجاز الفرار والجواب عن شبهته

احتجوا بأمور :

الامر الأول :

قال الطحاوي بعد أن أورد حديث: " لا يورد ممرض على مصح" (٢) ، من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا ، قال: فذهب قوم إلى هذا ، وقالوا: إنما كره ذلك مخافة الإعداء ، وأمروا باجتتاب ذي الداء والفرار منه ، واحتجوا برجوع عمر عن سرخ بسبب الطاعون. ثم ساق الحديث في ذلك. قال: فقالوا: قد أمرنا في هذه الآثار أن لا نقدم على الطاعون ، وذلك للخوف منه خشية أن يُعدى من دخل عليه.

ثم ردَّ عليهم بأن الأمر بترك القنوم عليه لو كان للخوف منه لجاز لأهل الموضع الذي وقع فيه أيضا الخروج منه للعة المذكورة ، فلما منع أهل الموضع الذي وقع فيه الطاعون من الخروج ، ثبت أن المعنى الذي من أجله منعوا من القنوم عليه غير المعنى الذي ذكروا.

وهو عندنا والله أعلم: على أن لا يقدم عليه رجل فيصيبه بتقدير الله عليه فيقول: لولا أنني قدمت هذه الأرض لما أصابني. ولعله لو أقام في الموضع الذي كان فيه لأصابه ، فأمر أن لا يقدم عليها حسما للمادة ، ولذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي نزل بها لنلا يسلم فيقول: لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها. ولعله لو كان أقام بها ما أصابه من ذلك شيء ، فأمر بترك القنوم على الطاعون للمعنى الذي وصفنا.

قلت: وهذا الذي ذكره الطحاوي بين في كلام أبي موسى كما تقدم ، لكن المانع عم

(١) في الحلية (لقريب).

(٢) البخاري (٢٤١/١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٣ - باب لا هامة.

ومسلم (١٧٤٣/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة ... إلخ.

النهي لمن اعتقد ذلك ولمن لم يعتقد حسماً للمادة ، والمجيز نظر إلى المعنى الذي منع الخروج من أجله ، فخص المنع به ، والأول أسعد بالعمل بالحديث.

والذي يظهر لي أن صنيع عمر برجوعه من قبل أن يدخل البلد الذي وقع فيه الطاعون ليس من الفرار في شيء^(١) ، وإنما هو بمنزلة من قصد دخول دار فرأى فيها حريقاً تعذر طفوه ، فعدل عن دخولها لتلا يصيبه ، فهو من باب اجتناب المهلك ، وهو مأمور به ، هذا الذي يظهر أنه جنح إليه عمر ومن وافقه قبل أن يبلغهم الحديث المرفوع ، فلما بلغهم جاء مطابقاً لما اختاره ، فلأجل ذلك قال من قال : إنما رجع لأجل حديث عبد الرحمن ، لا لأجل ما اقتضاه نظره ، والحق أنه هم أن يرجع ، فلما بلغه الخبر استمر عزمه كما تقدم تقريره ، وأما الذين خالفوا رأي عمر في ذلك قبل أن يبلغهم الخبر ، فسلكوا^(٢) سبيل التوكل المحض مع قطع النظر عن الأسباب ، وهو مقام شريف يناسب مرتبة خيار الصحابة ، ولهذا كان الكثير من المهاجرين والأنصار على هذا الرأي ، ولم يجنح إليه أحد من مشايخ قريش ، وإنما وافقهم عمر وإن كان من كبار المهاجرين ؛ لأنه غلب عليه النظر في مصالح المسلمين ، وذلك لا يتم إلا بالنظر في الأسباب والعمل بالراجح منها ، مع اعتقاده أن الأمور كلها بتقدير الله ، وقد ورد في ذلك حديث : "اعقلها وتوكل". أخرجه الترمذي^(٣) وغيره. ثم ساق الطحاوي من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال عمر : اللهم إن الناس نَحْلُونِي^(٤) ثلاث خصال ، وأنا أبرأ إليك منهن : زعموا أنني فررت من الطاعون ، وأنا أبرأ إليك من ذلك. وذكر الطلاء والمكس . وسنده صحيح ، قال : فدل على أن رجوعه كان لغير الفرار ، وكذا كتابه إلى أبي عبيدة فيما أمره به من خروجه هو ومن معه من الجند ، إنما هو بمعنى التداوي بالانتقال من أرض وخمة إلى أرض صحيحة.

ثم ساق قصة العرنينين^(٥) وقال : كان خروجهم من المدينة للعلاج لا للفرار ، وهو واضح من سياق قصتهم. انتهى ملخصاً.

(١) في الرباط (شيء منه).

(٢) الترمذي (٦٦٨/٤) - ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، ٦٠ - باب حدثنا عمرو بن علي.

(٤) نَحْلُونِي : أي : نسبوا إليّ.

(٥) العرنينين : نسبة إلى عرينة ، بعين مهملة وراء ونون ، مصفّر ، وحذفت ياء التصغير في النسب. (منه رحمه الله تعالى).

- وقد سبق تخريج حديثهم من ٥٠ .

وكذلك يحمل ماورد عن عمر أنه ندم على رجوعه من سرخ ، وهو فيما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١) : حدثنا محمد بن بشر . وقال إسحاق في مسنده : أنا أبو عامر العقدي . قالوا : أنا هشام بن سعد ، حدثني عروة بن رويم ، عن القاسم ، عن عبد الله بن عمر قال : جئتُ عمر حين قدم الشام فوجدته قائلاً (٢) في خبائه (٣) ، فانتظرتُه في فيء (٤) الخباء ، فسمعتُه يقول حين تَضَوَّرُ (٥) من نومه : اللهم اغفر لي رجوعي من سرخ . وسنده حسن.

وقال الزركشي في الجزء الذي جمعه في الطاعون ، تبعاً لتاج الدين السبكي ، نقلًا عن القرطبي في المفهم : لا يصح ندم عمر على رجوعه ، وكيف يندم على فعل ما أمر به النبي ﷺ ويرجع عنه ويستغفر منه !

قلت : أقر التاج هذا ، وأما الزركشي فردّه وقال : هذا إسناد صحيح . قلت : وإني لأتعجب من القرطبي كيف يرد الأخبار القوية بمثل هذا مع إمكان الجمع .

ثم قال الزركشي : يحتمل أن يكون ندمه مخافة أن يكون فاراً من القدر ، ورأى أن النهي عن القنوم عليه رخصة ، فقد حكى البغوي في شرح السنة عن قوم أن النهي عن الفرار من الطاعون على التحريم ، والنهي عن القنوم عليه على التنزيه ، فيكون القنوم عليه رخصة لمن غلب عليه التوكل ، والانصراف عنه رخصة لمن انصرف . انتهى .

وليس في كلام عمر ما يخص الأمر فيما ذكره ، بل يحتمل أن يكون ندمه واستغفاره لأنه خرج لأمر مهم من أمور المسلمين ، فوصل إلى قرب البلد الذي كانت حاجته فيه ، ثم رجع من ثم إلى المدينة للحديث الذي سمعه في النهي عن القنوم عليه ، وكان يمكنه أن لا يفعل واحداً من الأمرين ، وهو أن لا يقدم على البلد الذي فيه الطاعون امتثالاً للحديث ، ولا يرجع إلى المدينة من غير قضاء الحاجة التي خرج لها ، بل كان يمكنه أمر ثالث ، وهو : أن يقيم بالقرب من البلد المذكورة إلى أن يرتفع الطاعون فيدخل إلى قضاء مأربه ،

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٤١/١٣) ح ١٥٦٩٥ .

(٢) قائلاً : من القيلولة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٣) في خبائه : بقاء معجزة ثم موحدة ، أي : خيمته . (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) فيء : الفيء : الظل . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) تَضَوَّرَ : بضاد معجمة ، أي : قلق . (منه رحمه الله تعالى) .

ولا سيما والواقع أن الطاعون وقع ارتفاعه بعد رجوعه بزمان يسير كما تقدم ، وهو قدر مسافة الطريق في كتابه إلى أبي عبيدة وجواب أبي عبيدة ، ثم كتابه إليه ثانيا يأمره بأن يتحول بالجند فامتثل أمره ، وشرع في التحول وارتفع الطاعون ، فلعله رأى أنه لو انتظر إلى أن يرتفع كان أولى من رجوعه ، لما كان في رجوعه بالمسكر الذي كان صحت من المشقة عليه وعليهم ، والخبر لم يرد بالأمر بالرجوع ، وإنما ورد النهي عن القوم أو الإقدام ، على ما جاء في لفظ الخبر من أنه: لا تَقْدُمُوا ، أو لا تَقْدِمُوا ، ثلاثيا أو رباعيا ، فاحتمل أن ندمه إنما كان على ذلك. وقد قال القاضي عياض لما ذكر اختلاف الصحابة من المهاجرين والأنصار في الرجوع: حجة كل من الطائفتين بينة ، لأنها مبنية على أصلين من أصول الشريعة:

الأول : التوكل والتسليم للقضاء والقدر.

والثاني : الحيطة والحذر بتوك الإلقاء إلى التهلكة.

وهما فرعان متشعبان من أصل قاعدة القدر.

وقد قيل: إن رجوع عمر إنما كان للحديث : لأنه لم يكن ليرجع إلى رأي نون رأي بغير حجة مُرَجَّحة ، وهذا قد قدمته قبل هذا.

نعم ، قد ورد عن غير عمر التصريح بالعمل بمحض التوكل ، فأخرج ابن خزيمة بسند صحيح إلى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن الزبير بن العوام خرج غازيا نحو مصر ، فكتب إليه أمراء مصر أن الأرض قد وقع بها الطاعون فلا تدخلها . فقال الزبير : إنما خرجت للطعن والطاعون . فدخلها ، فلقى طعنا في جبهته فأفرق . وسنده صحيح على شرط البخاري .

وقوله : فأفرق : أي أفاق من مرضه . ذكره أبو موسى المدني في ذيل الغربيين له ، وقال أبو مجلز^(١) التابعي المشهور : لما وقع الطاعون بالبصرة وارتفع ، عنوا من أفرق منه ، فكانت جملتهم كذا . قال أبو موسى : أي برأ من الطاعون . قال : ويقال : إن ذلك إنما يقال لمن برئ من علة لا تصيب الإنسان غالبا إلا مرة واحدة كالجدري ، والله أعلم .

(١) مجلز: بكسر الميم وسكون الجيم بعدها زاي. (منه رحمه الله تعالى).

قلت: أثر أبي مجلز المذكور أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من طريق عمران بن جرير قال: كان أبو مجلز يقول: لا يُحدِّثُ المريض إلا بما يعجبه. فإنه كان يأتيني وأنا مطعون فيقول: عدوا اليوم في الحي كذا وكذا ممن أفرق وَعَوَّك فيهم. قال: فأفرح بذلك. سنده صحيح.

تنبيه:

قد يعارض هذا الخبر^(١) عن الزبير ما أخرجه البيهقي بسند حسن أيضا عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أقبلت إلى الزبير يوما وأنا غلام، و عنده رجل أبرص، فأردت أن أمسه، فأشار إلي الزبير، فأمرني أن أنصرف كراهة أن أمسه.

قلت: ولا معارضة بينهما على ما تقدم، بل إقدام الزبير من قوة إيمانه وشدة يقينه، ومنعه ابنه الصغير من مس الأبرص خشية أن يقدر الله عليه أن يصيبه ذلك، فيظن - لعدم توسعه في العلم - أنه من المس، فيعتقد العدوى المنهي عن اعتقادها، وسيأتي بسط ذلك في الأمر الثالث.

الأمر الثاني:

قال القاضي تاج الدين السبكي: احتجوا أيضا بالقياس على الفرار من الأسد، والعدو الذي لا يقدر على دفعه؛ فإن الكفار وقطاع الطريق إذا قصدوا من لا طاقة له^(٢) بهم جاز التنحي من بين أيديهم، ونقل فيه أبو الحسن الكياهراس من الشافعية الاتفاق فقال: لا نعلم خلافا في الجواز، وإن كانت الأجال لا تزيد ولا تنقص.

والجواب: أن القياس على الفرار من الأسد والعدو ضعيف؛ فإن السلامة منهما نادرة والهلاك معهما كالمتيقن، فصار كاللقاء الإنسان نفسه في النار، بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به الطاعون، فإن السلامة منه كثيرة، وإن لم تكن غالبية.

قلت: وعلى تقدير تسليم القياس المذكور فهو قياس مع وجود الفارق؛ فإن مسالة الوقوف للأسد إلى أن يفترسه داخلة في النهي عن الإلقاء إلى الهلاك، ومسالة الفرار جاء النهي الصريح عنها، فكيف يستويان!

(١) في الحرم (الأثر).

(٢) في الحرم (لهم).

القياس على الخروج من الأرض المستوخمة كقصة العرنين .

والجواب: أن ذلك من باب التداوي ، وترك ما لا يوافق المريض من الأغذية ، إذ لا فرق بين الأغذية والأهوية في تأثير المرض ، فكان الخروج من الأرض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوي.

قال القاضي تاج الدين: وعندي في هذا الجواب نظر.

قلت: كأن وجهه: أن لقائل أن يقول: إن الطاعون أيضا ينشأ من فساد الأهوية ، فالخروج من البلد التي يقع بها ينبغي أن يكون جائزا مطلقا كما جاز للعرنين ، وهذا لا يتمشى على ما تقدم تحقيقه أن الطاعون من طعن الجن.

والحق: أن خروج العرنين لم يكن لقصد الفرار أصلا ، وإنما كان لمحض التداوي - كما تقدم عن الطحاوي - وكان خروجهم من ضرورة الواقع ؛ لأن الإبل ما كان يتهدأ إقامتها في البلد ، وإنما كانت في مراعيها ، وبوازم كان بأبوالها وألبانها واستنشاق تلك الروائح ، فكان الخروج عن البلد ضمينا لأمر محقق الوجود ، بخلاف الخروج من البلد التي يقع فيه الطاعون إلى بلد آخر ؛ فإنه خروج إليه بالقصد لأمر معلنون ؛ إذ لا يؤمن وقوع الطاعون في البلد الآخر ، ويؤيد الفرق أيضا أن من جملة أصول التداوي الرجوع إلى المألوف والعادة ، وكان القوم أهل بادية وريف ، كما وقع صريحا في بعض طرق خبرهم ، فلم يوافق بلد الحضرة أمزجتهم ، فأرشدهم الشارع إلى التداوي بما ألفوه من الكون في البدو ، ومن هنا يؤخذ توجيه أمر عمر أبا عبيدة بالانتقال بجنده إلى مكان آخر أوفق لامزجتهم من المكان الذي كان نزل به أولا.

ويدخل في هذا ما أخرجه أبو داود والحاكم (١) من حديث فروة بن مسيِّك (٢) قال: قلت:

(١) أبو داود (١٩٠/٤) كتاب الطب ، باب في الطيرة . وأحمد في المسند (٤٥١/٣) .
ولقد بحثت عنه في المستدرک كثيرا فلم أجده ، ومما يؤكد أن الحديث لم يروه الحاكم أن الحافظ في الفتح (١٨٩/١٠) ذكر الحديث وعزاه إلى أبي داود وحده .
(٢) فروة: بفتح الفاء ، ابن مسيِّك: بمهملة وكاف ، مصفّر: (منه رحمه الله تعالى).

يارسول الله ، إن أرضنا عندنا يقال لها أرض أمين (١) ، وهي أرض ريفنا وميرتنا (٢) وهي وينة - أو قال : وبأؤها شديد - قال : "دعها عنك فإن من القرف التلف" .

قال ابن قتيبة: القرف: مدانة الهواء. وقال الخطابي: ليس هذا من باب العدوى ، وإنما هو من باب التدوي ؛ فإن استصلاح الأهوية من أهود الأشياء على البدن بالصحة ، وفسادها من أضرها وأسرعها إلى سقمه عند الأطباء ، فكل ذلك بإذن الله ومشيتته سبحانه وتعالى.

الأمر الرابع :

قال الزركشي: احتجوا أيضا بالقياس على الفرار من المجنوم. يعني ما أخرجه البخاري (٣) من طريق سعيد بن ميناء قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى (٤) ، ولا طيرة (٥) ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفر من المجنوم كما تفر من الأسد".

وفي صحيح مسلم (٦) من طريق عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجنوم ، فأرسل إليه النبي ﷺ: "إننا قد بايعناك فارجع".

وفي سنن أبي داود (٧) من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال: "لا تديموا النظر

(١) أبين: بموحدة ، بوذن أحمر. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) وميرتنا: بكسر الميم ، والميرة: الطعام.

(٣) البخاري (١٥٨/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ١٩ - باب الجذام.

(٤) لا عدوى : بفتح العين المهملة ، مقصور ، كانت العرب تعتقد أن المرض يعدي وينقل إلى الصحيح ، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ، وأبطل العدوى فقال: "لا يعدي شيء شينا". (منه رحمه الله تعالى).

(٥) ولا طيرة: بكسر الطاء المهملة وفتح التحتانية ، مأخوذة مما كانوا يعتادونه في الطير البارح والسائح من التشاؤم والقيام ، وكان الواحد منهم إذا خرج فرأى الطير ذاهبا من جهة اليمين تيمّن به واعتقد نجح حاجته وبالعكس ، ثم توسعوا في ذلك حتى كانوا يهيجونه على الطيران لذلك ، فأبطل ذلك الإسلام. (منه رحمه الله تعالى).

(٦) مسلم (١٧٥٢/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٦ - باب اجتناب المجنوم ونحوه.

(٧) لم أجد هذا الحديث في سنن أبي داود مع كثرة البحث والتحري ، ولعله سبق قلم ، وذلك لأن الحافظ نفسه ذكر الحديث في الفتح (١٥٩/١٠) وقال: وقد أخرجه ابن ماجة بسند ضعيف. سنن ابن ماجة (١١٧٢/٢) ٣١ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الجذام.

إلى المجنومين" وصححه ابن خزيمة.

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: قاله ابن الصلاح تبعاً لغيره جامعاً بين ما ظاهره التعارض ، من حديث أبي هريرة ، وهو حديثه: "لا يورد ممرض على مصح" (١) ، وحديثه: "فر من المجنوم فرارك من الأسد" (٢) ، مع حديث: "لا عدوى" (٣) ، قال: وجه الجمع بينهما أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها ، ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سبباً لإعدائه مرضه ، ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب ، ففي حديث "لا عدوى" نفي ما كان يعتقدُه أهل الجاهلية من أن ذلك يعدي بطبعه ، ولهذا قال: "فمن أعدى الأول ؟" ، وفي الثاني أعلم بأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً لذلك ، وحذر من الضرر الذي يغلب وجوده عند وجوده بفعل الله سبحانه. انتهى كلامه.

وأقره مشايخنا في مختصراتهم ، لكن قال البلقيني منهم: العبارة الصحيحة أن يقول بدل قوله "جعل": "قد يجعل". انتهى.

وهو احتراز حسن لئلا يتخيل أن ذلك يقع دائما أو غالبا ، والواقع أنه ربما يتخلف.

والأصل فيه قول الشافعي ، قال البيهقي في المعرفة في كتاب النكاح عند ذكر العيوب: أخبرنا أبو سعيد الصيرفي ، ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا الربيع بن سليمان قال : قال الشافعي : الجذام والبرص فيما يزعم أهل العلم بالطب والتجارب يعدي الزوج كثيرا ، وهو داء مانع للجماع ، لا تكاد نفس أحدٍ أن تطيب بمجامعة مَنْ هو بها ، ولا نفس امرأة أن يجامعها مَنْ هو به ، وأما الولد ففُتِيْن - والله أعلم - أنه إذا ولد أجدم أو أبرص ، أو جذماء أو برصاء ، قُلْ مَا سَلِمَ ، وإن سلم أدرك نسله ، ونسأل الله العافية.

(١) سبق تخريجه ص ١٧٤.

- ممرض على مصح: الممرض: بضم أوله ، الذي له إيل مرضى ، والمصح: الذي له إيل مسحاح. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٠.

(٣) البخاري (١٥٨/١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ١٩ - باب الجذام.

ومسلم (١٧٤٢/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٣ - باب لا عدوى ولا طيرة ... إلخ.

قال البيهقي: قد ثبت من النبي ﷺ أنه قال: "لا عدوى" ولكنه أراد به على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية ، من إضافة الفعل إلى غير الله ، وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سببا لحوث ذلك ، ولهذا قال ﷺ: "لا يورد ممرض على مصح". وقال في الطاعون: "من سمع به بأرض فلا يقدم عليه". وغير ذلك مما في معناه ، وكل ذلك بتقدير الله تعالى. انتهى كلامه.

والذي يظهر لي أن الشافعي ما روى حديث نفي العدوى الذي سيأتي بيانه ، ولهذا اعتمد في ذلك على قول الأطباء وأهل التجربة من غير أن يعرج على تأويل الحديث.

وقد أورد ابن خزيمة في كتاب التوكل حديث "لا عدوى" من حديث أبي هريرة وابن عمر ، وأخرجه أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص ، وحديث "لا يورد ممرض على مصح" من حديث أبي هريرة ، وترجم على الأول: التوكل على الله في نفي العدوى ، وعلى الثاني : ذكر خبر غلط في معناه بعض العلماء فأثبت العدوى التي نفاها النبي ﷺ.

ثم ترجم: الدليل على أن النبي ﷺ لم يثبت العدوى بهذا القول ، ثم ساق حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لا عدوى ولا هامة ولا صفر". فقال أعرابي: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيخالطهم البعير الأجرى فيجر بها؟ فقال النبي ﷺ: "فمن أعدى الأول؟".

وقد أخرجه البخاري ومسلم (١) من هذا الوجه.

ومن طريق أبي زرعة (٢) عن أبي هريرة قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، النُّقْبَةُ (٣) تكون بمشفر البعير ، فتشمل الإبل كلها جريا. قال: فقال رسول الله ﷺ: "فمن أعدى الأول؟".

(١) البخاري (١٧١/١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٥ - باب لا صفر.

مسلم (١٧٤٢/٤) - ٣٩ - كتاب السلام ، ٣٢ - باب لا عدوى ولا طيرة ... إلخ.

(٢) أحمد في مسنده (٣٢٧/٢).

(٣) النُّقْبَةُ: بضم النون وسكون القاف بعدها موحدة ، أول شيء يظهر من الجرب ، وجمعها نُقَبٌ ، بضم أوله وسكون ثانيه ، قيل لها ذلك ؛ لأنها تنقب الجلد. (منه رحمه الله تعالى).

وحدّث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "لا يعدي شيء شيئا". فقال أعرابي :
يا رسول الله ، إنها تكون النقبة من الجرب بمشفر البعير - أو في ذنبه - فتكون في
الإبل العظيمة فتجرب كلها. فقال رسول الله ﷺ: "لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، خلق
الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصيبتها". (١)

ثم ترجم: ذكر خير روي عن النبي ﷺ في الأمر بالفرار من المجنوم أنا خائف أن
يخطر ببال بعض الناس أنه أثبت العدوى وليس كذلك هو عندي بحمد الله ، ثم أخرج
حديث أبي هريرة من طريق سعيد بن ميناء عنه ، وأخرجه أيضا من حديث عائشة قالت:
قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى ، وإذا رأيت المجنوم ففر منه كما تفر من الأسد". ثم
ساق حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "لا تديموا النظر إلى المجنومين". (٢)
وحديث عمرو بن الشريد عن أبيه: كان في وفد ثقيف رجل مجنوم ... الحديث (٣) وحديث
جابر (٤): أن النبي ﷺ أخذ بيد مجنوم فوضعها معه في القصعة ثم قال: "بسم الله ،
ثقة بالله وتوكلا عليه". وفي لفظ: بينا النبي ﷺ ياكل إذ جاء مجنوم فقال: "ادن
فكل ، ثقة بالله وتوكلا عليه".

قال ابن خزيمة : إن النبي ﷺ برأفته ورحمته بأمته ، أمرهم بالفرار من المجنوم ،
كما نهى أن يورد الممرض على المصح ، شفقة عليهم وخشية أن يصيب بعض من يقرب
من المجنوم الجذام ، والصحيح من الماشية الداء الذي بالمرضى منها ، فيسبق إلى قلب
بعض المسلمين أن من أصابه الجذام أعداه جذام صاحبه الأول ، وكذلك الماشية إذا
أصابها الجرب ، فيسبق إلى قلبه أن المرض الذي بالماشية الأولى أعداها ، فيثبت
العدوى التي نفاها رسول الله ﷺ ، وقال بعد نفيها: "إنه لا يعدي شيء شيئا". فأمر
باجتناب ذلك ؛ ليسلم المسلمون من التصديق بإثبات العدوى ، وقد أعلم النبي ﷺ أن

(١) أحمد في مسنده (١/٤٤٠).

والترمذي (٤/٤٥٠) - ٢٢ - كتاب القدر ، ٩ - باب لا عدوى ولا هامة ولا صفر .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٠ .

(٣) النسائي (٧/١٥٠) كتاب البيعة ، باب بيعة من به عاهة .

وابن ماجة (٢/١١٧٢) ٢١ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الجذام .

(٤) أبو داود (٤/٢٠) كتاب الطب ، باب في الطيرة .

والترمذي (٤/٢٦٦) ٢٦ - كتاب الأطعمة ، ١٩ - باب ما جاء في الأكل مع المجنوم .

وابن ماجة (٢/١١٧٢) ٢١ - كتاب الطب ، ٤٤ - باب الجذام .

الطيرة شيء يجده الناس في صدورهم ، ثم أعلم أن التوكل يذهبها ، فكذلك الجذام والجرب لا يسلم من ضعف توكله - إذا أصاب بعض من قرب منه المجنوم الجذام - أن يصدق بالعنوى والطيرة لضعف توكله ، لأن النبي ﷺ أثبت العنوى بأمره بالفرار من المجنوم ، وبعثه إلى المجنوم ليرجع ، ويؤيد هذا الجمع أكله مع المجنوم ثقة بالله وتوكلا عليه .

قال: وأما النهي عن إدامة النظر إلى المجنوم فعلى ما تقدم ، ويحتمل أيضا أن يكون معناه: أن المجنوم يقيم ويكره أن يديم (١) الصحيح النظر إليه ؛ لأنه قل من يكون به من العقلاء آفة إلا وهو يجب أن يسترها . انتهى ملخصاً .

وهو في غاية التحقيق والإتقان ، وهو أولى عندي من الجمع الذي ذكره البيهقي وتبعه ابن الصلاح فمن بعده ؛ لأنه ينفي العنوى أصلاً ورأساً كما صرح به الأخبار الصحيحة ، ويحمل ما ورد في ضدها على إرادة حسم المادة ، بخلاف ما جمعوا به فإنه يثبت العنوى في الجملة . وقد قال مالك لما سئل عن الحديث في النظر إلى المجنومين : ما سمعت فيه كراهية ، وما أرى ما جاء من النهي عن ذلك إلا مخافة أن يقع في نفس المؤمن شيء . يعني فيقع في اعتقاد العنوى .

وأما ما أخرجه البيهقي (٢) من طريق أبي إسحاق الهاشمي ، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: " لا عنوى ، (ولا يحل) (٣) المُرْضُ المُصِحُّ ، ويحل المصح حيث شاء " . قيل : ما بال ذلك يا رسول الله؟ قال: "إنه أذى" . فهو ضعيف ، لأنه من رواية ابن لهيعة عن بكير عنه ، وأبو إسحاق الهاشمي مجهول .

وقد رواه عبد الملك بن محمد الرقاشي ، عن بشير بن عمر الزهراني ، عن مالك ، عن بكير ، فقال: عن أبي عطية عن أبي هريرة . قال البيهقي: إن كان الرقاشي حفظه فهو غريب .

قلت : قد أخرجه الدارقطني في غرائب مالك من رواية الرقاشي ، ومن رواية

(١) في الرباط وتركيا (يدمن) .

(٢) السنن الكبرى (٢١٧/٧) .

(٣) في الحرم (ولا يؤاكل) .

محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، ومن رواية علي بن مسلم ، كلهم عن بشير بن عمر ، ثم قال: خالفهم أبو هشام الرفاعي فقال : عن بشير بن عمر عن مالك بهذا الإسناد ، عن أبي بردة الأسلمي بدل أبي هريرة ، وهو وهم من أبي هشام ، ورواه أبو قررة في السنن عن مالك قال: ذكر بكير بن عبد الله بن الأشج عن أبي عوسجة عن أبي هريرة ، والحديث في الموطأ (١) عن مالك: أنه بلغه عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن أبي عطية الأشجعي عن أبي هريرة.

قلت: فترجّح أن الوسطة بين أبي هريرة وبكير هو أبو عطية الأشجعي وهو مجهول ، وأن بين مالك وبكير فيه واسطة ولعله ابن لهيعة ، فلم تثبت هذه الزيادة ، وعلى تقدير أن تكون محفوظة ، فالضمير في قوله: "إنه" للمرض ، والمرض بلا شك أذى ، ولا يكون الضمير للمورود لنلا يلزم منه إثبات العدوى التي نُفيت في صدر الحديث ، ويرجع الأمر إلى التأويل الماضي ، والله أعلم.

وقد سلك الطحاري في كتاب معاني الآثار سبيل ابن خزيمة في هذا الجمع ، فورد حديث "لا يورد ممرض على مصح" ثم قال: معناه أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده: لو أنني ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شيء. والواقع أنه لو لم يورده لأصابه بتقدير الله عليه ، فنهى عن إيراده لهذه العلة التي لا يأمن على الناس غالباً من وقوعها في قلوبهم.

ثم ساق حديث "لا عدوى" من رواية سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عمر وأبي هريرة وجابر وأنس.

ثم ساق من حديث علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: "لا يعدي سقيم صحيحاً".

ومن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة". فقال رجل: أطرح الشاة الجرياء في الغنم فتجريهن. فقال النبي ﷺ: "فالأولى من أجربها؟!"

(١) الموطأ (١٤٦/٢) ٥٠ - كتاب العين ، ٧ - باب عيادة المريض والطيرة.

وحدیث ابي امامة عن النبي ﷺ قال: "لا عدوى" وقال: "فمن أعدى الأول؟"

وحدیث ابن مسعود كما تقدم من عند ابن خزيمة ، وكذا حدیث ابي هريرة من طرق في جميعها "فمن أعدى الأول؟"

ثم ساق حدیث جابر في الاكل مع المجنوم كما تقدم.

وحدیث ابي زر عن النبي ﷺ: "كل مع صاحب البلاء تواضعا لربك وإيمانا".

ثم قال : فقد نفى النبي ﷺ العدوى وقال : "فمن أعدى الأول؟" أي لو كان إنما أصاب الثاني بإعداء الأول لما كان أصاب الأول شيء ؛ لأنه لم يكن له ما يعديه ، ولكنه لما كان ما أصاب الأول بقدر الله تعالى ، كان ما أصاب الثاني كذلك.

ثم قال : فيحمل قوله ﷺ "لا عدوى" على نفي العدوى أن تكون أبدا ، وقوله "لا يورد ممرض على مصح" على الخوف منه أن يورده عليه فيصيبه بقدر الله ما أصاب الأول فيقع في النفس أن الأول هو أعداه ، فيكره إيراد المصح على الممرض خشية ذلك ، والله أعلم.

وتبع الطحاوي في هذا الجمع أبو بكر الرازي في كتابه (أحكام القرآن) ، فأورد كلامه مختصرا كعادته.

وقد جمع البيهقي بين حديثي مجنوم ثقيف والذي وضع يده في الصحيفة ، بأن أحدهما في من يقدر على الصبر في المكروه ويترك الاختيار في موارد القضاء ، والحديث الآخر فيمن يخاف على نفسه العجز عن احتمال المكروه والصبر عليه ، فيحترز بما هو جائز في الشرع من أنواع الاحترازا.

وأجاب القرطبي في المفهم على الإشكال فقال: إنما نهى عن إيراد الممرض على المصح مخافة الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد ذلك أو مخافة تشويش النفوس وتأثير الأوهام ، وهذا كتحقيق قوله: "فروا من المجنوم" لأننا وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدي ، فإننا نجد في أنفسنا نفرة وكراهية لذلك ، حتى لو أكره الإنسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته تأملت نفسه وربما تأذت بذلك ، وإذا كان ذلك ظهر أن

الأولى للمرء أن لا يتعرض الإنسان إلى ما يحتاج فيه إلى مجاهدة ، فيجانب طرق
الأوهام ، ويباعد أسباب الآلام ، مع علمه بأنه لا ينجي حذر من قدر ، والله أعلم. ثم
وجدت سلف الجميع في ذلك وهو أبو عبيد القاسم بن سلام فذكر مامعناه: أن النهي
في أن لا يورد الممرض على المصح ليس لإثبات العنوى ، بل لأن الصحاح لو مرضت
بتقدير الله ربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العنوى ، فيفتتن ويتشكك في ذلك
فأمر باجتنابه. قال أبو عبيد: وكان بعض الناس يحمله على أنه مخافة على الصحيحة
من ذات العاهة. قال: وهذا شرٌّ ما حُمِلَ عليه الحديث ؛ لأنه رخصة في التطير المنهي
عنه ، ولكن وجهه عندي ما قدمته. انتهى.

* * * * *

* * *

*

[الفصل الثالث]

ذكر بيان الحكمة في النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيها الطاعون فرارا منه

ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك أمر تعبدي لا يعقل معناه ، والسبب عندهم في ذلك أن الفرار من المهالك مأمور به ، وقد صح النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون ، فكان ذلك لسر فيه لا تعلم حقيقته ، فالأولى فيه التسليم وامتنال ما أمر به الشارع .

وذهب كثيرون من العلماء إلى التعليل وأبرزوا في ذلك حكماً :

منها : أن الطاعون في الغالب يكون عاماً في البلد الذي يقع به ، فإذا وقع والشخص بها فالظاهر مداخلة سببه له ، فلا يفيد الفرار منه ، بل إن كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أم رحل ، وكذا بالعكس ، وإلى هذا صار من رجح أحد الوجهين في أن تصرفات الصحيح في البلد الذي يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت ، كما سيأتي بيانه في الباب الخامس ، فلما كانت المفسدة قد تعينت ولا انفكاك عنها ، حسنت الإقامة لما في الخروج من العتب الذي لا يليق بالعقلاء .

وأيضاً لو توارد الناس على الخروج لبقى من وقع به عاجزاً عن الخروج ، فضاعت مصالح المرضى لفقد من يتعهدهم ، والموتى لفقد من يجهزهم ، ولما في خروج الأقوياء على السفر من كسر قلوب من لا قوة له على ذلك .

وقد قيل في الحكمة في شدة الوعيد على الفرار من الزحف : لما فيه من تخويف الباقين وإزعاجهم وخذلان من كان مستمرا في القتال .

وقد جمع الغزالي في الإحياء بين الأمرين فقال : الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن ، بل من حيث نواام الاستنشاق ، فيصل إلى الرئة والقلب فيؤثر فيهما ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن ، فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالباً من الأمر الذي استحکم من قبل ، ولكنه يتوهم الخلاص فيصير من الأوهام القاذحة في التوكل ، ثم انضاف إلى ذلك أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي من يتعهد المرضى ، وتضيع مصالحهم .

ومنها : ما تقدم من أن الخارج يقول : لو لم أخرج لَمُتُ . ويقول المقيم لو خرجت كما خرج فلان لَسَلِمْتُ . فيقع في الـ " لو " المنهي عنها ، وإلى هذا مال ابن عبد البر فقال : النهي عن الخروج للإيمان بالقدر ، والنهي عن القنوم لدفع ملامة النفس . ونقل عن ابن مسعود أنه قال : الطاعون فتنة للمقيم والخارج عنه فذكر نحو ما تقدم .

مع ما في الخروج من الفرار من حِكْمِ قُدْرِهِ اللهُ ، وأمر بالصبر عليه ، وجعل في الموت به أجر شهيد ، بل للمقيم صابراً محتسباً مثل أجر شهيد ، ولو لم يمته بالطاعون كما تقدم تقريره ، ففي الفرار من مثل هذا خسارة كبيرة من الأجر ، مع الجهل بأن الموت الذي فر منه هل يسلم منه أولاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ قل إن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تَمْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . [الأحزاب : ١٦] .

وقال ابن العربي في شرح الترمذي : حكمة النهي عن الفرار لنلا يموت فينسب ذلك إلى الطاعون ، وإنما هو أجلٌ حضر ، والأسباب لا يضاف إليها (كل ما) (١) وُجِدَ عندها ، وإنما يضاف إليها ما أضافه الشرع ، وقيل : إنما منع منه لأن سبب المرض قد تحكم . وقيل : لنلا تترك المرضى بغير قِيَمٍ عليهم .

قال : وأما حكمة منع القنوم عليه ، فالذي عندي : أن الله أمر أن لا يَتَعَرَّضُ أحدٌ للحتف ، وإن كان لا نجاة من قدر الله ، إلا أنه من باب الحذر الذي شرعه الله ، وفيه الصيانة عن الشرك ، لنلا يقول القائل : لو لم أدخل لم أمرض ، ولو لم يدخل فلان لم يمته . قال : وقيل : إن حكمة منع الدخول لنلا يتعلق بهم من الوهم أكثر مما يتعلق بالخارج والله أعلم .

ثم وجدت للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في هذا فصلاً حسناً نقله الزركشي في جزئه المذكور فقال : الذي يترجح عندي في الجمع بين النهي عن الفرار من البلد الذي وقع به الطاعون ، والنهي عن القنوم عليهم والله أعلم : أن الإقدام عليه يُعَرِّضُ النفس للبلاء ولعلها لا تصبر عليه ، وربما كان به ضرب من الدعوى لمقام الصبر أو التوكل ، فمنع ذلك لاغترار النفس ، ودعواها ما لا تثبت عليه عند التحقيق .

وأما الفرار فقد يكون داخلًا في باب التوغل في الأسباب متصورًا بصورة من يحاول النجاة مما قدر عليه ، فيقع التكلف في القنوم كما يقع التكلف في الفرار ، فأمر بتوك التكلف فيهما .

(١) في النسخ (كلما) ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

وقد لمح الصحابي ما ذكرته في أحد الشَّقِينِ فقال : أفراراً من قدر الله ؟ وإلى ما قررته يشير قوله ﷺ : " لا تتمنوا لقاء العدو ، وإذا لقيتموهم فاصبروا " (١) . فأمرهم بترك التمني لما فيه من التعرض للبلاء وخوف الاغترار بالنفس : إذ لا يؤمن غدها عند الوقوع ، ثم أمرهم بالصبر عند الوقوع تسليماً لأمر الله تعالى . ورأيت فيما شرحه الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة من البخاري ما ملخصه : قوله : " فلا تقدموا عليه " ، فيه منع معارضة متضمن الحكمة بالقدر ، وهو من مادة قوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ (٢) ، وقد قال عيسى عليه السلام : المولى يجرب عبده وليس للعبد أن يجرب مولاه . قوله : " فلا تخرجوا فراراً منه " فيه إشارة إلى الوقوف مع المقهور والرضى به ، وأيضا فالبلاء إذا نزل إنما يقصد به أهل البقعة لا البقعة نفسها ، فمن أراد الله إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة ، فأينما تَوَجَّهَ يدركه ، فأرشدته الشارح إلى عدم النَّصَبِ بالفرار الذي لا يفني عنه شيئاً ، والله أعلم .

ومنها : ما زعم بعض أهل الطب أن البلد الذي يقع الوباء فيه تتكيف أرواح أهله بكيفية هواء تلك الأماكن وتآلفها أمزجتهم ، وتصير لهم بمنزلة الأهوية الصحيحة لغيرهم ، فإذا انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة الهواء ، لم توافقهم ، بل إذا استنشقوا الهواء الصحيح استصحب معه إلى القلب ما يجده من الأبخرة الرديئة التي حصل تكيف بدنه بها ، فيصل إلى القلب فيقع ذلك المرض الذي فر منه به ، فمنع من الفرار منه من هذه الحيثية . انتهى .

وهذا والمذكور أولاً مبني على أن الوباء والطاعون مُتَّحِدَانِ ، وعلى أن سبب الطاعون فساد الهواء ، وقد قدمت في آخر الباب الأول ما يخالف ذلك ، فالمتعمد في الحكمة في ذلك ما تقدم نقله عن ابن خزيمة والطحاوي وابن عبد البر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

* * *

(١) البخاري (١٢٠/٦) ٥٦ - كتاب الجهاد ، ١١٢ - باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يُقاتل أولَّ النهار آخر القتال حتى تزول الشمس.

ومسلم (١٣٦٢/٣) ٢٢ - كتاب الجهاد والسير ، ٦ - باب كراهة تمنى لقاء العدو ، والأمر بالصبر عند اللقاء.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥.

[الفصل الرابع]

ذكر كشف شكل ما في هذا الباب الرابع

- قوله : حَزَقِيل : بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي وكسر القاف ، بعدها تحتانية ثم لام ، وأبوه بُرَيْ : بضم الموحدة وفتح الراء .
- قوله : السُدِّي : بضم السين وتشديد الدال المهملتين ثم ياء النسب .
- قوله : وادياً أَفِيح : بالفاء الساكنة ثم التحتانية بوزن أهيل ، أى واسع .
- قوله : مِرْزَقِيل : هو الماضي لكن الهاء بدل الحاء المهملة لقرب المخرج .
- قوله : سِحْنَة : بكسر المهملة وسكون الحاء المهملة ثم نون ، أى علامة .
- قوله : يَسَاف : بفتح التحتانية ثم هملة خفيفة وآخره فاء .
- قوله : النُضْر : بالضاد المعجمة ، والخزاز بمعجمات .
- قوله : ميسرة : بفتح الميم وسكون التحتانية بعدها هملة .
- والنُهْدِي : بفتح النون وسكون الهاء .
- قوله حَكَّام : بفتح المهملة وتشديد الكاف .
- وعَنْبَسَة : بفتح المهملة وسكون النون بعدها موحدة ثم هملة .
- قوله : قَرْنَا : بفتح القاف وسكون الراء أي حصن ، وأما بكسر القاف فمعناه النظر .
- قوله : جَوْبِير : بجيم وموحدة ثم راء ، مصغر .
- قوله : سُنَيْد : بمهملة ثم نون مصغر .
- قوله : فَحْظَرُوا : بحاء مهملة وطاء معجمة ، والحظائر جمع حظيرة ، وهو كالحوش عليه حائط بغير باب .
- قوله : أَرْوَحَتْ : بحاء مهملة .
- وأنتنت : بنون ومثناة من التنت .
- قوله : مُوتَان : بضم الميم وسكون الواو أي الموت الكثير ، ويقال : بفتح أوله وثانيه أيضا .
- قوله : غميقة : بيانه مذكور في الأصل .
- قوله : منيب : ضبط بالأصل .
- قوله : نكب : بنون وكاف ثم موحدة ، أي : عدل عنه .

قوله : مَيْسِرَةٌ بن معبد : بفتح الميم والمهملة وتشديد الراء .

قوله : جسر مومسة : مكان بالشام قرب الجابية .

قوله : خِرْجَان : بقاء معجمة وراء ساكنة ثم جيم ، هو الخراج بضم أوله وتخفيف

الراء كالدمل .

قوله : ذرب كالدمل : بذال معجمة وراء مفتوحتين وآخره موحدة ، هو ما لا يقبل

العلاج .

قوله : الهابية : بجيم ثم موحدة ، اسم مكان معروف بالشام ، والجويبية

تصغيرها ، وأوالشك من الرلوي .

والحسن بن يحيى الخُشْنِي : بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم نون .

قوله : أبو وائلة : بمثلثة .

قوله : لا تحفوا : بقاء مهملة ساكنة ثم فاء أي : لا تطيلوا .

قوله : أن تنزهوا : أي تبعوا .

قوله : فَحَلَّني : بقاء مهملة ، فعل أمر من الحل بكسر أوله .

قوله : وَكَأَنَّ : بهمزة مفتوحة بعدها نون ساكنة كلمة تقال لتقريب الشيء ، والمعنى

كأنك به قد وقع .

قوله : فارتد : بسكون الراء وفتح المثناة ، فعل أمر من الارتداد وهو الاختيار .

قوله : الغرُزُ : بفتح المعجمة وسكون الراء ، بعدها زاي ، هو ركب الكور .

قوله : سَرَّغ : مكان فسر بالأصل ، وهو بفتح المهملة والراء وقد تسكن ثم غين

معجمة ، وقد ذكر البكري في المعجم أنها مدينة افتتحها أبو عبيدة هي واليرموك والجابية

متصلة ، وقال ابن وضاح : بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة .

قوله : عدوتان : بعين مهملة مكسورة وتضم أيضا ، أي : جانبان .

قوله : أكنت مُعْجِرَه : بالتشديد من العجز ، أي ينسبه إلى العجز ، والمعنى أن

الناس رعييتي فيجب علي الاحتياط لها ، فإن تركته نسبت إلى العجز ، كما ينسب راعي

الإبل إذا رعاها في المكان الجذب مع قدرته على رعيها في المكان الخصب والله أعلم .

قوله : فتكركر : أي رجع .

قوله : فلا تقدموا : بفتح أوله من القوم ، وهو الأشهر ، ويروى بضم أوله من الإقدام .

قال أبو النضر : لا يخرجكم إلا فرارا منه : في هذا التركيب إشكال ، ولهذا عزاه

مالك لأبي النضر ، وقد وجهوه بأن التقدير : لا يخرجكم شيء إلا الخروج فرارا منه .

قوله : حَوَثْرَة : بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها مثلثة .
 وأشْرُس : بشين معجمة ثم سين مهملة بوزن أحمر .
 قوله : قَانِلا : من القيلولة .
 قوله : فِي خِبَائِه : بخاء معجمة ثم موحدة ، أَي : خيمته .
 والفيء : الظل .
 قوله : تَضُور : بضاد معجمة ، أَي : قلق .
 قوله : أَفْرَق : فسر بالأصل .
 قوله : مِجْلَز : بكسر الميم وسكون الجيم بعدها زاي .
 قوله : العُرْنَيْن : نسبة إلى عرينة ، بعين مهملة وراء ونون مصفر ، وحذفت ياء التصغير في النسب .

قوله : فِرْوَة : بفتح الفاء ، ابن مُسَيْك : بمهملة وكاف مصفر .
 قوله : أْبَيْن : بموحدة بوزن أحمر .
 قوله : وميرتتا : بكسر الميم .
 قوله : القَرْف : فسر في الأصل .
 قوله : الشُّرِيد : بفتح الشين .
 قوله : لا عدوى : بفتح العين المهملة مقصور ، كانت العرب تعتقد أن المرض يعدي وينتقل إلى الصحيح ، فأنكر النبي ﷺ اعتقادهم ، وأبطل العدوى فقال : " لا يعدي شيء شيئا " .

قوله : ولا طيرة : بكسر الطاء المهملة وفتح التحتانية ، مأخوذة مما كانوا يعتقدونه في الطير البارح والسانح من التشاؤم والتيامن ، وكان الواحد منهم إذا خرج فرأى الطير ذاهبا من جهة اليمين تيمن به واعتقد نجح حاجته وبالعكس ، ثم توسعوا في ذلك حتى كانوا يهيجونه على الطيران لذلك ، فأبطل ذلك الإسلام .

قوله : "مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحِّ" : المرض : بضم أوله ، الذي له إبل مرضى ، والمصح الذي له إبل صحاح .

الثَّقْبَة : بضم النون وسكون القاف بعدها موحدة ، أول شيء يظهر من الجرب ، وجمعها نُقَب ، بضم أوله وسكون ثانيه ، قيل لها ذلك لأنها تنقب الجلد .

الباب الخامس

في معرفة ما يشرع فعله في الطاعون بعد وقوعه

[وفيه خمسة فصول]

[الفصل الأول]

هل يشرع الدعاء برفعه أولاً ؟

تقدم في الأبواب الماضية الأمر بمنع الخروج من البلد الذي وقع به فراراً من الطاعون ، والترغيب في الإقامة صابراً محتسباً عالماً بأنه لا يصيبه إلا ما كتب الله ، وهذا يتعلق بما إذا وقع في البلد عموماً ، فأما إذا وقع بالمرء خصوصاً ، فساذكره بعد الفراغ مما يتعلق بوقوعه عاماً .

ومما ينبغي لكل أحد : المبادرة إلى رد المظالم والتخلص من التبعات ، والتوبة من العود إلى شيء من معصية الله تعالى ، والندم على ما مضى من ذلك ، والوصية من غير أن يقع فيها حَيْفٌ أو جَنْفٌ ، وهذا مطلوب في كل وقت ويتأكد عند وقوع الأمراض عموماً ، ولأن وقع به خصوصاً ، وبقي الكلام في ثلاث مسائل :

أحدها (١) : هل يشرع الدعاء برفعه أولاً ؟ وعلى الأول هل يشرع الاجتماع لذلك ، أو يدعو كل واحد على انفراد بما يناسب حاله؟ وعلى الأول هل يختص الاجتماع للدعاء بذلك بالقنوت كما في النوازل في بعض المذاهب أو يشرع الخروج إلى الصحراء والاجتماع بها بعد الصوم كما في الاستسقاء؟

والجواب : أن الدعاء برفعه عن المسلمين الذين وقع ذلك ببلدهم مشروع اجتماعاً وانفراداً ، في القنوت خاصة عند الشافعية بناء على أنه من جملة النوازل ، وقد قال الشافعي بمشروعية القنوت في النازلة ومثلها الرافعي وغيره بالوباء والقحط ، وفسر جماعة الطاعون بأنه الوباء كما تقدم البحث فيه في الباب الأول ، فانتج ذلك أنه يشرع القنوت برفع الطاعون .

قال الشافعي في الأم : إن قننت عند نازلة لم أكرهه ، وإن قننت في غير نازلة كرهته . وقد توقف بعض المتأخرين من الشافعية في ذلك وقال : الطاعون أخص من الوباء ، وقد وقع في زمن خيار الصحابة ، ثم في زمن خيار التابعين ولم ينقل عن أحد منهم أنه قننت برفعه .

وهذا الذي قاله هذا المتأخر فيه نظر ؛ لأنه يستلزم الطعن في أصل مشروعية القنوت

(١) وستأتي المسألة الثانية ص : ٢٠٩ ، والمسألة الثالثة ص : ٢١٢ .

في النازلة ، لا في خصوص القنوت في الطاعون ، والقنوت في النازلة نصٌ عليه الشافعي صاحب المذهب ، فيلزم من كان على مذهبه أن يقول به إلا إن كان هذا المتأخر اختار ذلك رأياً له خارجاً عن المذهب فيستقيم كلامه . فإن (نفس) (١) الدليل الذي استدل به على المنع في الطاعون ، استدل به صاحب الفروع من الحنابلة على منع القنوت في النازلة ، فقال : لا يقنت لرفع الوباء في الأظهر ؛ لأنه لم يثبت القنوت في طاعون عمواس ولا في غيره . (نعم ، وغير) (٢) الشافعية ليس القنوت عندهم مشروع أصلاً .

- وأما مطلق الدعاء فالراجح مشروعيته ، بل يستحب لأهل الأرض السائلة الدعاء لأهل الأرض (التي يقع بها الوباء ، كما يستحب لأهل الأرض الخصبة الدعاء لأهل الأرض) (٣) الجدية .

وقد نازع في ذلك بعض الحنابلة ، فقرأت في الجزء الذي جمعه المنبجي : أنه يكره الدعاء برفعه ؛ لأن معاذاً امتنع من ذلك واعتل بكونه شهادة ورحمة ودعوة نبينا ﷺ لأمته ، قال : فلو كان مشروعاً لما أوجبهم أن يسألوه بل كان يفعله من تلقاء نفسه ، بل لو كان مباحاً لبادر بفعله عند سؤال الرعية له ما ظنوا أنه مصلحة لهم ، فلولا أنه غير مباح لبادر إلى إجابتهم ، ولا يرد على ذلك ورود الدعاء برفع الحمى ؛ لأن الموت بها لا يقع غالباً بخلاف الطاعون ؛ لأن الموت غالب به ، فيتضمن الدعاء برفعه الدعاء برفع الموت ، والموت حتم مقضي ، لا يتقدم ولا يتأخر من انقضى أجله طرفة عين . انتهى .

وهذا الذي قاله ضعيف ؛ فإن الاحتجاج في ترك الدعاء بالقدر يستلزم ترك الدعاء في جميع الأمور ، وترك الأسباب كلها ، وقد حكاها عياض عن بعض المتصوفة وببالغ في إنكاره ، والأحاديث في مشروعية الدعاء للمريض بالعافية والشفاء ، وكذلك الأحاديث في الاستعاذة من الجنون والجذام وسبب الأسقام ، والاستعاذة من منكرات الأخلاق والأعمال والأمواء والأنواء (٤) ، أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ، وكذا يستلزم التمسك بالقدر ترك التدابي في الأسقام مع ثبوته والإذن فيه في الأحاديث الصحيحة ، ولا شك

(١) في الحرم (نص).

(٢) في الرباط (وأما غير).

(٣) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

(٤) الأنواء: جمع داء. (منه رحمه الله تعالى).

أن التداوي بالأدوية أنجع من التداوي بالعقاقير ، والطاعون ليس هو الموت ، وإنما هو مرض من الأمراض ، فيُدعى برفعه ويستعاض منه كما في سائر الأمراض ، وإن كانت تكثر الذنوب والموت ببعضها شهادة ، وقد ثبت كما تقدم أنه من وخز الجان وقد أمرنا بالاستعاذة منهم .

وأيضاً فإنه لا يجوز الدعاء به على أحد من المسلمين ؛ لأن فيه عموم بلاء فيمتنع ولو كان في ضمنه الشهادة ، كما لا يجوز الدعاء عليهم بالفرق والهدم ونحو ذلك ، بل في الطاعون من عموم الضرر أكثر من الفرق ، وكذا لا يجوز الدعاء على أحد من المسلمين بشئ من الأمراض ولو كان يحصل لمن وقعت له الأجر الكثرية .

(فرع :

لا يباح الدعاء على أحد من المسلمين بالموت بغير موجب له ، وفي كلام الكرابيسي في أدب القضاء ما يشعر بكرهته بكون تحريمه ، فإنه قال : لو دعا على غيره بالموت لم يجب عليه التعزير . ولعله لاحظ أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر فلم ير للدعاء بتعجيله تأثيراً) (١)

وقد جمع الشيخ ولي الدين الملوي جزءاً جمعه في الدعاء برفع الوباء ، سماه " حلُّ الحبا " (٢) وحصر شبهه من منع الدعاء بذلك في خمسة أشياء :

أحدها : أن الطاعون رحمة ، فكيف يطلب رفعه؟

ثانيها : أن الصابر له مثل أجر شهيد ، فطلب رفعه تَبْرُؤٌ بهذا الثواب الجزيل .

ثالثها : أن الإيمان بالقدر يقتضي أن لا يصيب أحداً إلا ما كتب له ، فطلب ما قدر رفعه تحصيل الحاصل ، وطلب ما قدر وقوعه مستحيل .

رابعها : ثبوت النهي عن الفرار منه ، وفي طلب رفعه نوع فرار .

خامسها : أن النبي ﷺ دعا به لأمة ، ففي طلب رفعه معارضة له .

(١) ما بين القوسين زيادة من الرباط وتيمور .

(٢) حل الحبا : بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع حبة : بضم أوله وسكون ثانيه ، ثوب يلف به على الظهر والركبتين ، يستريح به الجالس ، وكأني أراد أنه نهض في جمعه وحل حبوته ، أو أشار إلى أنه ينبغي النهوض في الدعاء . (منه رحمه الله تعالى).

وأجاب عن ذلك بجوابين : إجمالي وتفصيلي .

الأول : أن الدعاء برفع الوباء إذا ثبت شرعيته لم يقبل منعه إلا بنهي صريح راجح على الإثبات . قال : وثبتت الشرعية حصل بأدلة : منها : الدعاء للمريض بالعافية ، ومنها : الاستعاذة ، ومنها : التداوي . وساق الأحاديث في ذلك ، ومنها ما أخرجه ابن السنني (١) من حديث عائشة : أن النبي ﷺ كان إذا أشرف على أرض يريد دخولها قال : " اللهم إني أسألك من خير هذه الأرض وخير ما جمعت فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها ، اللهم ارزقنا جناها (٢) ، وأعدنا من وبائها ، وحببنا إلى أهلها ، وحبب صالحي أهلها إلينا " .

قلت : في سننه عيسى بن ميمون يرويه عن القاسم عن عائشة ، وعيسى ضعيف .

الثاني : رد الإيرادات واحدة واحدة :

- أما كون الطاعون رحمة فإنه لا ينافي طلب رفعه ؛ لأن الرحمة شئ وأثرها أو سببها شئ آخر ، والآثار والأسباب تتفاوت مراتبها ، فرب أمر منها يطلب من الله ما هو أعلى منه .

- وأما كونه شهادة فهي حاصلة لمن أقام صابرا محتسبا راضيا بوقوعه إن لوقع به ، سواء دعا برفعه أم لا ، والطلب من الله والالتجاء إليه مرغوب فيه مندوب إليه ، وغاية الطاعون أن يكون كملقاة العدو ، وقد ثبت سؤال العافية منه ، ثم الصبر إذا وقع اللقاء ، فوزانه أن لا يتمنى الطاعون ويسأل العافية منه ، فإن قُدّر نزوله به صبر واحتسب .

قلت : ويقوى ذلك بما قدمناه أنه من طعن أعدائنا من الجن ، ويكفي في امتثال الأمر بالصبر عند وقوعه عدم الفرار منه بالخروج من البلد التي يقع فيها إلى بلدة أخرى طلبا للنجاة منه ، وعدم التضجر منه والتبرم ، وليس ذلك مباينا لسؤال العبد ربه العافية ، ولا يعارض ذلك الإيمان بالقدر ؛ لاحتمال أن يكون الله تعالى جعل الدعاء سببا لسلامة الداعي من الطاعون ، فيجمع له أجر الشهيد بالصبر ، والعافية بالدعاء ، وكل ذلك من فضل الله ورحمته .

(١) عمل اليوم والليلة لأبي بكر بن السنني من : ١٥٤ حديث ٤٢٨ .

(٢) جناها : بفتح الجيم وتخفيف النون ، أي : طيب ثمرها ، وأراد به الخير . (منه رحمه الله تعالى) .

وقد ثبتت الاستعاذة في أمور كثيرة جاء أن صاحبها شهيد ، فقد أخرج أبو داود والنسائي وصححه الحاكم (١) من حديث أبي اليسر: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: " اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردى ، وأعوذ بك من الغرق والحرق ، وأعوذ بك أن أموت لديفا " الحديث .

- وأما كونه مقدورا فحق وصدق ، ولا يستلزم منع الدعاء ، بل منع الدعاء من جنس ترك الأعمال الصالحة الككالا على ما قدر ، فيستلزم ترك جميع الأسباب المرتب عليها السعادة ، وتضاد مدح الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، وقد جاء من حديث أنس مرفوعا : " لا تعجزوا في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد " صححه ابن حبان والحاكم (٢) ، ومن حديث سلمان رفعه " لا يرد القضاء إلا الدعاء " أخرجه الترمذي (٣) وصححه ابن حبان من حديث ثوبان ، وعن عائشة مرفوعا " لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلتقاه الدعاء فيعتلجان (٤) " صححه الحاكم (٥) ، فرد البلاء بالدعاء ، مثل دفع السهم بالترس ، وليس من شرط الإيمان بالقدر أن لا يحمل السهم ولا يتقي بالترس .

- وأما أن فيه نوعا من الفرار فممنوع ؛ فإن معنى النهي عن الفرار : أن لا يفالِب القدر بالحوال والقوة والحيلة ، فيشارك الذين ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ، والدعاء بخلاف ذلك ، فإنه اعتراف من الداعي بالعجز عن الحوال والحيلة ، مع ما فيه من الخضوع والتذلل ، فلا ينافي التسليم لأمر الله والتفويض لقضائه .

- وأما دعاء النبي ﷺ به لأمته فجوابه : أن في الدعاء برفعه معاضدة له ﷺ أن يرفع الهرج عن أمته ، ولا يمنع من ذلك قوله " اللهم فبالطاعون " ؛ لأنه ليس فيه طلب

(١) أبو داود (٩٢/٢) كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة .

النسائي (٢٨٢/٨) كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من التردى والهدم .
المستدرک (٥٣١/١) وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) ابن حبان: "موارد الظمان" (ص ٥٩٦ ، ح ٢٣٩٨) .

المستدرک (٤٩٣/١) .

(٣) الترمذي (٤٤٨/٤) ٣٢ - كتاب القدر ، ٦ - باب ما جاء لا يرد القضاء إلا الدعاء .

(٤) فيعتلجان: بالجيم ، أي: يتصارعان ، وكأنه من المعالجة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) المستدرک (٤٩٢/١) .

ذلك ، بل معناه أن لا يجعل عليهم سبيلا لكافر ، وأن الآفة السماوية كافية في الغناء مع دوام العز ، فليس الطاعون مقصودا لذاته ، لا بقصد أول ولا بقصد ثان ، بل المقصود دوام العز ورد الذين كفروا بغيظهم ، وتطهير المؤمنين من دماء إخوانهم . انتهى ملخصا .

وجميع ما ذكره من الأجوبة مقبول إلا هذا الأخير ، فهو متعقب بما ثبت من الطلب الصريح كما تقدم بيانه في الباب الثالث ، والسبب في ذلك أنه اعتمد على حديث ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن أنس: أن النبي ﷺ سئل عن الطاعون ، فقال : " رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم حين سأل ربه أن يرفع الهرج عن أمة قمنع فقال : اللهم فناء بالطاعون والموت " وفي رواية " طعنا وطاعونا " ، وهذا الحديث لم يثبت ، والأحاديث المصرحة بقوله : " اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالظمن والطاعون " صحيحة ، وكأنه لم يقف عليها .

وأنا أتبرع عنه بالجواب وحاصله : أن دعاءه ﷺ لأمة بذلك لا يستلزم منع الدعاء برفع الطاعون إذا وقع ، فيُنزَلُ طلب الوقوع على أن يقع ذلك لمن انقضى أجله بأن يموت به ليحصل له درجة الشهادة بأحد الأمرين ، ويُنزَلُ طلب الرفع على أن لا يقع ذلك عاما ، فيموت الجمع الكثير في الزمن اليسير ، فيقع بسبب ذلك من خراب غالب البلد ، وتعطيل كثير من المعاش ، وشماتة عو الدين ، ما لا يتوقف العالم عن الدعاء برفعه .

فكونه نازلة إنما جاء من إصابته للجم الغفير في الزمن اليسير ، بخلاف ما لو وقع الموت به لواحد بعد واحد ، وكونه رحمة ومن يموت به يكون شهيدا لا يدفع كونه نازلة ، كما أن العو إذا نازلوا بلد المسلمين فإنه لا يتوقف عن الدعاء للمسلمين بالسلامة والنصر على أعدائهم ، وإن كان من يموت بأيدي العو حينئذ يكون شهيدا لا محالة .

والى هذا الجواب نحا تاج الدين السبكي ثم قال : هذا من حيث الدعاء برفعه مطلقا عن أهل البلد ، وأما دعاء الشخص الخاص لنفسه بأن لا يقع له ، فلا يظهر لي فيه محذور ؛ فإنه يسأل أن لا تنزل به عاهة ويعينها ، فكأنه قال : لا تسلط علي فلانا الظالم ، وقد دعا النبي ﷺ لأنس بطول العمر ، والخبر بذلك ثابت في الصحيح (١) ، وهو

(١) لعله يشير إلى ما رواه مسلم (١٩٢٨/٤) ٤٤ - كتاب الفضائل ، ٢٢ - باب من فضائل أنس بن

مالك رضي الله عنه عن أنس ، عن أم سليم أنها قالت: يا رسول الله ، خادمك أنس ادع الله له . فقال: اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيت .

صريح في جواز الدعاء بطول العمر ، ويؤخذ من قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يَتَّعَمَّكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (١) إلى غير ذلك .

فرع :

(إذا جاز الدعاء بطول العمر فينبغي أن يتقيد بمن كان في بقائه منفعة للمسلمين) (٢)
بل يندب ، فإن كان نفعه قاصرا على نفسه فهو دون الأول ، ومن عداها قد يصل إلى الكراهة ، والتحریم إن اتصف بضدهما ، وإن لم يتصف فقد قال بعضهم : لا ينبغي لأحد أن يحب ما يحب إبليس ، فإنه يحب طول البقاء ، والحق أن الضابط الرجوع إلى المتعلق والله أعلم .

قال العلماء : الأجل يزيد ولا ينقص ، ولكن فائدة الدعاء تتصور في أنه قد يجوز أن الله قدر أن زيدا عمره ثلاثون ، فإن دعا فأربعون ، فيقع أحد الأمرين ، وعلى هذا ينزل جميع أنواع الدعاء ، وإلا لم يكن له فائدة ، لأن الأشياء كلها بتقدير الله جلت قدرته .

قال تاج الدين السبكي : وأما دعاء معاذ فلم يكن بأن لا يرفع الله الوباء عن المسلمين ، بل كان طلب ذلك لنفسه لينال درجة الشهادة .

قلت : أو ليموت على خلوص من عمله وجهاده قبل حدوث الفتن ، كما تمنى ذلك غير واحد من الصحابة ، وصرحوا بالتعليل بذلك .

فمن ذلك : ما أخرجه أحمد (٣) من طريق عثمان بن عُمَيْرٍ (٤) ، عن زاذان أبي عمر ، عن عَلِيْمٍ (٥) - هو الكندي - قال : كنا جلوسا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ ، والناس يخرجون في الطاعون ، فقال الغفاري - وهو عيس : يا طاعون خذني . ثلاثا يقولها ، فقال له عَلِيْمٌ : لم تقول هكذا ، ألم يقل رسول الله ﷺ : " لا يتمنى أحدكم الموت ، فإنه عند انقطاع عمله ، ولا يرد فيستعَب (٦) " . فقال : إني سمعت

(١) سورة هود : ٣ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الرباط .

(٣) المسند (٤٩٤/٣) .

(٤) عُمَيْرٌ : بالتصغير . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) عَلِيْمٌ : بهملة ولام مصفر . (منه رحمه الله تعالى) .

(٦) فيستعَب : بكسر المثناة قبل الموحدة التي في آخره . (منه رحمه الله تعالى) .

رسول الله ﷺ يقول : " بادروا بالموت ستا : إمرة السفهاء ، وكثرة الشرط (١) ، وبيع الحكم ... الحديث .

وأخرجه الطبراني في الأوسط وابن شاهين في الصحابة من طريق موسى الجهني ، عن زاذان : كنت مع رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، يقال له عابس (٢) أو ابن عابس ، على سطح فرأى الناس يتحملون ، فقال : ما للناس؟ قيل : يفرون من الطاعون . فذكره لكن قال : فقال له رجل كانت له صحبة . وقال فيه : " إمرة الصبيان ، وكثرة الشرط ، والأثرة في الحكم ... " الحديث .

وللحديث شاهد من حديث الحكم بن عمرو الغفاري أخرجه الطبراني بنحو سياق حديث عيس (٣) .

وفي هذا الحديث فوائد منها :

- وقوع الفرار من الطاعون في زمن الصحابة ، وإنكار بعض الصحابة عليهم .

- وجواز تمنى الموت خشية الوقوع في الفتنة .

- وحمل الضر المذكور في الحديث على الضر الدنيوي لا على الضر الديني والله

أعلم .

وقد أخرج أحمد (٤) من حديث عوف بن مالك أنه قال : ياطاعون خذني . فقالوا له :

أليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما عمر المسلم كان خيرا له " قال : بلى ،

ولكنني أخاف شيئا : إمارة السفهاء ... الحديث . وهو شاهد لا بأس به للحديث الذي

قبله .

* * * * *

(١) الشرط: بضم المعجمة ، وفتح الراء . (منه رحمه الله تعالى).

(٢) عابس: بموحدة بعد الألف ، ثم سين مهملة . (منه رحمه الله تعالى).

(٣) المعجم الكبير (٢/٢١٢).

(٤) المسند (٦/٢٢).

فصل

وأما الامتناع من الدعاء أصلاً ورأساً فقد حصل الجواب عنه ، وحاصله أنه غير محظور ؛ إذ ليس فيه محذور ، وقد قال ﷺ : " ولكن عاقبتك أوسع لي (١) . ومع ذلك فالمعتمد أنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن قوي يقينه وغلب توكله فمقامه أفضل المقامات فيفوض ويسلم ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه ، وأنه إن عوفي شكر ، وإن لم يعاف صبر ، بل ربما ارتقى عن ذلك درجة فطلب الشهادة كما وقع ذلك لغير واحد من الصحابة والسلف الصالح ، وهى ذلك حمل أبو بكر الرازي عمل أبي عبيدة حيث أبى الخروج من الشام ، وكذا معاذ حيث سأل الحظ الأوفر منه ، وكذا عمر حيث قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك .

ومن لم يصل إلى هذه المرتبة فيسلم ويفوض ويفعل ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس : أن رسول الله ﷺ أمر الصحابي الذي اشتد مرضه أن يدعو " اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي (٢) .

فإن امرأً خشي على نفسه فتنة في دينه ، فرجع جانب البلاء على جانب العافية ليسلم له دينه ، فهو مثاب على نيته كما وقع لعابس وعوف .

ومن كان بخلاف ذلك ، فطلب من ربه أن يعافيه من سقم حل به ، فهو جائز بشرط أن يستحضر أنه لا راد لما قضى الله وإن دعاه بذلك ، لاحتمال أن يكون الله قدره سبباً لعافيته ، لا لأن الذي قدره الله يندفع بالحيلة ، ولا فرق في هذا بين من يصاب بالحمى أو بالطاعون أو بغيرهما من الأسقام .

ويرشد إلى التفصيل الذي ذكرته حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وهم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، أخرجاه في الصحيح (٣) عن ابن عباس ، مع الأحاديث الواردة بالإذن في الرقى والتداوي وغير

(١) سبق تخريجه ص ١٢٢ .

(٢) البخاري (١٢٧/١٠) ٧٥ - كتاب المرضى ، ١٩ - باب تعني المريض الموت .

مسلم (٢٠٦٤/٤) ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء ، ٤ - باب كراهة تمنى الموت لضر نزل به .

(٣) البخاري (١٥٥/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ١٧ - باب من اكتوى أو كوى غيره .

مسلم (١٩٨/١) ١ - كتاب الإيمان ، ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

ذلك ، فليس الدعاء برفع البلاء ممنوعاً ولا مُصَادِماً للمقدور من حيث هو هو أصلاً^(١)

- وأما الاجتماع له كما في الاستسقاء فبدعة حدثت في الطاعون الكبير سنة تسع وأربعين وسبعمائة بدمشق .

فقرأت في جزء المنبجي بعد إنكاره على مَنْ جمع الناس في موضع قصاروا يدعون ويصرخون صراخاً عالياً ، وذلك في سنة أربع وستين وسبعمائة لما وقع الطاعون بدمشق ، فذكر أن ذلك حدث في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وخرج الناس إلى الصحراء ، ومعظم أكابر البلد فدعوا واستغاثوا ، فعظم الطاعون بعد ذلك وكثر ، وكان قبل دعائهم أخف .

قلت : ووقع هذا في زماننا حين وقع أول الطاعون بالقاهرة ، في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فكان عدد من يموت بها نون الأربعين ، فخرجوا إلى الصحراء في الرابع من جمادى الأولى ، بعد أن نودي فيهم بصيام ثلاثة أيام كما في الاستسقاء ، واجتمعوا ودعوا وأقاموا ساعة ثم رجعوا ، فما انسلخ الشهر حتى صار عدد من يموت في كل يوم بالقاهرة فوق الألف ثم تزايد .

ووقع الاستفتاء عن ذلك فأفتى بعض الناس بمشروعية ذلك ، واستند فيه إلى العمومات الواردة في الدعاء ، واستند آخر إلى أنه وقع في زمن الملك المؤيد وأجدى ذلك وحضره جمع من العلماء فما أنكروه . وأفتى جماعة منهم بأن ترك ذلك أولى ، لما يخشى من الفتنة به إثباتاً ونفياً ، لأنه إن أجدى لم يأمن خطر الدعوى ، وإن لم يجد لم يأمن سوء الظن بالعلماء والصلحاء والدعاء .

ونحو هذا النحو في جوابي ، وأضفت إلى ذلك أنه لو كان مشروعاً ما خفي على السلف ، ثم على فقهاء الأمصار وأتباعهم في الأعصار الماضية ، فلم يبلغنا في ذلك خبر ولا أثر عن المحدثين ، ولا فرع مسطور عن أحد من الفقهاء ، وألفاظ الدعاء وصفات الداعي لها خواص وأسرار يختص كل حادث بما يليق به ، والمعتمد في ذلك الاتباع ، لأنه لا مدخل للقياس في ذلك .

ومثال ذلك : أن ماورد في التخويف بالكسوفيين له هيئة تغاير ماورد في التخويف بالجذب ، وماورد في النازلة كالحط والوباء - على رأي من رأى الفتوت في ذلك - يغاير

(١) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة الهند وكانت بدايته ص ١٢٧ .

ماورد في الكسوف والاستسقاء ، فالذي يأتي بهذا لهذا ، وبهذا لهذا ، يلتحق بمن أحدث في أمر الدين ما ليس منه فيرد عليه ، وقد نص الشافعي في الأم على أنه لا قنوت في الاستسقاء وهو يؤيد ما ذكرنا والله أعلم .

وهذا من الأسباب الحاملة لي على تبييض الكتاب بعد أن كنت جمعت منه أكثر الأحاديث وبعض الكلام عليها في سنة تسع عشرة وثمانمائة .

وكننت امتنعت من الخروج في هذه المرة الأخيرة ولا حضرت صحبة الملك المؤيد في تلك المرة - مع اختصاصي به - لهذا المعنى الذي أشرت إليه ، وقد وقع ما تخيلته من الأمرين معا في المرة الأولى وفي المرة الثانية ، وقيل ما قيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأمر بعض من ينسب إلى الصلاح السلطان الأشرف ، مستندا إلى منام رآه فيما قيل ، أن يأمر الخطباء والمؤذنين والمدرسين والقصاص أن يخطبوا أذيعتهم بالدعاء بهذه الآية ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ (١) ، وسئلت عن ذلك فأجبت : بأن الأولى أن يكون بدلها ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الآية (٢) ، ومستندي في ذلك : أن هذه الآية وقع الإجداء بقولها لأدم فتاب الله عليه ورحمه ، والأخرى حكاهما الله عن الكفار وعقَّبها بالرد عليهم ، فالآية التي ذكرتها أولى في هذا المقام ، من هذا الوجه ومن عدة أوجه .

ثم وجدت في كتاب (ابن أبي الدنيا : أن عمر بن عبد العزيز كتب لما وقعت الزلازل في زمانه إلى الأمصار : أن يجتمعوا للصلاة في وقت بعينه ، ومن عنده شئ) (٣) فليتصدق ، فإن الله يقول : ﴿ قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ﴾ (٤) ، وقولوا كما قال آدم : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الآية .

تكملة

تقدمت قصة عمر بن عبد العزيز في أمره بالتصدق والدعاء بقوله : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الآية ، وهذا أوقع (٥) ما وقعت عليه في ذلك ، وهو وإن كان ورد في الزلزلة ،

(١) سورة الدخان: ١٢.

(٢) سورة الأعراف: ٢٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الهند.

(٤) الأعلى: ١٤ ، ١٥.

(٥) في الحرم والهند (أرفع).

فلا يمتنع أن يفعل مثله في الطاعون ، والجامع وقوع التخريف بهما .

وقد ذكر عن الشيخ تقي الدين السبكي أنه كتب في الطاعون العام سنة تسع وأربعين إلى ولده أبي حامد : أن رجلا صالحا رأى النبي ﷺ في المنام بجامع بني أمية ، والناس حوله يسألونه رفع الوباء ، فقال لهم : قولوا : يا رويد ، يا رويد ، يا ذا العرش المجيد ، (يامبدئ يامعيد) (١) ، يافعال لما يريد ، أسالك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، ارفع عنا هذا الوباء . انتهى .

وقد جاء هذا الدعاء في قصة التاجر واللص (٢) ، وذلك مما يبعد وقوع المنام المذكور ، مع احتمال صحته .

ومن ذلك ما ذكره الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في جزء جمعه في الصلاة على النبي ﷺ ، وذكر فيه أشياء في الطاعون ، قال : شاع بالقاهرة - يعني في سنة أربع وستين وسبعمائة - أن بعض الصالحين حين كثر الطاعون في المحلة ، ذكر أنه رأى النبي ﷺ في المنام ، وشكى إليه الحال ، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنا نعوذ

(١) زيادة من الحرم وتيمود.

(٢) لعله يشير إلى ما يلي:

قال ابن القيم في كتاب الجواب الكافي ص : ١٢ :

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب المجابين وفي الدعاء عن الحسن قال : كان رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يكنى أبا معلق ، وكان تاجرا يتجر بمال له ولغيره ، يضرب به في الأفاق ، وكان ناسكا ورعا ، فخرج مرة فلقبه لص مقنع في السلاح ، فقال له : ضع ما معك فإني قاتلك . قال : ما تريد من دمي؟ شاتك بالمال . قال : أما المال فلي ، وأست أريد إلا دمك . أما إذا ابيت فذرني أصلي أربع ركعات . قال : صل ما بدا لك ، فتوضأ ثم صلى أربع ركعات ، فكان من دعائه في آخر سجوده أن قال : يا رويد يا رويد ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعلا لما تريد ، أسالك بعزك الذي لا يرام ، ويملك الذي لا يضام ، وينورك الذي ملأ أركان عرشك : أن تكفيني شر هذا اللص ، يامغيث أغثني ، يامغيث أغثني . ثلاث مرات ، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه ، فلما بصر به اللص أقبل نحوه ، فطعنه فقتله ، ثم أقبل إليه فقال : قم . فقال : من أنت باني وأمي؟ فقد أغاثني الله بك . فقال : أنا ملك من أهل السماء الرابعة ، دعوت بدعائك الأولى فسمعت لأبواب السماء تقعقة ، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة ، ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل لي : دعاء مكروب . فسألت الله أن يوليني قتله . قال الحسن : فمن توضأ وصلى أربع ركعات ، ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب . أ هـ .

بك من الطعن والطاعون ، وعظيم البلاء في النفس والمال والأهل والولد ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر مما نخاف ونحذر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر عدد نوبينا حتى تغفر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم صاحب الكوثر (١) ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر كما شفعت نبيك فينا فأملنا ، وعمر بنا منازلنا ، ولا تهلكنا بذنوبنا يا أرحم الراحمين .

قلت : ويبعد صحة صدر هذا الدعاء ؛ لأنه مصادم لما ثبت عنه ﷺ أنه دعا بذلك لأمته ، فكيف يتصور أن يأمرهم أن يستعينوا مما دعا لهم به والله أعلم .

وذكر الأديب شهاب الدين بن أبي حجلة في جزء جمعه في الطاعون : أن بعض الصالحين ذكر له أن من أعظم الأشياء الدافعة للطاعون وغيره من البليات العظام ، كثرة الصلاة على النبي ﷺ ، وأنه ذكر ذلك للشيخ شمس الدين بن خطيب بيروذ فاستصوبه واستدل له بحديث أبي بن كعب : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أجعل لك نصف صلاتي ... الحديث ، وفي آخره : أجعل لك صلاتي كلها؟ قال : " إذا تكفى همك ، ويغفر ذنبك " . أخرجه الحاكم وصححه (٢) وسنده قوي والله أعلم .

فرع :

لم أقف في شيء من كتب الفقهاء على تعيين ما يدعو به في القنوت في النوازل ، والذي يظهر أنهم وكلوا ذلك إلى فهم السامع ، وأنه يدعو في كل نازلة بما يناسبها .

وذكر الزركشي أن بعض السلف كان يدعو عقب صلاته : اللهم إنا نعوذ بك من عظيم البلاء في النفس والأهل والمال والولد ، (الله أكبر - ثلاثا - مما نخاف ونحذر ، الله أكبر - ثلاثا - عدد نوبينا حتى تغفر ، اللهم كما شفعت نبينا محمدا فينا فأملنا وعمر بنا منازلنا ، ولا تؤاخذنا بسوء فعالنا ، ولا تهلكنا بخطايانا يارب العالمين) . (٣) وذكر أشياء اقتصر منها على هذا القدر .

وتم فروع أخرى في كونه هل يتوقف على إذن الإمام أو لا؟ ونحو ذلك ، لم أر الإطالة بها .

(١) (صاحب الكوثر) من الحرم وتيمور.

(٢) المستدرک (٢/٤٢١ ، ٥١٣) وصححه ووافقه الذهبي.

والترمذي (٤/٦٣٦) ٢٨ - كتاب صفة القيامة ، باب ٢٣ .

(٣) ما بين القوسين جاء في نسخة تيمور هكذا: (فذكر ما تقدم عن ابن أبي حجلة) وكأنه تصرف من الناسخ والله أعلم.

[الفصل الثاني]

هل الطاعون إذا وقع عاها بالنسبة للشخص الواحد كالمرض المخوف إذا حصل له أو لا ؟

المسألة الثانية :

قال تاج الدين : اختلف أصحابنا إذا ظهر الطاعون في بلد هل هو مخوف أو لا ؟
على وجهين ، وهما جاريان فيما إذا فشا الموت في البلد ، وأصحهما عند صاحب
التهذيب أنه مخوف ، وحكاه الإمام عن النص ، وهو الذي صححه الرافعي والنووي ،
وجزم الماردي في الحاري بمقابله .

قلت : وهو اختيار أكثر العراقيين ، وبعبارة البندنجي منهم بعد أن حكى قول
الشافعي : (الطاعون مخوف حتى يذهب . أي أن الإنسان إذا ضربته الطاعون فهو
مخوف حتى يذهب . انتهى .

وكلام الشافعي)^(١) يحتمل الوجهين وليس نصا في أحدهما ، والخلاف في هذا نظير
الخلاف فيمن اعترضه الأسد أو وقع انحريق في دار هو فيها ، فإنه يعد أخذ الأسد له
أو وصول النار إلى شيء من جسده مخوف ، وقبل ذلك على الخلاف .

وفائدة الخلاف تظهر في التصرف في تلك الحالة ، فمن خصه بمن نزل به أنفذ
تصرفاته من رأس المال ، ومن جملة مخوفا إذا ظهر خصها بالثلث ولو لم ينزل به إلى أن
يرتفع ، فإن مات المذكور استمر اختصاصها بالثلث ، وإن لم يمض تبيين أنه لم يكن
مخوفا في حقه كسائر الأمراض المخوفة . وقد جزم الفراني بما صححه صاحب
التهذيب ، ويحتمل أن يكون الإمام وقف على نص للشافعي أصرح من الذي ذكره في
الأم ، فإن لفظ الإمام في النهاية : نص الشافعي على أن الرجل إذا كان في قطر وقع
فيه الطاعون وعم طريانه ، فأمر المقيم في ذلك القطر مخوف وإن لم يطعن بعد .

ونقل الروياني الخلاف وصح ما جزم به الماردي ، واستدل القاضي حسين لأنه
مخوف بنهي النبي ﷺ عن الخروج من البلد الذي وقع فيه ، قال : ووجه الدلالة منه أنه
إذا وقع ببلد يصيب جميع أهله .

(١) ما بين القوسين ساقط من الهند .

كذا قال ، وليست هذه الدلالة ظاهرة ، ولو كان كذلك لاستمر الحكم فيمن خرج من البلد المذكور غير فارٍ من الطاعون بل لأمر آخر كما تقدم ، فلم يحسب تصرفه إلا من الثث ، ولا أحسب أحدا يقول بذلك .

وحاول الزركشي تنزيل الوجهين على حالين ، فالقول بأنه مخوف عند ظهوره في الحالة التي يقع فيها فاشيا جدا ، بحيث يقيم الأيام اليسيرة ويذهب أكثر أهل البلد ، حتى تجيف الموتى في بيوتهم ، وتغلق عليهم أبوابها لعدم من يتفرغ لدفنهم ، كما حكى عن طاعون الجارف .

والقول بأنه غير مخوف إلا في حق من نزل به حيث يقع ويفشو ، لكن يقع الموت فيه بالتدرج ويمتد زمانه ، كما وقع كثيرا في الأزمان المتأخرة . وهو تفصيل حسن ، (ويلتحق بذلك ما إذا فشا فشا ظاهرا في طائفة من أهل البلد دون طائفة ، كما لو فشا في الرقيق والأطفال دون الرجال والاكابر فكان فيهم نادرا ، فإنه يقوي القول بأنه في هذه الحالة غير مخوف والله أعلم .) ^(١) وحكى المنبجي عن مذهب أحمد روايتين ، وقال : نص في رواية إسحاق بن منصور وقد سئل عن الطاعون وركوب البحر وحضور القتل فقال : لا يجوز إلا من الثث . فكان فشو الطاعون مثل ركوب البحر ، ومن نزل به الطاعون مثل من انكسرت به المركب مثلا ، والرواية الثانية عن أحمد : يجوز من رأس المال . يعني حتى ينزل به ، رواها صالح بن أحمد عن أبيه .

قال : ووجه الأولى : أن الموت فيه متوقع فصار كما لو حضر بين الصفيين ، فلا يأمن من أن يصاب بما أصيب به غيره ؛ لأنه يرى الموت يتخطف جيرانه ، بل وبعض من في منزله ، فسلامته منه ليست غالبية .

وجه الثانية : أن عطية الأصحاء نافذة من رأس المال ، وهذا صحيح البدن ، ودعوى الأطباء أن الطاعون ناشئ من فساد الهواء ، فيعم كل من استنشقه مردودة كما تقدم ، ووجود السبب العام لا يساوي وجود السبب الخاص ؛ فإن صاحب السبب الخاص قد أصيب ، وصاحب السبب العام لم يُصَب بعد ، فكيف يتساوى من يتوقع المرض الذي يتوقع منه الموت ، ومن يتوقع الموت . انتهى .

(١) ما بين القوسين ساقط من تركيا والرباط .

ثم قال المنبجي : لم أر للمالكية والحنفية في ذلك كلاما .

(قلت : والمسألة منقولة في كتب المالكية وعندهم فيها روايتان ، المرجح منها عندهم أن حكمه حكم الصحيح ، وأما الحنفية^(١) فلم ينصوا على خصوص المسألة ، ولكن قواعدهم تقتضي أن يكون الحكم كما هو المصحح عند المالكية ، هكذا قال لي جماعة من علمائهم ، ويحصل من ذلك أن المرجح عند متأخري الشافعية مرجوح عند أكثر العلماء من غيرهم والله أعلم .

ويتفرع على كونه في حكم المرض المخوف ما ذكر من الخلاف في من نزل به المرض المخوف إذا طلق امرأته طلاقا بائنا ، هل ترثه إذا مات وهي في العدة كما هو القول القديم أولا؟ وغير ذلك من الفروع .

وأما استحباب أن يكون ميله إلى الرجاء أكثر من الخوف أو يساوي بينهما فظاهر في الحالة المذكورة إذا قلنا مخوفاً .

وأما المبادرة إلى رد المظالم والتبعات ، والتوبة من الذنوب والمخالفات ، والاستغفار من الدخول فيما لا يعنيه ، فلا شك في استحبابه ، بل وجوبه على الحالين ، بل هو مشروع في كل حال ، إلا أنه يتأكد في حق المريض ولو كان مرضه غير مخوف ، وعند وقوع الموت العام أكد للخلاف في كونه مخوفاً ، ويزداد تأكده في المخوف ، وهو في حق من نزل به الطاعون أكد ، والله أعلم .

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

[الفصل الثالث]

في بيان ما يختز به أيام وقوع الطاعون وغیره من الأمراض العامة واتصل بذلك الكلام على العدوى أيضا

المسألة الثالثة :

تستنبط من أحد الأوجه في النهي عن الدخول إلى بلد الطاعون . وهو منع التعرض إلى البلاء ، ومن الأدلة الدالة على مشروعية النواء ، التحرز في أيام الوباء من أمور أوصى بها حذاق الأطباء مثل : إخراج الرطوبات الفضلية ، وتقليل الغذاء ، وترك الرياضة ، والمكث في الحمام ، وملازمة السكن والدعة ، وأن لا يكثر من استنشاق الهواء الذي عفن .

وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بأن أول شيء يبدأ به في علاج الطاعون الشرط إن أمكن ، فيسيل ما فيه ولا يترك حتى يجمد فتزداد سميته ، فإن احتيج إلى مصه بالمحجمة فليفعل بلطف .

وقال أيضا : يعالج الطاعون بما يقبض ويبرد ، بإسفنجة مغموسة في خل وماء ، أو دهن ورد ، أو دهن تفاح ، أو دهن أس ، ويعالج بالاستقراغ بالفصد بما يحتمله الوقت ، أو يوجر ما يخرج الخلط ، ثم يقبل على القلب بالحفظ والتقوية بالمبردات والمعطرات ، ويجعل على القلب من أدوية أصحاب الخفقان الجبانز .

قلت : وقد أغفل الأطباء في عصرنا وما قبله هذا التدبير ، فوقع التفريط الشديد من توأطنهم على عدم التعرض لصاحب الطاعون بإخراج الدم ، حتى شاع ذلك فيهم وذاع ، بحيث صار عامتهم يعتقد تحريم ذلك ، وهذا النقل عن رئيسهم يخالف ما اعتمده ، والعقل يوافق كما تقدم أن الطعن يثير الدم الكائن فيهيح في البدن ، فيصل إلى مكان منه ، ثم يصل أثر ضرره إلى القلب فيقتل ، ولذلك قال ابن سينا لما ذكر العلاج بالشرط أو الفصد : إنه واجب .

وذكر جمع من الأطباء فيما يحذره الصحيح في زمن الطاعون : مخالطة من أصابه الطاعون .

قال القاضي تاج الدين : قد رأينا العامة تمتنع من ذلك ، حتى تركوا عبادة المطعون ، والذي نقوله في ذلك : إن شهد طبيبان عارفاً مسلمان عدلان أن ذلك سبب في أذى المخالط ، فالامتناع من مخالطته جائز ، وأبلغ من ذلك .

قلت : لا تقبل شهادة من يشهد بذلك ؛ لأن الحس يكذبه ، فهذه الطوائع قد تكررت وجودها ^(١) في الديار المصرية والشامية ، وقل أن يخلو بيت منها ويوجد به مَنْ أصيب به مَنْ يقوم عليه من أهله وخاصته ، ومخالطتهم له أشد من مخالطة الأجانب قطعاً ، والكثير منهم بل الأكثر سالم من ذلك ، فمن شهد بأن ذلك سبب في أذى المخالط فهو مكابر ، وقد تقدم من الكلام في إبطال العدى ما يفني عن إعادته ، وتاج الدين - رحمه الله - جرى على إثبات العدى بطريق العادة ، وأن الذي ورد في نفي العدى إنما المراد به أنها لا تعدي بطبيعتها .

وقد قال القرطبي في المفهم : العدى من أوهام جهال العرب ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن المريض إذا دخل في الأصحاء أمرضهم ، فنفى النبي ﷺ ذلك وأبطله ، وأزاح شبهتهم بكلمة واحدة وهو قوله : " فمن أعدى الأول ؟ " ومعناه : من أين جاء الجرب ، أم من بعير آخر أجريه ، فيلزم التسلسل إلى ما لا نهاية له وهو محال ، أو من سبب غير البعير ، فالذي فعل الجرب الأول هو فعل الجرب الثاني ، وهو الله الخالق لكل شيء ، والقادر على كل شيء .

قال : وهذه الشبهة التي وقعت لهؤلاء ، هي التي وقعت للطبايعيين أولاً ، فقالوا بتأثير الأشياء بعضها في بعض ، وسموا المؤثر طبيعة ، وللمعتزلة ثانياً في أفعال الحيوانات وقالوا : إن قدرتهم مؤثرة فيها بالإيجاد ، وأنهم الخالقون لأنفعالهم مستقلون باختراعها ، واستند الطائفتان إلى المشاهدة الحسية ، وربما نسبوا منكر ذلك إلى إنكار البدئية وهو غلط ، وسببه التباس إدراك الحس بإدراك العقل ، فإن الذي شاهده إنما هو تأثير شيء عند شيء آخر وهذا حظ الحس ، أما تأثيره فيه فلا يدرك حساً بل عقلاً ، والله أعلم .

قلت : فالمحصل من المذاهب في العدى أربعة :

الأول : أن المرض يعدي بطبعه صرفاً ، وهذا قول الكفار .

(١) في الرباط (سخولها).

الثاني : أن المرض يعدي بأمر خلقه الله تعالى فيه ، وأودعه فيه لا ينفك عنه أصلا ، إلا إن وقع لصاحب معجزة أو كرامة فيختلف ، وهو مذهب إسلامي لكنه مرجوح .

الثالث : أن المرض يعدي لكن لا بطبعه ، بل بعبادة أجزاها الله تعالى فيه غالبا ، كما أجرى العادة بإحراق النار ، وقد يتخلف ذلك بإرادة الله ، لكن التخلف نادراً في العادة .

الرابع : أن المرض لا يعدي بطبعه أصلا ، بل من اتفق له وقوع ذلك المرض فهو بخلق الله سبحانه وتعالى ذلك فيه ابتداءً ، ولهذا يرى الكثير ممن يصيبه المرض الذي يقال إنه يعدي ، يخالطه الصحيح كثيرا ولا يصيبه شيء ، ويرى الكثير ممن لم يخالط صاحب ذلك المرض أصلا ، يصيبه ذلك المرض ، وكل ذلك بتقدير الله .

والمذهبان الأخيران مشهوران ، والذي يترجح في باب العدوى هو المذهب الأخير ، عملا بعموم قوله ﷺ : " لا يعدي شيء شيئا " ، وقوله ﷺ ردا على من أثبت العدوى : " فمن أعدى الأول " ، كما تقدم تقريره ^(١) والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * * * *

* * *

*

(١) زاد هنا في نسخة تيمور (في الباب الرابع في الفصل الثاني منه عند مساق الكلام في بيان الجمع بين حديثي العدوى) وكانها زيادة من الناسخ.

[الفصل الرابع]

ذكر الآداب المتعلقة بمن أصابه الطاعون أو غيره من الأسقام

الأدب الأول : سؤال الله العافية والاستعاذة من السقم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخيفة ﴾ (١)
وقال النبي ﷺ : " يا عباس ، أكثر من الدعاء بالعافية " أخرجه الحاكم (٢) من
حديث (٣) ابن عباس وصححه .
وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : " ما سئل الله شيئا أحب إليه من العافية " .
أخرجه الترمذي (٤) واستقره ، وصححه الحاكم فوهم ؛ فإن في سنده ضعفا (٥) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل
من : اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة " . أخرجه ابن ماجة (٦) ، ورواه ثقات
(مخرج لهم في الصحيحين ، إلا أنه من رواية العلاء بن زياد البصري عن أبي هريرة ،
وفي سماعه من أبي هريرة عندي نظر .) (٧)

وعن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال : " إن الناس لم يعطوا بعد اليقين خيرا
من العافية " . أخرجه الترمذي والنسائي (٨) من طرق بعضها صحيح .

وعن عثمان بن أبي العاص : أنه شكى إلى النبي ﷺ وجعا يجده في جسده فقال :
" ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا . وقل سبع مرات : أعوذ

(١) الأعراف : ٥٥ .

(٢) المستدرک (١/٥٢٩) وقال : صحيح على شرط البخاري .

(٣) في الرباط (طريق) .

(٤) الترمذي (٥٥٢/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ١٠٢ - باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) في الرباط (ضعيفا) .

(٦) ابن ماجة (١٢٦٦/٢) ٣٤ - كتاب الدعاء ٥ - باب الدعاء بالعرف والعافية .

(٧) ما بين القوسين ساقط من تيمور .

(٨) الترمذي (٥٥٧/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، باب ١٠٦ .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٠١ وما بعدها) .

بأله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". رواه مسلم ومالك (١) وعنده "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد"، وكذا أخرجه أبو داود والترمذي (٢) وفيه "امسح بيمينك"، وعند الترمذي (٣) نحوه من حديث أنس وزاد: "أنه يرفع يده في كل مرة".

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: "خرج عليّ خراج في عنقي فتخوفت منه، فأخبرت عائشة فقلت: سلمي لي رسول الله ﷺ، فسألته فقال: "ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: بسم الله، اللهم أذهب عني شر ما أجد وفحشته بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك، بسم الله". قالت: فقلتها فذهب. أخرجه الطبراني في الدعاء (٤).

وعن أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفاك على هذا الوجع. فيبرأ (بإذن الله) (٥)". أخرجه أبو داود (٦).

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا من الأوجاع كلها ومن الحمى: "بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نغار، ومن شر حر النار". أخرجه الطبراني والترمذي وابن ماجه (٧)، وسيأتي شيء من هذا في آخر العيادة.

-
- (١) مسلم (١٧٢٨/٤) ٢٩ - كتاب السلام، ٢٤ - باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء. الموطأ (٩٤٢/٢) ٥٠ - كتاب العين، ٤ - باب التعمد والرقية في المرض.
- (٢) أبو داود (١٢/٤) كتاب الطب، باب كيف الرقى.
- الترمذي (٤٠٨/٤) ٢٩ - كتاب الطب، باب ٢٩.
- (٣) الترمذي (٥٧٤/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات، ٢٦ - باب في الرقية إذا اشتكى.
- (٤) الطبراني في كتاب الدعاء (١٣٣٦/٣) حديث ١١٣٥.
- (٥) زيادة من الحرم.
- (٦) أبو داود (١٢/٤) كتاب الطب، باب كيف الرقى.
- (٧) المعجم الكبير (٢٢٥/١١).
- الترمذي (٤٠٥/٤) ٢٩ - كتاب الطب، باب ٢٦.
- ابن ماجه (١١٦٥/٢) ٣١ - كتاب الطب، ٣٧ - باب ما يعوذ به من الحمى.

الأدب الثاني : الصبر على قضاء الله والرضى بما يقدره ، وبيان ما في ذلك باختصار :

عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : " عجا لأمر المؤمن ، إن أمره له كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " . رواه مسلم (١) .

وعن سخيرة (٢) قال : قال رسول الله ﷺ : " من أعطي فشكر ، وإبتي فصبر وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر " . قالوا : يارسول الله ماله؟ قال : " أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " . أخرجه أبو نعيم في كتاب المعرفة بسند ليين .

وعن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : " من يرد الله به خيرا يصب منه " . أخرجه البخاري (٣) .

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : " إذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع " . أخرجه أحمد ورواته ثقات ، وأخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه (٤) من حديث أنس ولفظه : " إن عظم (٥) الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط " .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل ، فما يزال يبئليه بما يكره حتى يبلغه إياها " . أخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأخرجه أحمد وأبو داود (٦) من طريق محمد بن خالد عن أبيه عن جده قال :

(١) مسلم (٢٢٩٥/٤) ٥٢ - كتاب الزهد والرقائق ١٢ - باب المؤمن كله خير .

(٢) سخيرة : بفتح المهملة ، بعدها معجمة ساكنة ، ثم موحدة مفتوحة ، ثم راء ، ثم هاء ، هو الأزدي (منه رحمه الله) .

(٣) البخاري (١٠٢/١٠) ٧٥ - كتاب الرضى ، ١ - باب ما جاء في كفارة المرضى .

(٤) المسند (٤٢٧/٥) .

الترمذي (٦٠١/٤) ٢٧ - كتاب الزهد ، ٥٦ - باب ما جاء في الصبر على البلاء .

ابن ماجه (١٣٢٨/٢) ٣٦ - كتاب الفتن ، ٢٢ - باب الصبر على البلاء .

(٥) عظم : بضم العين المهملة ، وسكون الظاء المعجمة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٦) سبق تخريجه ص ١٢٨ .

سمعت رسول الله ﷺ : فذكر نحوه ، وقال : " ابتلاه الله في جسده أو ماله أو ولده ، ثم صبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له " .

وعن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ : " ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها " . أخرجاه في الصحيحين واللفظ للبخاري (١) . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " من أصيب بمصيبة في ماله أو في نفسه ، فكتمها ولم يشكها إلى الناس ، كان حقا على الله أن يغفر له " . أخرجه الطبراني بسند لا بأس به (٢) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " قال الله عز وجل : إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده ، أطلقته من إساري (٣) ، ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، ثم يستأنف العمل " . أخرجه الحاكم (٤) وصححه ، وأصله في الموطأ (٥) من مرسل عطاء بن يسار بمعناه ، وقال بدل قوله : " فلم يشكني إلى عواده " : " حمد الله وأثنى عليه " ، وفيه : " وإن توفيت أن أدخله الجنة " .

وعن عائشة : أن النبي ﷺ قال : " إذا اشتكى المؤمن أخضه الله من الذنوب كما يخلص الكير خبث الحديد (٦) " . أخرجه الطبراني وصححه ابن حبان (٧) .

الأدب الثالث : في الترغيب في حسن الظن بالله تعالى .

وهو يتأكد في حق من وقع في الأمراض المخوفة ، وطريق من وقع له ذلك أن

(١) البخاري (١٠٠/١٠٣) - ٧٥ - كتاب المرضى ، ١ - باب ما جاء في كفارة المرضى .

مسلم (٤/١٩٩٢) - ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١٤ - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك .

(٢) المعجم الكبير (١١/١٨٤) .

(٣) إساري : بكسر الهمزة ، بعدها مهمله خفيفة . (منه رحمه الله تعالى) .

(٤) المستدرک (١/٣٤٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٥) الموطأ (٢/٩٤٠) - ٥٠ - كتاب العين ، ٣ - باب ما جاء في أجر المريض .

(٦) خبث الحديد : بفتح الخاء المعجمة ، والوحدة ، بعدها مثناة ، هو وسخه . (منه رحمه الله تعالى) .

(٧) ابن حبان : " موارد الظمان " (ص ١٦٩ ، ح ٦٩٥) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٠٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات ، إلا أنني لم أعرف شيخ الطبراني .

يستحضر أنه حقير في مخلوقات الله تعالى ، وأن رحمة الله تَسَعُ أمثال أمثال أمثاله ، وأن الله غني عن تعذيبه ، ويعترف بذنوبه وتقصيره ، ويعتقد أنه لا ينفعه في الصفح والعمو عنها عمله ، ولا شفاعة غيره إن لم يأذن الله في ذلك ، ويستحضر آيات الرجاء وأحاديثها .

قال معتمر بن سليمان : قال لي أبي عند موته : حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به .

ويترجمه بكليته إلى سؤال ربه أن يختم له بالحسنى ، ويميته على التوحيد .

ومن أحسن ما ورد في حسن الظن ، ما ثبت في صحيح البخاري (١) عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : " سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء (٢) لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة ، ومن قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة " .

وأخرج الترمذي (٣) من حديث أبي سعيد بسند حسن مرفوعا : " من قال لا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله ، ولا قوة إلا بالله ، من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار " .

الأدب الرابع : في العيادة وفضلها .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " من عاد مريضا ناداه مناد من السماء : طيب وطاب ممشاك ، وتبوات من الجنة منزلا " . أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن حبان وصححه (٤) .

(١) البخاري (٩٧/١١) ٨٠ - كتاب الدعوات ، ٢ - باب أفضل الاستغفار .
(٢) أبوء : بموحدة مضمومة ومدة ، أي : أعترف . (منه رحمه الله تعالى) .
(٣) الترمذي (٤٩٢/٥) ٤٩ - كتاب الدعوات ، ٢٧ - باب ما يقول العبد إذا مرض .
(٤) الترمذي (٣٦٥/٤) ٢٨ - كتاب البر والصلة ، ٦٤ - باب ما جاء في زيارة الإخوان .
ابن حبان : 'موارد الظمان' (ص ١٨٣ ، ح ٧١٢) .

وعن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ قال : " إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع " . قالوا : يا رسول الله ، ما خرفة الجنة؟ قال : " جناها " (١) أخرجه مسلم (٢) .

وعن علي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما من مسلم يعود مسلما غنوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة " . رواه الترمذي وحسنه وقال : وقد روي موقوفاً (٣) . وكذا أخرجه أحمد وأبو داود موقوفاً ومرفوعاً (٤) .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها " أخرجه مالك بلاغاً ، وأحمد والبخاري ، وصححه ابن حبان (٥) .

وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : " من عاد مريضاً لم يحضر أجله ، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم أن يشفيك . إلا عافاه الله من ذلك المرض " . أخرجه أصحاب السنن ، وصححه ابن حبان (٦) .

(١) خُرْفَةُ الْجَنَّةِ: بضم الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، بعدها فاء ، فسرها في الحديث أنه جناها: بفتح الجيم وتخفيف التون وهو ما يجنى ، أي: ما يقطف من الثمار ، وإنما قيل له خرفة : لأنه يقع غالباً في الحجاز في الخريف ، ويقال للروض خريف لذلك. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) مسلم (١٩٨٩/٤) ٤٥ - كتاب البر والصلة ، ١٢ - باب فضل عيادة المريض.

(٣) الترمذي (٢٩١/٣) ٨ - كتاب الجنائز ، ٢ - باب ما جاء في عيادة المريض.

(٤) المسند (١٢١/١) .

أبو داود (١٨٥/٣) كتاب الجنائز ، باب في فضل العيادة.

(٥) الموطأ (٩٤٦/٢) ٥٠ - كتاب العين ، ٧ - باب عيادة المريض والطيرة.

المسند (٣٠٤/٣) .

البيزار: كشف الاستار* (٣٦٨/١) .

ابن حبان: "موارد الظمان" (ص ١٨٣ ، ح ٧١١) .

(٦) أبو داود (١٨٧/٣) كتاب الجنائز ، باب الدعاء للمريض عند العيادة.

الترمذي (٤١٠/٤) ٢٩ - كتاب الطب ، باب ٣٢ .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٦٩) ، ح ١٠٤٢ .

ابن حبان: "موارد الظمان" (ص ١٨٣ ، ح ٧١٤) .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا دخلتم على المريض فنفسوا له (١) في أجله ، فإن ذلك لا يرد شيئاً ، وهو يطيب نفس المريض " . أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندين (٢) .

ويدخل فيه حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ عاد أعرابياً ، وكان إذا دخل على من يعودُه قال : " لا بأس طهور إن شاء الله " . الحديث في الصحيح (٣) .

وعن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً مسح وجهه وسدده بيده وقال : " اذهب الباس ، رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر (٤) سقماً " . أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة (٥) .
وفي رواية (٦) : " امسح الباس ، رب الناس ، بيدك الشفاء ، لا كاشف له إلا أنت " .

وعن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله ﷺ قال : " إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل : اللهم اشف عبدك ، يَنْكأُ (٧) لك عدوا ، ويمشي إلى صلاة " . أخرجه أبو داود (٨)

(١) فنفسوا له : بقاء ومهمله ، من التفتيش ، أي : وسعوا له في أجله . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) الترمذي (٤١٢/٤) ٢٩ - كتاب الطب ، باب ٣٥ .

ابن ماجة (٤٦٢/١) ٦ - كتاب الجنائز ، ١ - باب ما جاء في عيادة المريض .

(٣) البخاري (١١٨/١٠) ٧٥ - كتاب المرضى ، ١٠ - باب عيادة الأعراب .

(٤) لا يغادر : يفين معجمة ، أي : لا يترك . (منه رحمه الله تعالى) .

(٥) البخاري (٢٠٦/١٠) ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٨ - باب رقية النبي ﷺ .

مسلم (١٧٢١/٤) ٣٩ - كتاب السلام ، ١٩ - باب استحباب رقية المريض .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٥٧ ، ح ١٠١٦) .

ابن ماجة (١١٦٢/٢) ٢١ - كتاب الطب ٣٦ - باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به .

(٦) البخاري في الموضع السابق .

النسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٥٨ ، ح ١٠٢٠) .

(٧) ينكأ : بفتح أوله ، وسكون النون وبالهزنة ، أي : يطعن ، يقال نكأت القرحة إذا طعنتها فاستخرجت ما فيها ، وصوب بعضهم أنه بضم أوله وكسر الكاف بغير همز ، من الكناية وهو موجه ، واستبعد الأول : لأن الذي ينكأ القرحة لاستخراج ما فيها يكون محسناً لمن يفعل به ذلك ، والسياق يقتضي أنه يسيء إليه لكونه سماً عدواً ، وليس المراد ذلك ، وإنما المراد أصل الطعن فيها ، فعليه وقع التشبيه ، لا إلى ما يؤول إليه الأمر ، أو يراد به في الأصل ، وقد ثبت في الروايات المعتمدة بفتح أوله والهزنة ، فلا يلتفت إلى من أنكر ذلك مع توجيهه . (منه رحمه الله تعالى) .

(٨) أبو داود (١٨٧/٣) كتاب الجنائز ، باب الدعاء للمريض عند العيادة .

المسند (١٧٢/٢) .

وعن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد خرج في أصبعي
بثرة ، فقال : " عندك ذريرة؟" (١) فوضعها عليها وقال : " قولى : اللهم مصفر الكبير
ومكبر الصغير صفرا ما بي " . فطفت (٢) .

وعن عائشة : أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء ، أو كانت قرحة أو
جرح ، قال بإصبعه هكذا بالأرض وقال : " بسم الله ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ،
يشفى سقيمنا ، بإذن ربنا " . أخرجه البخاري ومسلم (٣) .

وعن أبي سعيد الخدري : أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟
قال : نعم . قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، ومن شر كل نفس أو عين
حاسد ، الله يشفيك " . أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح . والنسائي وهو عند
مسلم أيضا (٤) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم
يده على جبهته أو على يده فيسأله كيف هو " . أخرجه الترمذي بسند لين (٥) .

(١) نريرة : بفتح المعجمة ، نوع من الطيب معروف . (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) فطفت : بالهمز ، أي : خدمت . (منه رحمه الله تعالى) .

والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢٧٠/٥) .

والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٥٦٢ ، ح ١٠٣١) لكن بسياق مختلف ، ولفظه : عن مريم بنت
إياس ، عن بعض أزواج النبي ﷺ : أن النبي ﷺ دخل عليها فقال : " عندك نريرة " قالت :
نعم . فدعا بها فوضعها على بثرة بين أصابع رجله ، ثم قال : " اللهم مطفى الكبير ، ومكبر
الصغير ، اطفئها عني " . فطفت .

(٣) البخاري (٢٠٦/١٠) - ٧٦ - كتاب الطب ، ٢٨ - باب رقية النبي ﷺ .

مسلم (١٧٢٤/٤) - ٢٩ - كتاب السلام ، ٢١ - باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة
والنظرة .

(٤) الترمذي (٢٩٤/٣) - ٨ - كتاب الجنائز ، ٤ - باب في التعوذ للمريض .

النسائي وعمل اليوم والليلة (ص ٥٥٣ ، ح ١٠٠٥) .

مسلم (١٧١٨/٤) - ٢٩ - كتاب السلام ، ١٦ - باب الطب والمرض والرقى .

(٥) الترمذي (٧٦/٥) - ٤٢ - كتاب الاستئذان ، ٣١ - باب مما جاء في المصافحة .

المسند (٢٦٠/٥) .

وعن الأصْبَغ بن نُباتة (١) قال : دخلت مع علي بن أبي طالب على الحسن بن علي نعوذه ، فقال له : كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال : أصبحت بحمد الله بارئاً .
قال : كذلك إن شاء الله . أخرج الطبراني في الدعاء (٢) .

وفي صحيح البخاري (٣) عن ابن عباس : أن علياً خرج من عند رسول الله ﷺ ، فقال له الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً. (٤)

* * * * *

* * *

*

(١) الأصْبَغ بن نُباتة: بفتح الهمزة ، وسكون المهملة ، وفتح الموحدة ، ثم معجمة ، بوزن أحمد. نباتة: بضم النون ، بعدها موحدة خفيفة. (منه رحمه الله تعالى).

(٢) الطبراني في الدعاء (١٣٣٧/٣) حديث ١١٣٨ .

(٣) البخاري (١٤٢/٨) ٦٤ - كتاب المغازي ، ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

[الفصل الخامس]

ذكر كشف مشكل ما في هذا الباب الخامس

من الغريب وغيره

قوله : الأواء : جمع داء .

قوله : حل العبا : بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع حَبْوَة : بضم أوله وسكون ثانيه ، ثوب يلف به على الظهر والركبتين ، ويستريح به الجالس ، وكأنه أراد أنه نهض في جمعه وحل حَبْوَتَه ، أو أشار إلى أنه ينبغي النهوض في الدعاء .

قوله : جناها : بفتح الجيم وتخفيف النون ، أي طيب ثمرها ، وأراد به الخير .

قوله : فيعتجان : بالجيم ، أي : يتصارعان ، وكأنه من المعالجة .

قوله : عثمان بن عمير : بالتصغير .

وزاذان : أوله زاي معجمة .

وعَلِيم : بمهمله ولام مصفر .

قوله : فيستعيب : بكسر المثناة قبل الموحدة التي في آخره .

قوله : الشُرْطُ : بضم المعجمة ، وفتح الراء .

قوله : عابس : بموحدة بعد الألف ، ثم سين مهملة .

والأثرة في الحكم : بفتح الهمزة والمثناة .

قوله : إمرة الصبيان : بكسر الهمزة .

قوله : سَخْبُرة : بفتح المهملة ، بعدها معجمة ساكنة ، ثم موحدة مفتوحة ، ثم راء ،

ثم هاء ، هو الأزدي .

قوله : عظم : بضم العين المهملة ، وسكون الظاء المعجمة .

قوله : إسارى : بكسر الهمزة ، بعدها مهملة خفيفة .

قوله : خبث الحديد : بفتح الخاء المعجمة ، والموحدة ، بعدها مثناة ، هو وسخه .

والكبير : بكسر الكاف بعدها تحتانية ساكنة ، معروف .

قوله : أبوء : بموحدة مضمومة ومدة ، أي : أعترف .

قوله : حُرْفَة الجنة : بضم الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، بعدها فاء ، فسرها في

الحديث أنه جناها : بفتح الجيم وتخفيف النون ، وهو ما يجنى ، أي ما يقطف من

الشار ، وإنما قيل له خرفة ؛ لأنه يقع غالباً في الحجاز في الخريف ، ويقال للروض خريف لذلك .

قوله : فنفسوا له : بقاء ومهملة ، من التنفيس ، أي وسعوا له في أجله .

وقوله : لا يفادر : بفتح معجمة ، أي لا يترك .

قوله : ينكأ : بفتح أوله ، وسكون النون وبالهزمة ، أي يطعن ، يقال : نكأت القرحة . إذا طعنتها فاستخرجت ما فيها . وصوب بعضهم أنه بضم أوله ، وكسر الكاف ، بغير همز ، من النكاية وهو موجه ، واستبعد الأول ؛ لأن الذي ينكأ القرحة لاستخراج ما فيها يكون محسناً لمن يفعل به ذلك ، والسياق يقتضي أنه يسيء إليه لكونه سماه عدواً ، وليس المراد ذلك ، وإنما المراد أصل الطعن فيها ، فعليه وقع التشبيه ، لا إلى ما يؤول إليه الأمر ، أو يراد به في الأصل ، وقد ثبت في الروايات المعتمدة بفتح أوله والهزمة ، فلا يلتفت إلى من أنكّر ذلك مع توجيهه .

قوله : ذريرة : بفتح المعجمة ، نوع من الطيب معروف .

قوله : فطفنت : بالهمز أي خمدت .

قوله : الأصْبَغُ : بفتح الهزمة ، وسكون المهملة ، وفتح الموحدة ، ثم معجمة ، بوزن

أحمد .

قوله : نباتة : بضم النون ، بعدها موحدة خفيفة .

* * * * *

* * *

*

خاتمة

في الإشارة إلى الطواعين الواقعة في الإسلام

وقد ذكر المدائني ثم ابن أبي الدنيا وابن قتيبة منها يسيرا ، وتوسع بعض المتأخرين ممن أدركناه فسرده نحواً من أربعين فصلاً ، لكن الكثير منها في مطلق ما وقع فيه الفناء الكثير ، بمثل الجوع الناشئ عن القحط ، أو بسبب الحمى بالنافض ، أو بسبب الموت بالنزلات ، وقد اقتصرنا من ذلك على خصوص ما وقفت عليه من الموت بالطاعون ، فأقول :

الطواعين الواقعة في القرن الأول

قال أبو الحسن المدائني : كانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة طواعين : طاعون شيرويه بالمدائن في عهد رسول الله ﷺ ، ثم طاعون عمواس في زمن عمر كان بالشام ، مات فيه خمسة وعشرون ألفاً ، ثم طاعون الجارف سنة تسع وستين ، ثم طاعون الفتيات سنة سبع وثمانين . (وذكر الخامس وذكر عشرة زيادة على ذلك) (١) .

وقد تقدمت الإشارة إلى طاعون عمواس ، وإلى الطاعون الذي وقع في زمن أبي موسى الأشعري بالكوفة ، وإلى الطاعون الذي فر المغيرة بن شعبه بسببه ، حيث كان أمير الكوفة ويُدر الله أن مات فيه ، وذلك سنة خمسين ، وكان بمصر سنة ست وستين طاعون ، ثم في سنة وفاة عبد العزيز بن مروان سنة خمس وثمانين ، وقيل : سنة اثنين ، وقيل : سنة أربع ، وقيل ست .

قال المدائني : وقع الطاعون بمصر ، ففر عبد العزيز بن مروان وكان أميرها يومئذ ، إلى قرية له فأقام بها ، فقدم عليه بها رسول من قبيل أخيه عبد الملك وهو خليفة ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك؟ قال : طالب بن مدرك . فقال عبد العزيز : أوه ما أراني راجعاً إلى الفسطاط . فمات في تلك القرية .
ثم الطاعون الذي مات فيه زياد .

ثم طاعون الجارف واختلف في سنته ، فقيل : سنة تسع وستين ، وقيل : سنة اثنين وسبعين ، وقيل سنة سبعين ، وقيل غير ذلك .
وفي سنة سبع وثمانين كان طاعون الفتيات ، لكثرة من مات به من النساء الشواب .

(١) ما بين القوسين زيادة من الهند.

ثم طاعون الأشراف ، وقع والحجاج بواسط ، حتى قيل فيه : لا يكون الطاعون والحجاج .

للطواعين الواقعة في القرن الثاني :

ثم طاعون عدي بن أرطاة سنة مائة ، ثم في سنة سبع ومائة ، ثم في سنة خمسة عشر ومائة ، (كلاهما بالشام . ثم كان طاعون غراب سنة سبع وعشرين ومائة) (١)

ثم طاعون سلم بن قتيبة سنة إحدى وثلاثين ومائة ، قال المدائني : كان بالبصرة في شهر رجب ، واشتد في رمضان ، ثم خف في شوال ، وبلغ في كل يوم ألف جنازة .

وهذا كله في الدولة الأموية ، بل نقل بعض المؤرخين أن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام ، حتى كان خلفاء بني أمية إذا جاء زمن الطاعون يخرجون إلى الصحراء ، ومن ثم اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة منزلاً ، وكانت بلداً قديمة للروم ، ثم خف ذلك في الدولة العباسية ، فيقال : إن بعض أمرائهم بالشام خطب فقال : احموا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم ، فقام بعض من له جرأة فقال : الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون .

وكان في الدولة العباسية في سنة أربع وثلاثين طاعون بالري .

ثم في سنة ست وأربعين ببغداد .

للطواعين الواقعة في القرن الثالث

(ثم في سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة ، ذكره في المنتظم وقال : مات فيه خلق كثير ، حتى كان لشخص سبعة أولاد فماتوا في يوم واحد .) (٢)

ثم في سنة تسع وأربعين ومائتين طاعون بالعراق .

للطواعين الواقعة في القرن الرابع

ثم في سنة إحدى وثلاثمائة .

ثم في سنة أربع وعشرين طاعون أصهبان .

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط والهند .

(٢) ما بين القوسين ساقط من تركيا .

ثم في سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وكثر الموت بالفجأة فيه ، حتى أن القاضي لبس ثيابه ليخرج إلى الحكم فطعن فمات وهو يلبس فردة خُفٍّ .

[الطواعين الواقعة في القرن الخامس]

ثم في سنة ست وأربعمئة كان طاعون البصرة .

ثم كان في سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة طاعون عظيم ببلاد الهند والعجم ، كثر في غزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ونواحي الجبل إلى حلوان وامتد إلى الموصل ، حتى يقال إنه خرج من أصبهان وحدهما أربعون ألف جنازة ، ثم امتد إلى بغداد .

ثم وقع بشيراز في سنة خمس وعشرين ، حتى كانت اللور تسد أبوابها على أهلها وهم موتى لقلة من يدفنهم . ثم انتقل إلى واسط ، الأهواز ، وأنصرة ، ثم إلى بغداد حتى كان يموت بها في كل يوم عدد كثير ، فيقال إنه مات بها في أيام يسيرة سبعون ألفا .

ثم في سنة تسع وثلاثين وأربعمئة كان بالموصل والبيزيرة وبغداد ، وصُلِّيَ بالموصل على أربعمئة نفس دفعة واحدة ، وبلغت الموتى ثلاثمئة ألف إنسان . ثم وقع الطاعون في سنة اثنين وخمسين وأربعمئة بالحجاز واليمن ، حتى خربت قرى كثيرة فلم تعمر بعد ، وصار من دخلها هلك من ساعته .

ثم كان الطاعون في سنة خمس وخمسين وأربعمئة بمصر ، فمات بها في عشرة أشهر في كل يوم ألف نفس

ونقل سبط ابن الجوزي في المرآة في حوادث سنة تسع وأربعين وأربعمئة : أنه ورد في جمادى الآخرة كتاب من بخارى أنه وقع عندهم فناء لم يعهد مثله ولا سمع به ، حتى أنه خرج من الإقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان ، وحُصر من مات فيه فكان ألف وستمئة ألف وخمسين ألف شخص .

ثم وقع إلى أذربيجان ، ثم الأهواز ، ثم واسط ، ثم البصرة ، حتى كانوا يحفرون الزبِّيَّة ويلقون فيها العشرين والثلاثين جميعا ، ووقع بسمرقند وبلغ فكان يموت كل يوم ستة آلاف وأكثر ، واشتغل الناس ليلا ونهارا بالتغسيل والتكفين والدفن ، وكان منهم من ينشق قلبه عن دم المهجة فيخرج من فمه قطرة فيخز ميتا ، وربما خرجت من فيه بودة لا يدري ما هي فيموت ، وأغلقت من البلد أكثر من ألفي دار لم يبق بها أحد ، وتاب الناس وتصدقوا ولزموا المساجد والقراءة ، وأراقوا الخمر وكسروا الآلات .

واتفق أن دارا كان بها خمر فمات أهلها في ليلة واحدة ، وأن رجلاً أدخل امرأة هراما فماتا جميعا ، ودخل جماعة داراً فوجدوا رجلاً في النزح ، فأشار لهم إلى خزانة فيها خابية خمر ، فأزاقوها فعوفي من ساعته .

وكان مؤدب للأطفال عنده تسعمائة طفل ، فلم يبق منهم أحد ، ومات من عاشر شوال إلى سلخ ذي القعدة بسمرقند خاصة مائتا ألف وستة وثلاثون ألفا .

وكان ابتداء هذا الطاعون من تركستان ، ثم إلى كاشغر وقرغانة ، ثم دخل سمرقند ولم يدخل بلخ ولا ما وراء النهر ، حتى أن جماعة توجهوا من بخارى إلى بلخ فنزلوا في رباط ، فأصبح الجميع موتى دون أهل بلخ .

قال : وكان عامة الموت في النساء والأطفال والشباب والعواتق والصبيان ، أكثر من الكهول ، ثم في الكهول أكثر من الشيوخ ، وكان في العوام أكثر من الجند ، فالحاصل أنه لم يمض فيه من العساكر والشيوخ والعجائز إلا اليسير ، وكان ابتداء أولاً بالشام ومصر ثم ببغداد في سنة ثمان وأربعين ، فوصل إلى أن كان يموت في مصر فيه كل يوم عشرة آلاف .

ثم كان بمصر في سنة (١) خمس وأربعين وأربعمائة ، وامتد إلى سنة ست ، ابتداء في فصل الربيع ودام إلى أن دخل الخريف ، ذكره ابن بطال (٢) في رسالته ، قال : ودفن السلطان من الأموات ثمانين ألفا .

ثم كان بدمشق في سنة تسع وستين وأربعمائة طاعون ، وكان أهلها نحو خمسمائة ألف شخص ، فلم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وكان من جملتهم مائتان وأربعون خبازا فبقي منهم اثنان .

ثم في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وقع الطاعون بالعراق ، ثم عمُّ الدنيا حتى كان أهل الدرب يموتون فيُسَدِّ الدرب عليهم ، حكاه سبط ابن الجوزي في المرأة .

ثم كان بمصر سنة سبع وسبعين الفناء العظيم لكنه بغير الطاعون .

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط .

(٢) في الحرم وتيمود (ابن بطلان) .

للطواعين الواقعة في القرن السادس

ووقع في سنة خمس وسبعين وخمسمائة فناء عظيم ببغداد .

للطواعين الواقعة في القرن السابع

ثم كان بمصر في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة طاعون كبير مات فيه خلق كثير من أهلها .

للطواعين الواقعة في القرن الثامن

- ثم كان الطاعون العام في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وسيأتي في كلام ابن الوردي والصفدي وابن أبي حجلة وغيرهم بيانه ، ولم يعهد نظيره فيما مضى ، فإنه طبق شرق الأرض وغربها ، ودخل حتى مكة المشرفة كما سيأتي .

ثم وقع في سنة أربع وستين بالقاهرة ودمشق الطاعون ، ولكنه كان أخف من الذي قبله .

ثم في سنة إحدى وسبعين بدمشق .

ثم في سنة إحدى وثمانين بالقاهرة .

ثم في سنة إحدى وتسعين .

للطواعين الواقعة في القرن التاسع

(ثم في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

ثم في سنة تسع عشرة وثمانمائة .

ثم في سنة إحدى وعشرين ، ثم في التي تليها) . (١)

ثم في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وهو أوسع هذه الطواعين كلها وأفظعها ، ولم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين نظير هذا ، وخالف الطواعين الماضية في أمور كثيرة :

منها : أنه وقع في الشتاء وارتفع في الربيع ، وكانت الطواعين الماضية تقع في

(١) ما بين القوسين ساقط من الهند.

فصل الربيع بعد انقضاء الشتاء ، وترتفع في أول الصيف .

ومنها : أن غالب من كان يموت بالطاعون يغيب عقله ، وهذا غالب من يموت به يموت وهو يعقل ، فيتحسّر على نفسه ويوقن بالموت ، ولا يستطيع لنفسه نفعا ، ولا يستطيع أحد من أحبائه عنه دفعا .

ومنها : أنه كثر النقل عن كثير منهم أنه يخبر بمشاهدة خيرات تترى ، ورؤيت له منامات حسنة ، تشتمل على أنواع من البشرى ، فله الحمد على ذلك ، وكان ابتدأه بالديار المصرية في الجانب الأسفل من الأرض ، ثم دخل مصر وبدأ بطرق القاهرة من ناحية الساحل ، ثم كان دخوله القاهرة في أواخر شهر ربيع الآخر ، واشتد الخطب من نصف جمادى الأولى إلى نصف جمادى الآخرة ، ثم تناقص من أول نصف جمادى الآخرة إلى آخر رجب ، فلما دخل شعبان كان قليلا جدا ، إلى أن ارتفع جملة بعد ذلك ، حتى صار لا يدخل ديوان الموتى سوى الأحاد ، كما جرت العادة في غير زمن الطاعون .

(ثم وقع في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بالديار المصرية طاعون ابتداء في رمضان ، فما انسلخ حتى بلغ المائة ، ثم زاد في شوال ، ثم تناقص في ذي الحجة ، إلى أن ارتفع في آخره ، وأكثر ما بلغ في اليوم عن يوثق به ألف نفس .

ثم وقع في سنة سبع وأربعين ، فابتدأ في ذي الحجة فما انسلخ حتى بلغ المائة ، ثم زاد على الألف في المحرم سنة ثمان ، ثم زاد في صفر ، وشرع في النقص في اليوم السادس منه إلى أن ارتفع) (١)

* * * * *

* * *

*

(١) ما بين القوسين ساقط من الرباط وتركيا ، وهذا من الزيادات التي أضافها الحافظ للكتاب بعد أن انتهى من تصنيفه سنة ٨٢٢ هـ ، كما أشار إلى ذلك في نهاية الكتاب.

فصل في بعض ما قيل في وصف الطاعون

وأكثر ما وقع من ذلك في الذي كان في سنة تسع وأربعين ، وأجله وأفضله ما قال لنا شيخنا أبو اليسر أحمد بن عبد الله بن الصايغ ، أخبرنا الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي إجازة مشافهة إن لم يكن سماعاً قال :

هذه مقامة سميتها " النباء عن الوباء " وهي :

الله لي عُدَّة في كل شِدَّة ، حسبي الله وحده ، أليس الله بكاف عبده ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وسلِّمْ ، ونَجِّنَا بجاهه من طغيان الطاعون وسلِّمْ ، طاعون رُوع وأمات ، وابتدأ خبره من الظلمات ، ياله من زائر ، من خمس عشرة سنة دائر ، ما صين عنه الصين ، ولا مُنِعَ منه حصن حصين ، سلُّ هنديةً في الهند ، وأسند على السُّند ، وقبض بكفه وشبك ، على بلادك أُرْثَك ، وكم قصم من ظهر ، فيما وراء النهر ، ثم ارتفع ونجم ، وهجم على العجم ، وأوسع الخطأ ، إلى أرض الخطأ ، وقَرَمَ القَرَمَ ، ورمى الروم بجرم مضطرم ، وجرَّ الجرائر ، إلى قبرص والجزائر ، ثم قهر خلقاً بالقاهرة ، وتنبهت عينه بمصر فإذا هم بالساهرة ، وسكُنَّ حركة الإسكندرية ، فعمل شغل الفقراء الحريرية ، وأخذ من دار الطُّرَاز طِرَاز الدار ، وصنع بصنأعها ماجرت به الأقدار ،
إسكندرية ذا الوباء . . . سَبَّعُ يَمِدُ إِلَيْكَ ضَسْبَعُهُ
صبراً لقسمته التي . . . تركت من السبعين سبعة

ثم تيمم (١) الصعيد الطيب ، وأبرق على بَرَقَةٍ منه صيَّب ، ثم غزا غزاة ، وهزُّ عسقلان هزَّةً ، وَعَكَّ إلى عَكَا ، واستشهد بالقدس وزكَّأ ، فَلَحِقَ من الهاريين للأقصى بقلب كالصخرة ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في كَرَّةً ، ثم طوى المراحل ، ونزل بالساحل ، فصاد صيدا ، وبغت (٢) بيروت كيدا ، ثم شدد الرشق ، إلى مدينة دمشق ، فتربُّع وتمدَّد ، وفتك في كل يوم بألف أو أزيد ، وأقل الكثرة ، وقتل خلقاً ببثرة ، فالله

(١) تيمم: قصد.

(٢) في الحرم (وكاد).

تعالى يُجْرِي دَمَشْقَ عَلَى سُنَّتِهَا ، وَيُطْفِئُ لَفْحَاتِ نَارِهِ عَنْ نَفْحَاتِ جَنَّتِهَا ،

أَصْلَحَ اللَّهُ دَمَشْقًا وَحَمَاهَا (عَنْ مَسْبُوبَةٍ : . نَفْسُهَا خَسَتْ إِلَى أَنْ) (١) تَقْتُلُ النَّاسَ بِحَبِيبَةِ
ثُمَّ أَمَرَ (٢) بِالْمَرْزَةِ ، وَبَرَزَ إِلَى بَرَزَةِ ، وَرَكِبَ تَرْكِيْبَ مَرْجٍ بِعَلْبِكَ ، وَأَنْشَدَ فِي قَارَةِ قَفَا
نَيْكٍ ، وَغَسَلَ الْفَسْوَلَةَ ، وَبَلَغَ مِنْ كَسُوفِ شَمْسِ شَمْسِيْنَ سَوْلَهُ ، وَطَرَحَ عَلَى الْجَبَةِ بَرُشَّةً ،
وَأَزِيدَ عَلَى الزَّيْدَانِي نَعْنَشَةَ ، وَرَمَى حِمْنَصَ بِخَلَلٍ ، وَصَرَفَهَا مَعَ عِلْمِهِ أَنْ فِيهَا ثَلَاثُ عِلَلٍ ،
ثُمَّ طَلَقَ الْكِنَةَ (٣) فِي حِمَاهِ ، فَبَرَدَتْ أَطْرَافَ عَاصِييْهَا (٤) مِنْ حِمَاهِ ،

يَا أَيُّهَا الطَّاعُونَ إِنْ حِمَاهِ مِنْ . . . خَيْرِ الْبِلَادِ وَمِنْ أَعَزِّ حَصُونِهَا

لَا كُنْتُ حِينَ شَمَمْتُهَا فَسَمَمْتُهَا . . . وَأَثَمْتُ فَأَهَا أَخْذًا بِقُرُونِهَا

ثُمَّ دَخَلَ مَعْرَةَ النَّعْمَانَ ، فَقَالَ لَهَا أَنْتَ مَنِي فِي أَمَانٍ ، حِمَاةُ تَكْفِي فِي تَعْذِيْبِكَ ، فَلَا
حَاجَةَ لِي بِكَ .

رَأَى الْمَعْرَةَ عَيْنًا زَانَهَا حَسُورًا . . . لَكِنْ حَاجِبُهَا بِالْجُودِ مَقْرُونِ

مَاذَا الَّذِي يَصْنَعُ الطَّاعُونَ فِي بِلَدِ . . . فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ بِالظُّلْمِ طَاعُونَ

(ثُمَّ رَأَى حَرْمَانَهَا لِهَذَا الْأَجْرِ مِنَ الْحَيْفِ ، فَعَادَ إِلَيْهَا وَلَكِنْ كَيْفَ) (٥)

ثُمَّ سَرَى إِلَى سِرْمِينَ وَالْفَوْعَةَ ، وَشَغَبَ عَلَى السَّنَةِ وَالشَّيْبَةَ ، وَسَنَّ لِلسَّنَةِ أَسِنَّةً
مَشْرَعًا ، وَشَيَّعَ فِي بِلَادِ الشَّيْبَةَ مَصْرَعًا ، ثُمَّ أَنْطَا (٦) أَنْطَاكِيَةَ بَعْضِ نَصِيْبِ ، وَرَحَلَ عَنْهَا
حَيَاءً مِنْ نَسْيَانِهِ ذَكَرَى حَبِيْبٍ ،

ثُمَّ قَالَ لِشَيْزِرٍ وَالْحَارِمِ لَا تَخَافَا مِنِّي ، فَانْتَمَا مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ فِي غَنَى عَنِي ،
فَالْأَمْكَنَةُ الرَّدِيَّةُ ، تَصْحُ فِي الْأَزْمَنَةِ الْوَبِيَّةِ ، (ثُمَّ أَذَلَ عَزَازَةَ وَكَلْبَةَ ، وَأَصْبَحَ فِي بَيْوتِهِمَا
الْحَارِثُ وَلَا أَعْنِي بِنَ حِلْزَةَ) (٧) ، وَأَخَذَ مِنْ أَهْلِ الْبَابِ ، أَهْلَ الْأَلْبَابِ ، وَبَاشَرَ مِثْلَ بَاشِرٍ ،

(١) فِي الْحَرَمِ (عَنْ صَبِيْرَهَا لَعِبَتْ بِهِمْ أَحْسَنَ لَعْبَةٍ وَصَارَتْ) .

(٢) أَمْرٌ : كَثْرًا وَتَمَّ . وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ (مَرٌّ) مِنَ الْمُرُودِ .

(٣) طَلَقَ الْكِنَةَ) وَفِي تَيْمُورِ (أَطْلَقَ النُّكْبَةَ) .

(٤) فِي الرِّبَاطِ (عَاقِبَتِهَا) .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ تَيْمُورِ .

(٦) أَنْطَا : أَعْطَى .

(٧) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ تَيْمُورِ .

وذلك دلوك ناشر ، وقصد الوهاد (١) والتلّاح (٢) ، وقلع خلقا من القلاع ، ثم طلب حلب ،
ولكنه ما غلب ، فهو والله الحمد أخف وطأة ، ولم (٣) أقل كزرع أخرج شطأه .

إِن الْوَيْبَا قَدْ غَلَبَا . . . وَقَدْ بَدَأَ فِي حَلْبَا

قَالُوا لَهُ عَلَى الْوَرَى . . . كَأَفْ وِرَاءَ قَلْتِ وَيَا

ومن الأقدار أنه يتتبع أهل الدار ، فمتى بصق واحد منهم دما ، تحقق كل واحد منهم
عدما ، ثم يسكن الباصق الأجداث ، بعد ليلتين أو ثلاث .

سَأَلْتُ بَارِيَّ النَّسَمِ . . . فِي دَفْعِ طَاعُونَ صَدَمِ

فَمَنْ أَحْسَبُ بَلَعَ دَمِ . . . فَقَدْ أَحْسَبَ بِالْعَدَمِ

اللهم إنه فاعل بأمرك فارفع عنا الفاعل ، وحاصل عند من شئت فاصرف عنا
الحاصل ، فَمَنْ لِدَفْعِ هَذَا الْهَوْلِ ، غَيْرِكَ يَا ذَا الْهَوْلِ .

اللّه أكبر من وياه قد سبأ . . . ويصول في العقلاء كالمجنون

سُنْتُ أَسِنَّتَهُ لِكُلِّ مَدِينَةٍ . . . فَعَجِبْتُ لِمَكْرُوهِ فِي الْمَسْنُونِ

كم دخل إلى مكان ، فحلف أن لا يخرج إلا بالسكان ، ففتش عليهم بسراج ، وهذا
الذي جلب لأهل حلب الانزعاج ، استرسل بعنانه أو انساب ، وسمي طاعون الأنساب ،
وهو أعظم طاعون وقع في الإسلام ، وعندني أنه الموت (٤) الذي أنذر به نبينا عليه أفضل
الصلاة والسلام ، فلو رأيت الأعيان ، وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض ، ويكترون
في العلاج من أكل النواشف والحوامض ، قد تنفص عيشهم الهني ، بملاطخة مسلم
الطينة الطين الأرمني ، وقد لطف كل منهم مزاجه وعدل ، ويخروا بيوتهم بالعنبر
والكافور والسعد والصندل ، وتختنموا بالياقوت ، وجعلوا البصل والخل والصحنة من جملة
الآدم والقوت ، وأقلوا من الأمراق والفاكهة ، وقربوا إليهم الأترج وما شابهه ،

حلبُ والله يكفي شسرها أرض مشيئة . . . أصبحت حية سوء تقبل الناس ببيزقة

فلو شاهدت كثرة النعوش وحملة الموتى وسمعت بكل قُطر من حلب نعيًا وصوتًا لوليت

(١) الوهاد: جمع وهدّة ، المطنن من الأرض .

(٢) التلّاح: جمع تلعة ، مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض .

(٣) في تيمور : (وتادبت قلم) .

(٤) في تيمور (الموتان) .

منهم فرارا ، وأبيت فيهم قرارا ، ولقد كثرت فيها أرزاق الجنائزِة فلا رزقوا ،
وعاشوا بهذا الموسم وعرقوا فلا عاشوا ولا عرقوا ، فهم يلهون ويلعبون ، ويتقاعون
على الزبون ،

اسودت الشهباء في .: عيني من وهم وغش

كادوا بنو نعش بها .: أن يلحقوا بينات نعش^(١)

فنتستغفر الله من هوى النفوس فهذا بعض عقابه ، ونعوذ برضاه من سخطه
وبمعافاته من عقابه^(٢).

قالوا فساد الهوى يردي .: فقلت يردي هوى الفساد

كم سيئاتٍ وكم خطايا .: نادى علينا بها المنادي

ومما أغضب الإسلام ، وأوجب الآلام ، أن أهل سيس الملاعين ، مسرورين لبلاتنا
بالطواعين ، حتى كاتهم في أمان ، أو عليه أن لا يقربهم ضمان ، أو كاتهم إذا ظفروا ،
ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ،

سكان سيس يسرهم ما سانا .: وكذا العوائد من عدو الدين

الله يُنفذه^(٣) إليهم عاجلا .: ليمزق الطاغوت بالطاعون

هذا وهو للمسلمين شهادة (وأجر ، وعلى الكافرين رجز وجزر ، إذا صبر المسلم على
مصيبته فالصبر عبادة ، وقد ثبت عن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أن المطعون
شاهد فهذا الثبوت حكم بالشهادة)^(٤) وهذه الحقيفة ، تعجب الحنيفة ، فإن قال قائل هو
يعدي ويبيد ، قل بل الله يُيدى ويعيد ، فإن جادل الكاذب في دعوى العدى وتؤل ، قلت
قد قال الصادق المصنوق : فمن أعدى الأول ، ولو سلمنا فتك بأهل الدار ، فهو بإرادة
الفاعل المختار ،

أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب

باروده المستعلي قد طار في الأقطار

(١) بنات نعش: سبعة كواكب ، يقال الواحد منها ابن نعش ؛ لأن الكوكب مذكّر فيذكرونه على تذكيره ،
وقد يقال: بنو نعش .

(٢) في تيمور (عذابه) .

(٣) في الرباط وتيمور (ينقله) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الهند .

فَتَأْسُ دَهَا شَأْنَهُ سَاعِي لَصَارِخِ مَارِثَا

وَلَا تُدِي بِذَخِيرَةِ نَوْلَابِهِ الطَّيَّارِ

يَدْخُلُ إِلَى الدَّارِ يَحْلِفُ (١) مَا يَخْرُجُ إِلَّا بِأَهْلِهَا

مَعِيَ كِتَابُ القَاضِي بِكُلِّ مَنْ فِي الدَّارِ

وَمِنْ فَوَائِدِهِ : تَقْصِيرُ الأَمَالِ ، وَتَحْسِينُ الأَعْمَالِ ، وَاليَقِظَةُ مِنَ الغَفْلَةِ ، وَالتَّزْوُدُ

لِلرَّحَلَةِ.

فَهَذَا يُوحِي بِوُلُوْدِهِ . : وَهَذَا يُودِعُ إِخْوَانَهُ

وَهَذَا يَهَيِّئُ أَشْفَاءَهُ . : وَهَذَا يَجْهِّزُ أَكْفَانَهُ

وَهَذَا يَصَالِحُ أَعْدَاءَهُ . : وَهَذَا يَلَطِّفُ جِيرَانَهُ

وَهَذَا يُوَسِّعُ إِتْفَاقَهُ . : وَهَذَا يَحَالِلُ مِنْ خَانِهِ

وَهَذَا يَحْبِسُ أَمْلَاكَهُ . : وَهَذَا يَحْرُرُ غُلَمَانَهُ

وَهَذَا يُغَيِّرُ أَخْلَاقَهُ . : وَهَذَا يُعَيِّرُ مِيزَانَهُ

فَإِنْ كَانَ هَذَا الوِيَا قَدْ سَبَا . : وَقَدْ كَادَ (٢) يَرْسِلُ طَوْفَانَهُ

فَلَا عَاصِمَ اليَوْمِ مِنْ أَمْرِهِ . : سِوَى رَحْمَةِ اللّهِ سَبِحَانَهُ

وَمَا مَنَعَنَا الفِرَارَ مِنْهُ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالحَدِيثِ ، فَقَمَّ بِنَا نَسْتَعِثُ (إِلَى اللّهِ) (٣) فِي رَفْعِهِ

فَهُوَ خَيْرٌ مَغِيثٍ ، اللّهُمَّ إِنَّا نَدْعُوكَ بِأَفْضَلِ مَا دَعَاكَ بِهِ الدَّاعُونَ ، أَنْ تَرْفَعَ عَنَّا الوِيَاءَ

وَالطَّاعُونَ ، لَا نَلْتَجِي فِي رَفْعِهِ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَعُوذُ فِي العَاقِبَةِ مِنْهُمَا إِلَّا عَلَيْكَ ، نَعُوذُ بِكَ

يَا رَبَّ الفَلَقِ مِنَ الضَّرْبِ بِهَذِهِ العَصَى ، وَنَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَهِيَ أَوْسَعُ

مَنْ ذُنُوبِنَا وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَ الرَّمْلِ وَالحَصَى ، وَنَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ ، بِأَكْرَمِ الشَّفْعَاءِ لَدَيْكَ ، مُحَمَّدٌ

نَبِيُّ الرَّحْمَةِ ، أَنْ تَكْشِفَ عَنَّا هَذِهِ الغَمَةَ ، وَأَنْ تَجِيرَنَا مِنَ الوِيَالِ وَالتَّنْكِيلِ ، وَأَنْ تَعَصِمَنَا

فَأَنْتَ حَسِبْنَا وَنَعَمَ الوَكِيلَ .

(هَذَا) (٤) آخِرُهَا وَهُوَ أَجْوَدُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ ، وَأَوْسَعُ عِبَارَةٍ ، وَأَلْطَفُ إِشَارَةٍ.

(١) هَكَذَا فِي الحَرَمِ وَتَيْمُورٍ ، وَفِي بَقِيَّةِ النِّسْخِ (يَخْطَفُ).

(٢) (كَادَ) فِي تَيْمُورٍ ، وَفِي بَقِيَّةِ النِّسْخِ (كَانَ).

(٣) فِي الرِّبَاطِ (بِاللّهِ).

(٤) زِيَادَةٌ مِنَ الهِنْدِ.

وقرأت في كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة في وصف الطاعون الكبير : " عمُ البلاد ، وأباد العباد ، وقطع كل درب ، وسارى بين أهل الشرق والغرب ، فكثر به الأوجاع ، وانتقل بمصر من الأصبع إلى النراع ، ثم تيمم بها الصعيد ، وترك الناس كالزراع ما بين قائم وحصيد ، وانفتقت فيه غرائب وعجائب ؛

منها : أن الطاعون الذي وقع في سنة تسع وأربعين وأربعمائة عمُ الأرض ، فسواه هذا في ذلك ولم يتفق ذلك في غيرهما .

ومنها : أن مكة لم يدخلها الطاعون قط إلا هذه المرة ، فمات بها خلق كثير من أهلها والمجاورين بالطاعون ، وتواتر النقل بذلك .

ومنها : أنه مات فيه الطيور والوحوش والغزلان والكلاب والقطاط بالخُرُاج تحت الأباط ، وبغير ذلك من أنواع الطاعون ، قال : ولم يسلم منه في هذا العام من مدن الأرض كلها غير مدينة رسول الله ﷺ .

ومنها : أن من مات فيه على سبيل التقريب نصف الموجودين من العالم الحيواني ، وبلغ الموت بالقاهرة في كل يوم عشرين ألفا وقيل : خمسة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا .

قلت : ذكر ابن كثير في تاريخه : أن من الناس في أمر القاهرة المقتل والمكتر ، فالمقتل يقول : أحد عشر ألفا ، والمكتر يقول : ثلاثون ألفا . انتهى .

قال ابن أبي حجلة : وذكر لي مجد الدين الإسعري تاجر الخواص السلطانية : أنه وكلُّ أبواب القاهرة من حفظ له (عِدَّة) (١) الأموات في شهري شعبان ورمضان ، فبلغوا تسعمائة ألف نفس وزيادة . قال : وهذا خارج عن لم يُضَبِّط ، وخلت حكور كثيرة حول القاهرة ، فلم تسكن بعد ذلك . قال : والتلخيص أن جميع الطواعين الماضية بالنسبة إلى هذا قطرة من بحر ، أو نقطة من دائرة .

قال : وأما دمشق فإني كنت بها ، فشاهدت حالها الحائل ، وحائطها المائل ، ورأيت بها موت الأحبة بالحبة ، ثم نفت الدم والكُبة فأناخ بها الرجال ، وهبت شماله ذات اليمين وذات الشمال ، وفي شهر ربيع الأول اجتمع الناس على قراءة البخاري ، وقرأوا سورة (٢) نوح بحراب الصحابة ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاث وستين مرة ؛ اتباعا لرؤيا

(١) في الحرم (عدد).

(٢) إلى هنا تنتهي نسخة الحرم .

رأها رجل ، ودعوا برفع الطاعون فازداد ، ثم شرع الخطيب في القنوت في الصلاة والدعاء ، وحصل للناس الخشوع والخضوع والتضرع والتوجع والتوبة والإنابة ، ثم إن نائب السلطنة رسم بإبطال ضمان النعوش وجميع ما يتعلق بالأموات ، ونودي بذلك في الطرقات ، وصنع الناس نعوشاً وقفوها ، فاتسعوا بها في تشييع الموتى (١) ، ثم نودي في البلد بصوم ثلاثة أيام ففعلوا ، ثم وقفوا بالجامع كما يفعلون في شهر رمضان ، ثم خرجوا يوم الجمعة سابع عشر الشهر إلى مسجد القَدَم ، فتضرعوا إلى الله تعالى في رفع الطاعون ، وخرج الناس من كل فج عميق حتى أهل الذمة والأطفال ، وانتشروا في الطرقات وأكثروا التضرع والبكاء ، ولم يزد الأمر إلا شدة ، ولا الموت إلا كثرة . فلما كان في ثاني شهر رجب بعد الظهر ، هبت ريح شديدة أثارت غباراً أصفر ثم أحمر ثم أسود ، حتى أظلمت الأرض وبقي الناس نحو ثلاث ساعات يجارون إلى الله تعالى ويستغفرونه حتى انكشف ، ورجوا أن يكون ذلك ختام ما هم فيه ، فلم ينقص عدد الأموات ، بل استمر الطاعون بدمشق إلى سلخ السنة ، وبلغ عدد من يموت داخل السور خاصة في كل يوم ألف نفس ، وهلى الخطيب بالجامع على خمسة وستين نفساً دفعة واحدة ، فكان ذلك أمراً مهولاً ، وحصل بسبب ذلك في الجامع ضجة عظيمة .

قلت : وحكى لي من أثق به أنه شاهد في جامع عمرو بن العاص نحو ذلك . وقرأت في تذكرة القاضي صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (٢) : أول ما بدأ الطاعون الكائن في سنة تسع وأربعين من الشام بغزة ، ثم تعدى إلى بيروت ، ثم إلى الشام كلها ، وكان يقتل بالرائحة ، ويقدر الحبة يظهر في المغابن كالإبط ونحوه ، وببشرة خلف الأذن ، ويقدر الخيارة في الورك وبعضهم يبصق دماً فيخر ميتاً .

وكتب في رسالة : وإنما عاقته العوائق ، وشغله ما شغل جميع الخلائق ، وهو أمر هذا الوباء وما بلغكم عنه من النباء ، فإنه قد عم البلاد ، وغم النفوس وأذاب الأكباد ، وقدم مصر في أول هذه السنة ، فقصد أهلها الفرار والسنة ، وتقدم بعساكر المنايا ، ودهم بكبانز الرزايا ، وألقى الرعب في قلوب البرايا ، وأبقى في صدورهم البلياء ، وشهر لكل أحد نصابه ، وترك بيباب كل بيت منه عصابه ، فالناس بين كل ميت وماتت ، ومتوقع الفوات وماتت ، وأصبح كل جبار وهو منه خائف ، ويظن أن الموت على بابه واقف ، إن

(١) في الرباط (الجنائز).

(٢) إلى هنا تنتهي نسخة الهند.

دخل بيتا كان آخر أهله خروجا ، وإن عدل إلى فناء أجه نارا الفناء فيه تأجيجا ، فقصم عند ذلك الآمال ، وكثرت لديه الأعمال ، وعظم التضرع إلى الله والصياح ، وعمل الناس بقوله **كَلِمَةٌ** : " إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح " . غير أن له خلائق محمودة ، وغرائب ليست في سواء موجودة ، لا يفرق بين الشخص وأقاربه ، ولا يذوق جفن المفجوع على ذاهبه ، بل إن أخذ واحدا أنسه بجميع أهله ، وجمع شملهم في الردى بإهدام ذلك النسب من أصله ، لا تطول معه الأمراض ، ولا تكثر على الجسد الأمراض ، وقد طالت مدته على الأمة ، وقويت طييم الشدة والغمعة ، واشترك في مصابه الخلائق والبلدان ، وعتت الأشجان والأحزان ، وهذا أمر لم يسمع بمثله في الوجود ، ولم يقع نظيره في الجنود ، وأي طاعون دخل الأرضين من كل جانب ، ووصل إلى المشارق والمغرب ، بل طاعون عمواس كالقطرة منه في القياس ، وطاعون الأشراف خاص ببعض الأصناف ، وطاعون الفتيات ، لغير الأبقار لم يوات ، فإله الله في التضرع بارتفاع هذه النازلة ، وانقطاع هذه النعمة برحمة متواصلة .

وقرات في كتاب القاضي تاج الدين السبكي سنة أربع وستين وسبعمائة : لما عم الطاعون على النفوس وغم ، وهم بالردى فأودع القلوب (١) الهم ، طاف البلاد فما ترك طارفة ولا تليدة ، وطاف في الربيع العامر فكأن بالخراب وما تلك الصفة بحميدة ، وغزا الإقليم المصري منه ما شيب النواصي ، وشغلهم بأنفسهم من القيام بالطاعات بل وبالمعاصي ، ودخل الشام منه رعب يرد ولا يراعي ، (فبطلت عنده الشهوات وذهبت لديه الدواعي) (٢) ، إلى غير ذلك من تخريب الممالك ، وتضييق المسالك ، وتوسيع أبواب المهالك فياله من حمام شمرت حروبه عن ساقها ولا توقفت ولا تروّت ، وصاحت صوارم شربت من دماء البرايا حتى تروّت ، لقد صرح في هذه المعركة غضبه وما أضمر ولا ودى ، ولقد روى فيها سهمه كبد قوسه الحرى ، وما ذاك إلا لمقدور إلهي لا يدفع ، وأمر سماوي لا تنفد فيه المعالجة ولا تنفع ، لقد قطع نياط القلوب ، وشاهدنا منه العجب والأرواح تنوب ، إن طلعت حبه لابن آدم فبطلت به إلى الرمس ، وإن بصق دماً قال يا حسرتى على ما فرطت بالأمس ، ولقد رخصت الأنفس فيه حتى بيعت بحبة ، وقال من ساومها سيقضي صاحبها نحبه ، فمات من لا عمره مات ، وصرت لا تسمع إلا كان وفات ، إذا أخذ واحدا تداركه بجمع شمله ، وأخذ على إثره جميع أهله ، وإذا نزل بامرئ

(١) في الرباط (البيوت).

(٢) ما بين القوسين ساقط من الرباط.

أفصله في يومه ، ولا يطيل بتعطله المرض على قومه ، والله المستعان في جميع الأحوال ،
وعليه فيما نخافه ونحذره الاتكال.

وقرأت بخط شيخنا ناصر الدين بن الفرات في تاريخه : أنه صلى الجمعة في سطح
الجامع الحاكمي فشاهد الجنائز مصفوفة ثلاثة صفوف ، من أول الأروقة إلى باب
الغزائن ، لكن الصف الثالث ينقص قليلا ، قال : وكثر الموت حتى خلت الطرقات .
قال : ولقد مشيت ليلة بين القصرين ، بين المغرب والعشاء ، من الحريريين إلى سوق
الدجاج بقرب الجامع الأحمر ، فما رأيت من السرج في الحوانيت إلا اليسير . قال :
وعدمت البضائع لقلّة الجالب ، (وبيعت الرمانة الواحدة بنصف دينار) (١) ، وبلغ طحن
الأردب القمح تقديرا قلووي.

قال : وشرح ذلك يطول ، وهذا عنوانه.

قلت : إنما عظم الخطب لامتداده ، فإنه امتد من أول السنة ، فلم يزل يتكاثر حتى
إلى شهر رجب ، وعظم في شعبان ثم في رمضان ، ثم تناقص في شوال ، وارتفع في
ذي القعدة.

وإلى هنا انتهى القول بنا فيما قصدناه من نقل ما اتصل بنا من نباء الطواعين
الواقعة في الإسلام ، والله المسؤول أن يختم لنا بالحسنى ، ويرفعنا إلى المقام الأسنى .

قرأت على عبد الله بن عمر بن علي ، عن أحمد بن كشتقدي سماعا ، أن النجيب
الحراني أخبرهم ، أنا أبو الفرج بن الجوزي سماعا ، أنا أبو منصور القرزاني ، أنا
أبو بكر أحمد بن علي ، أنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة ، أنا أبو بكر
محمد بن عبد الله بن شاذان ، سمعت أبا جعفر التستري يقول : حضرنا أبا زرعة
- يعني عبيد الله بن عبد الكريم الرازي الحافظ - وكان في السُّوق - يعني بفتح
السين ، أي سوق روحه إلى الموت - وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان
وجماعة من العلماء ، فذكروا حديث التلقين وهو قوله ﷺ : " لقنوا موتاكم لا إله
إلا الله " (٢) . فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه ، فقالوا : تعالوا نذكر الحديث .

(١) في الرباط والدار (وبلغت الرمانة الواحدة نصف دينار).

(٢) مسلم (٦٣١/٢) ١١ - كتاب الجنائز ، ١٠ - باب تلقين الموتى لا إله إلا الله .

فقال محمد بن مسلم : حدثنا الضحاک بن مخلد ، عن عبد الحمید جعفر ، عن صالح ، وسکت.

وقال أبو حاتم : حدثنا بندار ، ثنا أبو عاصم ، عن عبد الحمید ، عن صالح ، ولم يجاوز وسکت الباقون.

فقال أبو زرعة : حدثنا بندار ، ثنا أبو عاصم ، ثنا عبد الحمید بن جعفر ، عن صالح بن أبي غریب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : " من كان آخر كلامه (١) لا إله إلا الله دخل الجنة " . وتوفي .

رواه الحاكم (٢) عن أبي بكر بن شاذان المذكور وفيه مقال ، وأبو جعفر التستري هو محمد بن علي وراق أبي زرعة .

وقد ذكر أبو محمد بن أبي حاتم هذه القصة في ترجمة أبي زرعة (٣) مختصرة فقال : سمعت أبي يقول : مات أبو زرعة مطعونا مبطونا يعرق الجبين منه في النزع ، فقلت لمحمد بن مسلم : ما تحفظ في تلقين الموتى لا إله إلا الله ؟ فقال : يروى عن معاذ فرجع أبو زرعة رأسه وهو في النزع فقال : روي عن عبد الحمید بن جعفر ، فذكره وزاد : فصار للبيت ضجة من البكاء ممن حضر .

وقد وقع لي هذا الحديث عالیا من وجه آخر عن أبي عاصم : كتب إلينا أبو العباس أحمد بن أبي بكر المقدسي ، أن يحيى بن سعد أخبرهم ، عن زهرة بنت محمد بن حاضر ، قالت : أنا يحيى بن ثابت بن بندار ، أنا أبي ، أنا أبو منصور محمد بن محمد ابن عثمان والحسين بن علي بن رقتان (٤) ، قالوا : أنا أبو بكر بن مالك ، أنا أبو مسلم الكجي ، ثنا أبو عاصم ، عن عبد الحمید حدثني صالح بن أبي غریب ، فذكر مثله .

أخرجه أبو داود (٥) عن مالك بن عبد الواحد ، عن أبي عاصم ، فوقع لنا بدلا عالیا .

(١) في الرباط (كلامه من الدنيا).

(٢) روى الحاكم الحديث المرفوع في المستدرک (٥٠٠/١) ، وروى الحديث مع القصة في معرفة علوم الحديث ص ٧٦ في النوع العشرين.

(٣) الجرح والتعديل (٢٤٥/١).

(٤) في الدار : (قتادة).

(٥) أبو داود (١٩٠/٢) كتاب الجنائز ، باب في التلقين.

آخر الكتاب ، قال مصنفه أدام الله النفع بوجوده : وكان الفراغ منه في جمادى
الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، سوى ما ألحق بعد ذلك إلى أن ختم في شوال
منها (١) ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليما
كثيرا إلى يوم الدين. أمين.

* * * * *

* * *

*

(١) جاء بعد هذه العبارة في نسخة تيمور: (ثم ألحق فيه زيادات يسيرة بعد ذلك) . ا . هـ .

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣ مقدمة المحقق
٤ تعريف بالكتاب
٥ نسبة الكتاب الحافظ
٦ عمل المحقق في الكتاب
٦ أولا : مقابلة نسخ الكتاب
٦ وصف النسخ
٨ تنبيه حول اسم الكتاب
٩ ثانيا : تخرىج الأحاديث الواردة في الكتاب
١٠ ثالثا : تسهيل الاستفادة من الفصل الأخير في كل باب
١٠ رابعا : وضع عناوين وشرح غريب
١١ ترجمة الحافظ ابن حجر
١٨ نماذج من صور المخطوطات
٢٤ مقدمة الكتاب
٢٥ ذكر فهرسة فصول أبوابه
٢٨ الباب الأول : ففي سبدا الطاعون ، وفيه أربعة فصول
٢٩ الفصل الأول : في بيان كونه رجزا
 الفصل الثاني : ذكر البيان بأن الطاعون إنما كان عذابا على الكفرة ممن مضى ،
٣٣ لا على المسلمين منهم ، وأنه لمؤمني هذه الأمة رحمة وشهادة
٣٥ الفصل الثالث : ذكر بيان الرجز المذكور ومن نزل عليه
٤٠ الفصل الرابع : ذكر كشف مشكل ما في هذا الباب الأول
٤٢ الباب الثاني : ففي التعريف به ، وفيه تسعة فصول
٤٣ الفصل الأول : في ذكر اشتقاقه
٤٤ الفصل الثاني : ذكر صفته وسبب حدوثه
٤٩ ذكر البيان الدال على أن الطاعون غير مرادف للوباء

الفصل الثالث : نكر سياق الأحاديث الواردة في أن الطاعون وخز الجن والكلام

- ٥٣ عليها
- ٦٠ ذكر معنى قوله صلى الله عليه وسلم "فناء أمتي بالطعن والطاعون"
- ٦٢ الفصل الرابع : نكر الجواب عن إشكال أورده بعضهم على هذا الحديث
- الفصل الخامس : نكر بيان لفظة وقعت في حديث أبي موسى على ما قيل يكثر
- ٦٩ السؤال عن معناها
- ٧٤ ذكر كيفية الجمع بين قوله : « وخز أعدائكم » وقوله : « وخز إخوانكم »
- ٨٠ ذكر الجواب عن إشكال وقع في كون الطاعون من خز الجن
- الفصل السادس : نكر الدليل على أن الجن قد يسلطون على الإنس بغير هذا
- ٨٣ الوخز في رمضان وغيره
- ٨٥ الفصل السابع : نكر الحكمة في تسليط الجن على الإنس بالطاعون
- ٨٥ ذكر حكمة أخرى تليق بقسم آخر غير من أشار إليه ابن القيم
- ٨٧ الفصل الثامن : ذكر الآثار الواردة في الإنكار التي تحرس قائلها من كيد الجن
- ٨٧ أولا : الآيات القرآنية
- ٩٢ ثانيا : الأحاديث النبوية
- ٩٨ الفصل التاسع : نكر كشف مشكل ما في هذا الباب الثاني
- * الباب الثالث : ففي بيان أن الطاعون شهادة للمسلمين ورحمة ، وفيه
- ١٠١ عشرة فصول
- ١٠٢ الفصل الأول : في سياق الأحاديث الواردة في ذلك
- ١٠٣ ذكر بيان الأخبار الواردة في أن الشهادة لا تختص بالقتل في المعركة
- ١٠٤ ذكر خبر فيه زيادة في عدد الشهداء على حديث أبي هريرة
- الفصل الثاني : نكر الدليل على أن الشهادة تحصل بالنية وإن لم يقع شيء
- ١٠٨ للمؤمن من الخصال المذكورة
- ١١٠ للفصل الثالث : نكر معنى الشهيد
- ١١١ ذكر خصائص الشهيد الأخروي
- الفصل الرابع : نكر جواب من استشكل الدعاء بالشهادة مع أنه يستلزم تمكين
- الكافر منه ، والقاعدة أن تمنى المعصية لا يجوز ، وقتل المؤمن
- ١١٢ معصية

- ١١٣ الفصل الخامس : ذكر الدليل على أن بعض الشهداء أفضل من بعض
- ١١٥ الفصل السادس : ذكر الدليل على أن شهيد الطاعون ملتحق بشهيد الممرقة
- ١١٧ الفصل السابع : ذكر ما يشترط لتحصيل الشهادة بالطاعون
- ١٢١ الفصل الثامن : نكر جواب عن إشكال وقع في كون الطاعون شهادة ورحمة
- ١٢٤ الفصل التاسع : ذكر جواب عن إشكال آخر وقع في كون الطاعون شهادة ورحمة
- ١٣١ الفصل العاشر : نكر كشف مشكل ما في هذا الباب الثالث
- الباب الرابع : ففي حكم البلد الذي يقع به الطاعون والدخول إليها ، وفيه أربعة فصول**
- ١٣٥
- ١٣٦ الفصل الأول : ذكر الزجر عن الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون فرارا منه
- الفصل الثاني : ذكر قصة عمر في رجوعه من طريق الشام لما بلغه أن الطاعون بها ، والبيان الواضح أن ذلك ليس من الفرار من الطاعون ، ولا مخالفا لما دلت عليه الأخبار الواردة في ذلك
- ١٤٤
- ١٤٨ طريق أخرى لعبد الرحمن بن عوف
- ١٥٠ ذكر الأخبار الموافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف في ذلك
- ١٥٤ حديث أم أيمن في ذلك
- ١٥٥ ذكر اختلاف الصحابة في الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون
- ١٥٥ ذكر سياق الأخبار الواردة في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم
- ١٥٦ طريق أخرى لهذه القصة
- ١٥٦ طريق ثالثة
- ١٥٧ طريق أخرى لحديث معاذ بن جبل في ذلك
- ١٥٨ طريق أخرى لمعاذ
- ١٥٨ طريق أخرى لمعاذ بن جبل في ذلك
- ١٦١ طريق أخرى عن معاذ
- ١٦١ طريق أخرى عن معاذ
- ١٦١ طريق أخرى عن معاذ
- ١٦٢ طريق أخرى لهذا الحديث مطولة
- ١٦٣ طريق أخرى فيها بعض المخالفة لسياق التي قبلها

١٧٠ الفرار منه حرام
١٧٣ ذكر مواعظ قد وقعت لمن فر من الطاعون فاتمظ بها وأقام
١٧٤ ذكر ما اعتل به من أجاز الفرار والجواب عن شبهته
١٨٨ الفصل الثالث : ذكر بيان الحكمة في النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فراراً منه
١٩١ الفصل الرابع : ذكر مشكل ما في هذا الباب الرابع
١٩٤ * الباب الخامس : في معرفة ما يشرع فعله في الطاعون بعد وقوعه ، وفيه خمسة فصول
١٩٥ الفصل الأول : هل يشرع الدعاء برفعه أو لا ؟
٢٠٨ الفصل الثاني : هل الطاعون إذا وقع عاما بالنسبة للشخص الواحد كالمرض المخوف إذا حصل له أو لا ؟
٢١١ الفصل الثالث : في بيان ما يحترز به أيام وقوع الطاعون وغيره من الأمراض العامة واتصل بذلك الكلام على العنوى
٢١٤ الفصل الرابع : ذكر الآداب المتعلقة بمن أصابه الطاعون أو غيره من الأسقام
٢١٤ الأدب الأول : سؤال الله العافية والاستعاذة من السقم
٢١٦ الأدب الثاني : الصبر على قضاء الله والرضى بما يقدره وبيان ما في ذلك باختصار
٢١٧ الأدب الثالث : في الترغيب في حسن الظن بالله تعالى
٢١٨ الأدب الرابع : في العبادة وفضلها
٢٢٣ الفصل الخامس : ذكر كشف مشكل ما في هذا الباب الخامس من الغريب وغيره
٢٢٥ * خاتمة في الإشارة إلى الطواعين الواقعة في الإسلام
٢٣٢ فصل : في بعض ما قيل في وصف الطاعون
٢٤٣ * فهرس الموضوعات

* * * * *

* * *

*